هادي دانيال



الحوارات

حامد
للنشر والتوزيع

هادي دانيال

الحوارات

دار دارمد
للنشر والتوزيع

العنوان : الحوارات

الكاتب : هادي دانيال

الطبعة : الأولى ماي2006

المطبعة : المغاربية للنشر والتوزيع والإشهار

السحب : 1000 نسخة

الإيداع القانوني : ماي 2006

الناشر : دار صامد للنشر – 72 نهج القيروان
3000 صفاقس

صورة الغلاف : بكاميرا القاصّ السوري الدكتور عفيف حمدان



الشاعر الطفل هادي دانيال بدمشق سنة 1961

المقدمة

سليم دولة

(الكاتب الحرّ)

ضيق الجسد النحيل بحلم الفتى المِحَنِي

* 1 *

"ضفّة النهر فُرصَته" هكذا تقول "الحكمة" .!

وهادي

دانيال

الشاعر

والناثر

والماشي على الأرض...

نهرٌ

ومواطنٌ... !

* 2 *

"ضفّة النهر فرصته (...) دون الضفة يتحول
النهر إلى مستنقع، ولن يذهب بعيدًا" .!
هكذا تضيف الحكمة مع "طوماس دانسامبورغ" لأضيف للتوّ معها ومعه، ولو أحبَّ الناسُ..

"الفتى المِحنيّ" هكذا أريد أن أسميه، ولأكْثرَ من سبب، وليكن بلا سبب أَصْلاً..
"الفتى المِحنيّ" نَهْرٌ بضفافه
وضفافُه توائمه..
الزجل والشعر والنثر..
"الزجل"، ليكن نسبةً إلى الحمَام،
و"الشعر" ليكن نسبةً إلى الحسّ واللذّة وألمِ المعرفة،
و"النثر" ليكن انتسابًا إلى حبٍّ محبّةِ الأرض وإخلاصًا للرحم والثراء، وإنْ كانت ثمة في الذاكرة أوجاع وتباريحُ، وما دَوَّنَ الشاعر في مدونته.

* 3 *

"الذاكرة" كما تُسَمّى في لغة العَرَب.. والسيدة "مِمْوار" mémoir كما تَتَسَمّى في لغة "العَجَم" كلمةٌ على خفّتها المرحة أحيانًا والكئيبة أحيانًا أخرى، الطائرة حينا والحبيسة حينا آخر، تمثّل شروط إمكان الحديث عن إنسانية وإنسانيّة كاتبة، أقصدُ شاعرةً وناثرةً ولاعبةً بالأشكالِ والألوان، أو هي هاربة لاذَتْ بالصَّمْتِ أوِ الكتابة أَصْلاً، إذْ تخفي الكتابةُ وفْقَ كيمياء ماكرة كلَّ ألاعيب التحيُّل على الذاتِ مراوَغَةً للمحنةِ ومحاولةً لتدجين الممات.

* 4 *

مناسبة هذا الكلام الحُرّ إنّما هو استحضار تجربة "الفتى المِحَنّيّ" في هذه "المحاورات". أليس الحوار يعني ضمْنَ ما يعنيه الإنفتاح المكن باللسان على كلّ الجهات ؟ !

ألم يستبدل العَرَبُ المواقعَ بين اللسانِ والحسام ؟

هل غريبٌ على الشاعر في ميراثنا الثقافي أن يخوض أكثر من "داحس وغبراء" تحصينًا رمزيًا لذاته وذَوْدًا عن حياضِ الأهل والعشير ؟.

أن تكون هذه الحواراتُ استحضاريةً فذلك من منطقِ هذهِ المأدبة اللغوية التي تخفي تجربَة تِسْفَارٍ مكانيّ وَتِسْفارٍ جغرافيّ في مجالات الأهواء..

* 5 *

كلّ مناسبة إنّما هي استحضار تَنْـــزل فيه الذاكرةُ إلى الشوارع والأزقة والحارات مرورًا بالعواصم والمطارات لتتحسَّسَ تضاريس المكان، ذلك ما نلتمسه ونحن نتصفّحُ ولو بشكل عابر هذهِ الحوارات ولو على سبيل الفضول لا غَيْر.

ألا يستلزم الاستحضار في ممارسة الحوار وَعْيًا بالحين وبما عليهِ تاريخُ الأعضاء، أعضاء الشاعر مثلاً ومَلَكَاته وهي تبلغ العنفوان، أو تترجّل حينًا لضرورةٍ ما اقتَضَتْها اللحظةُ في هذا القطر الحبريّ أو ذاك ؟..

أيًّا كان هذا الإستحضار، ألسنا أمّةً استحضارية ؟ - "استحضار الجنّ"، "استحضار الملائكة أو الشياطين"، "الفلاسفة أو السَّحَرَة"، أو "المُغْتَالين والمصلوبين والمشرَّدين من الشعراء"، "استحضار الوطن في الغُربة"، أو "تاريخ الأمة أو الأمم زمنَ الوَطن في الغُربة"، أو "تاريخ الأمّة أو الأمم زمنَ المحن المُقيمة أو العَرَضيّة".

في كلّ الحالات نخرج ولو إلى حين من هذه المحاورات بغنيمةٍ أساسيّة من هزائمنا : وعينا بهزائمنا لا يُخْفي إرادةَ مُصَاوَلة المِحَن، أعني إدراكنا العميق، المتمثّل في تمثّلنا لسيلان الزَّمَن، ذلك الوعي الذي يفترض بِدَوْرِه وعيًا مُرَكَّبًا بما يمكن تسميته "علوم" "أدبيّات "الميقات" وكيمياء تداول الأيّام ممّا جعل من الإنسان، مطلق الإنسان، في تعاطيه مع الحياة كائنَ محاوَرةٍ ومُنَاورة. كائن مفارقات أو كما تريد اللغة أن تُسَمّي بلسان إفرنجيّ كائن بارادوكسالي فيدرك أنَّ الماضيَ، ولا كذلك الحاضر، أَمْرٌ بسيطٌ..

* 6 *

هو :

"لأنّه تأثّر برامبو فَهُو من حيث لا يدري ينادي بلسان حاله، لا الأساطير ولا الشخوص تشفي غليله.. رامبو كما يذكر هادي دانيال توقّف عن كتابة الشّعر في السابعة عشرة من عمره.. بينما بدأ هادي بكتابة الشعر"؟

بهذه الملاحظة بدأ الحوار مع (تشرين) مثلاً.

ما يعنينا استحضار مَسْقط الرأس والأرجل وسائر الأعضاء ومكان نهوض الاسم والقلم، والبدء بالتّسيار نحو جغرافيات الكتابة والألم، فكأنّما دواعي السَّفَر إنَّما هي على وَجْه التحديد ذلك الغامض، ما يشبه القَدَر الذي دعاه إلى أن يفسّره ولو إلى حين بضيقِ أرحام القبيلة وتجاهل السلالة الذي يقابله الفتى بفتوَّةٍ ورَفْضٍ مستميتٍ للمبيتِ على الضَّيْم وما يعرفُ سرّه الراسخونَ في الألم.

لماذا مغادرة الوطن باكرًا ؟ يجيب هادي دانيال على هذا السؤال المكرور من قبل محاوريه مُسْتعيدًا لحظات ضيق جغرافيا الوَطَن وتَاريخ الأمّة وكذلك الجسد النحيل بحُلْم "الفتى المِحَنيّ الحرّ"، هكذا أريد أن أسمّيه مرَّةً أخرى، أو شقيق التفاصيل المقاتلة من التاريخ الأمميّ ضدّ الاكتساح السرطاني للإبتلاء والغُمَّة.

* 7 *

الذاكرة نشيطة لدى "الفتى المِحنيّ" في هذه "المحاورات"، واللسان يمضي إلى مداه بلا رَوَغان، وجواد الخيال لديهِ جَامِحٌ كلّما لَسَعَه مُحَاورٌ بسؤال يخاطب الموجوعَ

من ذاكرته، فيجيب كأنْ بهِ مَسًّا من "داحس وغبراء" وهي تدور الآن وفي هذا المكان، أقصد أنّ إجاباته لا تنبع من ذاكرة استعراضيّة وإنّما من تجربته الحياتيّة.

الكتابة لدى هادي دانيال وفقًا لما نستشفّه من هذه الحوارات إنما هي فعْلاً فعْلُ ممانعة، ذلك أنها تدفع مقابل حقّها وأحقّيتها في الحضور ثمنا عزيزًا، أقصدُ : سنوات العمر.

"الصدق"..

"الصداقة".. وكلّ ما يحيل إليه معجم "الفتوّة" مفردات تجترحها الذات الكاتبة لدى هادي دانيال بكلّ صدقٍ صدوقٍ ودون استحضار هذه القيمة، وبكلّ رفْق، لا يمكن للذوات القارئة أن تدرك حقًّا وحقيقةً الجمالية اللغوية التي بها يتكلم في هذه الحوارات، ونفوّت على أنفسنا سرّ الترحال العشقيّ في هذه التجربة الحياتية وإن كانت مضمّخةً بالألم والنَّدَمِ وببعضِ الدم، ممهورًا بإمضاءٍ وحيدٍ هو (فتى الألم).

"ما إن فرغت من قراءة كتاب (رامبو.. قصة شاعر متشرّد)، حتى وجدتُني أكثر اندفاعًا لخوض تجربة المغامرة ليس على صعيد الكتابة الشعرية فحسب بل على صعيد البحث عن حياة أخرى في أمكنةٍ أخرى مع بَشَرٍ آخرين.

ربما كنت مهموزًا برغبةٍ في الحصولِ على تجربة شاعرٍ متشرّد تفتح آفاقا بكْرًا..".

يستوقفني على عَجَلٍ في هذا الشاهد العاجل عبارةُ "مهموز برغبة" فكأنما الأمر، أمر الأنا الكاتبة – الحاكية هُنَا – محكوم بقدر DESTIN. أَوَلَيْسَت تلك هي "التفسيرات" الجامحة والغامضة لتسمية الرغبة السريّة في الرحيل، تلك التي لا يجد لها كبار الكتّاب والشعراء والحكماء من تفسير غَيْر الاستجابة لهذا المُسَمَّى بشكل غامض "النداء"، نداء الحضور في جهةٍ ما ضدّ مَحْوٍ مَا وإن اقتضى الأمر مقابلة هذا المحْو المشعور بهِ بين الأَهْلِ مثلاً بمَحْوٍ مضادّ ؟. أليست الذاكرة تفترض النسيان ؟ أليست هذه "المحاورات" في حدِّ ذاتها مقاومةً لما يمكن تسميته استبدال تجربة

الصَّمْت ؟ ليس الصَّمْت الإختياري كما لدى الزّهّاد والمقتصدين في الكلام على طريقة أصدقاء "النيرفانا" الهندية، إنّما المقصود ذلك الصَّمْت المُشَهَّر به، لأنّه يُفْرَضُ من قِبَلِ حرّاس المكبوت.

* 8 *

لم أخرج لا محايدًا كما أَرَدْتُ من هذه "المحاورات"، ولا سليمًا، إذْ حَرَّكتْ لديّ هذه المشافهات التوغُّلَ في العصيان الكتابيّ وبلا أسَفٍ منّي عَلَيَّ، ذلك أنَّ الكتابة لدى هادي دانيال سلطة مضادَّة ضدَّ "المقدَّر الميتافيزيقي"، وهي سلطة مضادّة أيضا وأيضًا ضدّ "المكتوب الإجتماعي" فيكون البديل التأسيسي المحلوم به لدى هذا "الفتى المِحَنيّ" : التمرّد الحبري، وهو التسمية الأخرى للرفض والانخراط الكلّي في الفعْل النضالي وبممارسةِ الكتابة.

لا فصل لدى هادي دانيال بين تجربة الحبر وتجربة الحياة، كتاباته ومشافهاته الحوارية، إنّما هي عناوين لِمران وجوده، وهي ظاهرة تكاد تكون نادرةً لدى "المشعور لهم" في الراهن الحضاري العربي الإسلامي مثلا.

قد تكون ثمّة نزعة استعلائية في هذه الحوارات تجعل الشاعر يَطْغى على المُحاوِر، كأنْ يعاقبه مثلاً على بلادَةِ أسئلته باستفزازه بأجوبة تربكه، وأحيانًا أُخرى يفاجئه "بتواضع" يجلده حَدَّ الألم، من ذلك مثلاً تأكيده المَرح باستحضار تجربتهِ البكْر إذ يقول : "لم أكن أبحث عن الإطراء ولا عن الإعتراف بي كشاعر له حيّزه في المشهد الشعري السوري مثلاً، كان هذا بعيدًا عن ذلك الفتى الذي يهجس بإنجاز مختلف عن كلّ ما هو سائد".

* 10 *

القليل من الحبر لا يكفي

الكثير من الحبر لا يشفي

عند التوغل في محاورة هذه "المحاورات" ندرك كم أنَّ هذا الفتى يمتحن بدوره تجارب المحنة الكتابية ناهيكَ عن الحياتيّة، إذْ ونحن نقرأه كم من مرّة يمكن أنْ تنطّ من ذاكرتنا حكمةٌ آتية من بعيد، تَغْدو كالتي تلسع، تمنع من النوم، توقظ أعضاء الجسد، تربك دورةَ الدم من الجهة اليسار للذي في الصدر/القلب.

"وما المرء إلاّ كالشهاب وضوئه

تحور رمادًا بَعْدُ إذ هو ساطع"

هكذا أشعر شخصيّا مع هادي دانيال ومع حكمة الشاعر "لَبيد"، وأكثر. ذلك أنّ "الفتى المِحَنيّ" يتقصّد أن يجرحكَ ويجرحني ويجرحكِ ويجرحنا ليعيدنا إلى بعض الأُلْفة مع ذواتنا، مع أعضائنا، مع أشيائنا الصغرى في جغرافيات أمكنتنا الكبرى، إنّه يكلّم الحميميَّ لدينا حتّى وإنْ كان جحيميًّا.

يقول شاعر "مدُن الغياهب"، "رامبو اللاذقاني" في لحظةٍ يمكن لي تسميتها بلحظة الإنبساط الحبريّ الأنيق، يقول ضمن ما يقول من آخر محاوراته : "أضْرَمْتُ الكثير من الهشيم بلهب أسئلتي التي تشفّ عنها كتاباتي(...)، فرضْتُ نفسيَ مختلفًا وضروريًّا أينما حَلَلْتُ، جعلت الآخرين يتقبلون اعتقادي أنَّ الكتابة نقديّةٌ أو لا تكون، وتعلَّمْتُ مراوغة الواقع بغية تغييره(...)، مراوغة اللغة بغية ترويضها واستيلادها، ولكنّ الأهم من ذلك كلّه أنّني بعد كلّ هذه العقود من الغربة الإبداعية أجد نفسي بصدد البدء بكتابةٍ جديدة هي التي من أجلها أدرْتُ ظهري لسلالة دمي

بحثًا عن سلالة الروح، لكن سيكون الأمرُ مُرَوِّعًا لو اكتشفتُ أنَّ سلالة روحي كانت نائمة في السلالة الدموية ولم يوقظها غير رحيليَ الدمويّ".

قليل من التعليق على هذا البيان الإعترافي لا يكفي.

الكثير من الحبر في هذاالمقام لا يشفي.

إنّ "الفتى الحَنِيّ" وبتسميةٍ واحدة إنّما هو كما العنقاء بناره يحترق ومن رماده ينبعث إذْ لا أحد من العابرين من الخَلْق يمكن أن يصدّق مَوْتَه، فما بالك بشاعر يريد مواجهةَ الموت بالكتابة "عيني عينك". من هنا نتمثّل صورة الشاعر لدى هادي دانيال، والتي تعود بلبوسٍ مختلفة في أكثر من حوار وبثابتٍ رئيس، فَمَنْ يمكن أن يكون الشاعر لدى هادي دانيال؟

"الشاعر كيميائيٌّ لغويٌّ" وفق عبارة أدونيس، كائن ليليٌّ غاضبٌ وإنْ بمحبّةٍ، رافضٌ، مُشْعِلُ فِتَنٍ لغويّة، مختلفٌ ضروريّ، مروّض الوحوش اللغويّ، القادح في سلالة الروح، انتحاريٌّ بامتياز، يزاول حياته في الوقت الضائع وباختصار فصيح شنفريّ الروح وغيفاريّ الهوى والمدى إذ يُعلن بلا تلبّكٍ تعبيريّ في حواره مع "الموقف العربي" ذات آذار من سنة الواقعة 1991 في صيغة بيانٍ كتابيّ ضد سلطة الاستبداد والمستبدّ المحليّ والكونيّ "..لأنَّ الكتابة عندي فعْل حرّ أو هكذا أطمح (...) منذ المحاولات الأولى كانت صرخة تحدٍّ ضدّ شتّى المؤسسات والمظاهر القمعية(...) كانت وسيلةً وهدفًا في الوقت نفسه لتحقيق ذاتٍ مهدَّدة بالإنسحاق (...) وأكثر "متراسا وملاذا أيضًا– صدّقني لَوْ لم أكتب وبغضّ النظر عن القيمة الفنية والمعرفية لما كتبتُ – لَوَضَعْتُ حدًّا لحياتي قبل أن أبلغ العشرين عامًا من عمري. ولهذا تجدني أسارع إلى التجنّد مع كلّ حركةِ تحرُّر عربيّة، ولكن سرعان ما أضيق ذرعًا، وأسعى إلى تحرير نفسي من حركات التحرّر(...) لأنّني أشعر بأنَّ

ارتباطي بحركةٍ ما تدعو إلى التحرّر تَسْوِيرٌ لمخيلتي وتحديدٌ لآفاقي الوجدانية والعقلية" وأكثر.

يذهب "الفتى المِحنيّ" في إخلاصهِ لمداده الجماليّ، للفتى الشاعر لديه، والذي هو إيّاه : "لا تزال الكتابة عندي فعل تحرر يقوم به إنسان مُكبّل، ولذا أشعر بأنَّ مدوّنتي الشعرية ما تزال، كمعظم المدوّنة الشعرية العربية، محاولات تكاد تلامس تخوم الإبداع المُرْتجى".

هذا "الفتى المِحني" عاشقٌ حبريٌّ لن يُشْفى، ميؤوس من استقامته !.

كم نحتاج اللحظةَ أكثر من أذن، أذن واحدة لا تكفي، أذن المحلل النفساني مثلاً وهو يمارس فعْل الإصغاء النشيط لمثل هذا البلاغ بكثافةِ تعبيره وما تخلّله من هنيهات صَمْتٍ لردِّ الأنفاس من غربتها لا غير.

قد تدلّنا هذه الأذن على معين الألم الذي تنبع منه هذه الكتابة لدى هادي دانيال. الكتابة عنده والكتابة الشعرية تحديدًا ترجمانُ أشواقٍ مغدورة، لذلك تراه وهو في نثره، وفي محاوراته هذه، يُعاودُ دعوةَ المكبوت بشكل استفزازي (Provocateur) !.

إعلانه أعلاه بيان مُمانعةٍ واحتجاج ضدّ "المتصلّب" و"المتخشّب" و"المتحجّر" الإجتماعي وما يليه، وتحيُّلٍ باللغة الشعرية على الحياة ومراوغة، وإن كان يدرك أنّها هشّة، لأسباب الموات المادّي والرمزيّ، العاطفي والقيَميّ. لهذا الأمر وغيره يمكننا القَوْل، وبلا حزن، إنّ الكتابة لدى هادي دانيال، وفعْل الكتابة تحديدًا L'acte d'écrire قِوامُ وجود، ودفاعٌ جماليٌ عن الحياة ضدّ مقابح الحياة ومسوّدات الحيوات التي نعيش.

الكتابة بهذا المعنى تقترن لدى هادي دانيال بمقاومةِ "مقام الزوائل"، التسمية الأخرى لكلّ أشكال الإغتراب عن الذات لدى الأهل في الوطن والأمّةِ والمنتظم الإنْسي،

ومن هنا سرٌّ جاذبيّة هذه "المُحاورات" لأنها تُعبّر عن المحلوم بِه لدى هذه المسمَّاة ظلمًا "الكتل الصامتةَ"، التعبير عن الحريّة بما هي حاجة ملازمة لِشرْط الإنسانيّة، كأنّما يردّد الشاعر تلك اللازمة الروسوية (نسبة إلى جون جاك روسو) : "إنَّ مَنْ يتنازل عن حريته يتنازل عن جوهر إنسانيّته"، الحريّة ضدّ جميع أشكال السلوكات الإستبدادية والمؤسسات الإستبدادية، المقنَّعة بأنبل ما أنتجت نُخَبُ الإنسانية المكافحة إنْ محليًّا أو كونيًّا، ألم أَقُلْ إنَّ الشاعر "الفتى المِحنيّ" شنفريّ النـــزوع، غيفاري الهوى والمدى، وأن تكون كذلك يعني أن تتوفّر على طاقةٍ من الرهافة الحاذقة لتلمّسِ وتحسُّسِ واستشعارِ الجمال أينما كانَ، ناهيكَ عن حميمية المكان الذي شهِدَ مثلاً، مسقط الرأس مثلاً، والاسم مثلاً، والرسم مثلاً، والمقصود هنا : سوريا الكبرى.

* 12 *

قليل من الحبر لا يكفي

كثير من الحبر لا يشفي

الغيابُ، الفقدانُ، الغُرْبة.. الحنينُ، مفاعيل جميعها تلهبُ الوجدان، فلا طُوبى للغرباء أحيانًا.

فَلْنُصْغِ إلى "الفتى المِحَنِيّ" في هذه "المحاورات" يتحدّث عن قرية "كفرية" بعد ثلاثين من الغياب، ولنتسلّح بالدعاء : "..أما قريتي كفرية فلا أبالغ إن قُلْتُ لك إنها أجمل مكان على وجه الأرْض، من بيتنا فيها أنّى اتجهتَ يحيطكَ الأخضرُ بتدرّجاته والبحر يبدو خيطًا أزرق تذوب فيه الشمس رويدًا رويدًا لحظة الغروب. هل ثمة طريق أجمل من تلك التي تربط اللاذقية بقريتنا ؟ لا أظنّ. هذا الجمال لا ندركه

إلاّ حين نفقده، أن تولد فيه وتعايشه يوميًّا لحظة بلحظة، لن تكتشفه، يجب أنْ تعبره كسائح كي تستمتع بجماليته وسحره، بل أنا الآن ومنذ بارحت سوريا أستعيد كلّ الأصوات التي سمعتها والروائح التي شممتها والعيون التي حاورتها والمسامات التي لمستها بكفي أو شفتي، وأشهق شَوْقًا، هذا لا يعني أنّني لن أستأنف غربتي التي هي غربة كلّ مبدع يتطلع دائمًا إلى الأجمل والأعمق والأعلى".

لعنة العشق إذًا على من لا يُبْكي عاشقًا في حديثه عن الغياب !.

* 13 *

هذا الشاعر الحكّاء كثير التبكاء في لَيله الكتابيّ بمكابرة، وما "قناع القسوَة القوليّة" لديه، أحيانًا سوى سلاح يذود به ما استطاع عن "روح اليرقة" التي تسكنه، تلك التي غالبًا ما يجتذبها النور فلا تحفل بالنار !!. من ذلك انجذابه البَرْقيّ- اللحظي لحركات التحرر العربية.. وقرفه الأكيد من سقوطها "الباذخ الأصيل" في مستنقع المكرور والمُعَاد، مع احتفاظ الشاعر الأكيد بـــ "سوابقه الشعرية" الملازمة لذاته القلقة، وإن كان يُعْلن في أكثر من مَوْضِعٍ وبسخرية :

"أنا لا أندم على شيء، لكنّ حماقاتي الكبرى أنّني كُنْتُ جادًّا مع عالم هزلي، وكنتُ صادقًا مع الكذابين، وكنت معرفيًّا مع الجهلة، وإنسانًا مع الوحوش.." إلى غير ذلك مما يعرف الناس. نعم هكذا يجيب الشاعر وأكثر، إذ يقول في حوار "الأيام" مستحضرًا مجاز "الطائر المهاجر" وقد مرَّ من تونس إلى قبرص وما يليها من "كوائن" الجغرافيات المحلية والمحيطية :

"العالم أضْيَق من أن يتّسع لجسدي النحيل... دائمًا أفتّش عن حرّيتي شَرْط إبداعي وغنائي (...) أنا ليبراليّ النزعة وخارجٌ، أمس والآن، وإلى الأبد، على الثوابت الغباريّة ولا ملاذ لي على سطح الأرض، وقد يكون القبر هو ملاذي الأخير."

ثمة مرافقة سريّة في هذا المكتوب – الملفوظ الدانياليّ لفكرة الموت الممزوجة بالقلق الوجوديّ تُحيلني على قَلقِ جدِّه السلاليّ "أبي العلاء" وإن اختلَفَ الأداء ونبرة التحدّي :

"يا موت زُرْ إنَّ الحياة ذميمة

يا نفس جِدِّي إنّ دهركِ هازلُ"

ما يقلق، ما يمسّ الروح يلسع، ما يكابده "الفتى المِحنيّ" فيضجُّ، يكتب، يبكي ويسخر، إنّما هو مُعاينتهُ ومعايشتُهُ نموَّ التدهور واستفحال العَطَب في بلاد العَرَب !.

لحظات الكتابة لدى هادي دانيال، لحظات الصدق العالي والعاري، وذلك ما نستشفّه من هذه الحوارات وما تتوفّر عليهِ من وضوح جارحٍ قد تكثّفها حكمة يرددها "الفتى المِحنيّ" –في سرّه– وإن كنتُ أشكّ بأنّي سمعتها منه على سبيل المهمهَمَة ذاتَ توغُّل في الغيوم : "الهموم إذا تكاثَرَتْ سقَطَت كلّها"!.

* 14 *

القليل من الحبر لا يكفي

الكثير من الحبر لا يُشْفي

استحضار الأصدقاء حاضر والجرح العراقيّ والفلسطيني وأمّ الشاعر والإعلان للإنتماء العربي، وإن كان كلّ شعور يسلّم ذاتَ الشاعر إلى غربة أو ما يشبه

الغربة، لذلك تجده كثيرًا ما يريد التخفُّف من الجغرافيا لصالح الذات، إذْ يعلن في حوار "الوحدة" 1993/3/6 انتماءه اللاّمشروط للدفاع عن الجرح العراقي فيستعمل عبارة "المعاناة الخلاّقة" وعبارة "ترميم المشروع" وأكثر. "العدوان الكوني على العراق (...) استهدف المخيلة والحواس"، تمَامًا كما يقول في شكل اعتراف "كنت صديقًا حميمًا لمنظمة فدائيي خَلْق الإيرانية التي يعود إليها فَضْل سقوط عرش الشاه"، كما يعلن تعريته لنماذج من "المثقف الانتهازي" إلى غير ذلك من التصريحات الجريئة التي تشخص ما آلت إليه أوضاع "حملة القيم" من أصحاب القَلَم من تراجُع وانكسار، إذْ هي مَرَض من ضمن منظومةٍ من الأمراض كالطائفية التي يعتبرها هادي دانيال "مرضًا مشرقيًا".

"إنّ وقوفي مع التجربة العراقية هي وقفة مع ذاتي في لحظة تاريخية عظيمة، وأحمد الله أنّني عُرِفْتُ مع العراق الفقير المجاهد المحاصر، ولم أُعْرَفْ مع عراق الطفرة البترودولارية".

إنّ مثل هذه الشهادات لتزيدنا تقديرًا لمثْل هذه الحوارات، لأنّها تصدر عن قَلَم حُرّ ملتزم ومناضل إنْ على الجبهة الشعرية أو القيميّة السياسية، فَهُوَ شاعر ملتزم ولا يخفي ذلك، غيْرَ أنَّهُ لا ينحني لما يطلبه الشارع :

"أنا شاعر أمة ولست شاعر شارع".

ذلك لا ينفي تقديره العالي وتثمينه للتراكم النضالي للشخصيات الكونية : "روح غيفارا تلهمني عَدَم الإنحناء" وأكثر، مع ضرورة التمييز بين التشابه والتطابق والمجاوزة والتجاور في التجارب النضالية والكتابية بين الشعراء أنفسهم.

يتسلّح "الفتى المِحنيّ" أحيانًا بحكمة البرقة، يرى النور ولا يرى النار، ينحاز بجماليته العالية إلى الهامشيّ والمظلوم والحالم ضدّ عنف وغباءِ من يمسكون بعنق

العالم : "أنا شاعر متمرّد ولست فوضويًّا"، وإن كان يعترف بأنّ بدايته الكتابية كانت مكايدةً لكلّ ما هو مُتَسَلِّط، تبحث عن الممتع والمبهر.

هل اختفَت هذه الدهشة ورغبة الإدهاش؟ لا يبدو أنّ الأمر كذلك، ذلك أنّ هذه الحوارات بالذات تذهب في مداها إلى استنطاق المدهش "الكامن في العاديّ"، ذلك الذي يفتح المطارحة مع الحيز الغامض في البديهي أو ما يبدو أنه كذلك بالنسبة للإنسان العادي.

إنّه على يقين من أنّ جفاف الأنساغ شعريًّا وفقًا لعبارته، إنّما تكمن في الغفلة عن مساءَلة البداهات، من ذلك استحضاره لبيروت، بيروت المكان، الفضاء الجغرافي والكائن المعماري والمرجع العاطفي والنضالي.

إنّ علاقة هادي دانيال بالمدن جديرة بالتأمُّل في هذه الحوارات، فإذا كان يعلن باشمئزاز له ما يفسّره وما يبرّره في لحظات فالتة، لحظة تَقتُّل للمعنى، معنى أن يكون موجودًا في هذا المكان بالذات دون سواه، يظلّ حنينه للمدن التي مرَّ بها كلّيّ الحضور بحميميّة لا تخفى على ذي حسّ مرهف : "بيروت هذه كانت حاضنة مرحلة مهمّة وحسّاسة ومفصلية في تجربتي الشعرية، وسنواتي فيها كانت سنوات جَمْرٍ وخَمْرٍ وانعتاق مُطْلَق أسَّسَ كيانيَ وَطَبَعَهُ".

فأيّ ألفة مع المكان؟ فَهل الحجر أكثر إخلاصًا من البشر ؟، الأصدقاء؟. يجيبنا "الفتى المِحنيّ" : "عقارب ما أن تدير ظهركَ حتى ترجمك بفائض سمومها (...) غريب أن يحسدكَ الصديق على آلامك (...) لست بطلاً ولكني أرفض أن أكون الضحيّة".

إنّ هذه الحكمة قد يكون أمْلاها المكان، إذْ هكذا، نعم هكذا، يجيب محاوره في "الأيام" التونسية سنة 1987 ، ليضيف : "النميمة المرَّة والقهوة الحلوة هُوَ ما غنمتُ من مقاهي تونس"، ومع ذلك تبقى الكتابة، والكتابة وحدها، المتّكأ لدى

الشاعر عند نزول النوازل، وهو ما يبرّر التساؤل عن مستلزماتِ الكتابة و"إيطيقا" الكتابة لدى "الفتى المِحنيّ".

* 15 *

قليل من الحبر لا يشفي
ترك الجرح مفتوحًا قَدْ يشفي
الجوع !
"العشاق الكبار قد تربّوا في مدرسة الجوع"
كما وردَتْ الحكمةُ في رواية "بيوغرافيا الجوع" لإيميلي نوطومب
الجوع ؟،
ولكن أي جوع ؟

إنه جوع الكاتب الحرّ والشاعر الحرّ، والكائن الحرّ، للحرية التي ينادي بها هذا "الفتى المِحنيّ"، إذ هو يحرّضنا في هذه الحوارات بحرارة على الدفاع عن الحرية ضدّ الخائفين من الجَوَلان الحرّ للأفكار الحرّة حَوْل شروط إمكان تحقيق الحريّة.

الكلّ خائف من الكلّ، وكلُّنا في الهمّ هَمّ، هكذا تقول لنا هذه الحوارات — مرّة أخرى وبالعديد من الصياغات وفي أكثر اللقاءات ينادي هذا المُتسَمّى "ساكن الريح" بالدفاع عن الكرامة الإنسانية ضدّ السياسات العربية الإسطبلية التي دوَّخَت الخَلْقَ وَجَعَلَتْ منهم حيوانات زريبية بسلوكات قطيعية، يقول كلامه ولا يمضي، يقوله بالفم الملآن وفقًا للأداء الشعبي التونسي، بعيدًا عن تعاسة كياسة المجاملات التّعيسة التي تشوّش على الناس، فأيّ توغُّل في الدورة الدموية في هذه الأمّة التي

تعاني من "الدم الفاسد" السالك في مسالك أعضاء ميتة خوفًا من اللامتوقّع التاريخيّ في هذا المنعطف الحضاري !

مزيدًا من الجوع إلى الحرية أيها "الفتى المِحنيّ".

إلْيَلٌ لَيْلُهَا، مزيدٌ من التوغّل في "إيطيقا" الرفض الجماليّ فَضْحًا وكشْفًا عن جميع أشكال السماجة "السيميولوجية السائدة".

مزيدًا من النرجسية الخلاّقة والإعتداد بالذات في زمن تفتيت الذوات : "الشاعر الحقيقي يجب أن يتصرّف مع نفسه ومع نَصّه على أنّه الشاعر الأوَّل في عصره إن لم أقُلْ في كلّ العصور(...) هذا ليس فقط من حقه بل هو ضروري(...) هذا يعمّق من مسؤوليته إزاء نفسه وإزاء نصّه". هكذا يقول سليل المتنبي في المعنى والمحنة، صاحب "موسيقى لانكسارات الروح"، فَهَلْ كان "الفتى المِحنيّ" ذات يوم من الأيام طفلاً؟.

إنَّ الشِّعْرَ فاعليّةٌ للإصغاء إلى الذات الفرديّة إذا تعطّلَتْ كلُّ شروط إمكان التواصُل لحظَة لا وَقْت لدينا لنستمع إلى أنفسنا، يصرّ الشاعر على أن يستمع لنفسه المهرّبة من ضجيج السوقة زمن عبادة السوق. إنّه يدين بهذا الفعْل تبذير فائض الوقت "الكافي للتنازع مع أنفسنا".

ما يمكن التأكيد عليه بالأحرف الغليظة إنّما هو رقّة مشاعر هذا "الفتى المِحنيّ"، الشاعر المزعوج في سويداء القلب من التلوّث الإيكولوجي العاصف بعواطف الإنسانية والمتلف لأكبر القيم جدارةً بالإحترام الكوني. العدل والحبّ والحرّيّة إنّما هي متعلَّقُ الشاعر هادي دانيال ومعلّقته الأبديّة في هذه الحوارات التي طافت بنا في الكثير من "المجرّات" الثقافية والسياسية والعاطفية، بنحافة جَسَدٍ مُحَصَّنٍ بصلابة روحٍ تصرُّ على أن تدير الكلام على كيفها، ليدور الكلام على كيفه بلا خوف. صدقًا

ولا أقنعة

وبلا رَمْرَمة

إنه يرفض تبادل الحديث بأنصاف الكلمات، لذلك طاف بنا إلى التخوم القصوى، لأنَّ التحاوُرَ بأنصاف الكلمات يقودُ إلى سوء تفاهُم كاملٍ.

هكذا تعبِّر الحكمة العفوية، أليست أحكامنا عند كلامنا الحلو أو المرّ تعبيرًا مأساويًّا عن احتجاجاتنا ؟.

هذه الحوارات ترفض أَن تكون في غيبوبةٍ عمّا تريد وعمّا لا تريد بعيدًا، ذلك أنها "لا تخلط بين ما هو حقيقي وما هو من فعل العادة" وفقًا لحكمة الحكيم/الروح الكبيرة غاندي.

كأنّني أسمعه يردّد اللحظةَ وبشغف من علَّمَتْه التجربةُ : "إذا كنّا نحمل قناعًا ويحمل الآخر قناعًا فليس الذي بيننا علاقة، بل نحن نعيش حفلة تنكريّة".

وهكذا خرجت بهذه الحكمة بَعْد قراءة متواطئة والسير بعيدًا في مجرّات هذه الحوارات مع "الفتى المحنيّ" مستحضرًا حكمة السلالة "المعنى من كلّ شيء محنته" وإن لم يحب أكثر الخلق، وبرفقته "..تَعَلَّمْتُ ما لن أنساه أبدًا، لأنّه في جوهر كلّ واحد منّا توجد البلادُ بأسرها" حسب تعبير غابرييل ماركيز في مذكراته !.

اجـتُـرِحَ في تونس 2006/3/13

هل خانَ شاعر مدنِ الغياهب الطريق ؟

... "الشاعر يجب أن يتمثّل في شعره إلى حدّ ما، فإذا كان شاعرا مجيدا فشعره مرآة نفسه وعواطفه ومظهر شخصيته كلّها، بحيث تستطيع أن تقرأ قصائده المختلفة فتشعر فيها بروح واحدة ونفس واحد وقوّة واحدة. وقد يختلف هذا الشعر شدة ولينا، ويتباين عنفا ولطفًا، ولكن شخصية الشاعر ظاهرة فيه محققة الوحدة الشاعرية التي تمكّنك من أن تقول : هذا الشعر لفلان، أو هو مصنوع على طريقة فلان".

انبجست في ذهني، هذه العبارة لطه حسين وأنا أتحسّس مدوّنة هذا الشاعر الذي راودتني نصوصه أكثر من مرّة في إحدى المكتبات العمومية في إحدى ضواحي تونس العاصمة التي سمعت أنه يقيم بها منذ سنوات.

يقول فيه أحمد مطر بأنّ له "إمكانية رائعة على مزج الغنائية بالصور الحياتية الصلبة الحادة، وإلى ذلك قدرة متكيّفة، فهو قاطع ممتلئ في قصيدته المكثفة، وهو صبور ذو نفس طويل في قصيدته الطويلة..."

هو بلا شكّ الشاعر السوري هادي دانيال من مواليد اللاذقية سنة 1956 صاحب "بردى... ووفود الجوع" و" أناشيد النورس" و"رؤى الفتى" و "سداسية تغريد البطمة" و"غليون لتدخين الأحلام" و"قصائد الحرب" و"يتشكّل الغيم في رحم المدينة" و"عشبة على حجر" و"موسيقى لانكسارات الروح " و "المسرح العربي على ركح قرطاج" و "رأس تداولته القبعات" و "كأن الردى بردى" ..... هادي دانيال الذي قال فيه بلند الحيدري : "في كل [دواوينه] تتحوّل كلماته وصوره الشعرية إلى مجموعة من الرموز الشفافة التي يتداخل فيها الخاص والعام وضمن معادلة مرهفة ما بين حزنه الواقعي والإيماءات السريعة للعديد من الوقائع التي سبق وأن تعرضنا لقهرها مواطنين وأوطانا".

... بعد أن استنجدت برفيق "عمره الحبري" الكاتب الحرّ سليم دولة عرفت سيرة دانيال الإنسان فازددتُ احتراما لهذا الرجل الذي لم ينثن رغم عذابات الدنيا وما جاورها.

غادر هادي دانيال قريته الصغيرة باللاذقية ولم يكن قد تخلّص من "ريش الحرام" بعد، كان بعد طفلا، لكنه كان طفلا عجيبا، طفلا مسنّا، دفعه جنونه إلى المغامرة مبكّرا والمقامرة بفراش العائلة الدافئ ليقتحم برد الخلاء وصقيع المجهول، هكذا عبر الشاب الصغير حدود سوريّة ليبدأ رحلة شعر ونضال عجيبة، رحلة تيه بين مدن عالمية كثيرة ترويها هذه الذاكرة المحمومة في هذا الحوار

الاستثنائي الذي يرصد تجربة شعرية استثنائية.هذا حوار صريح وخطير قد يجرح ويخدش حياء بعضهم، حوار ثائر قد يطير بأوراق بعضهم، وقد لحقني أنا شخصيا بعض من ثورته فأحببت ذلك منه، حوار تلقائي بلا نوايا، حوار وحشي يقول ما يجب أن يُقال بشجاعة في زمن جبان / زمن الجبان. حوار من القلب الحزين، المرهق بالترحال وبالعشق وبالتمرّد... حوار مع الرجل المعنى المطارد من اللامعنى، هاهو رجل المسافات الطويلة يفتح اليوم ذاكرته العميقة لندخل إليها، أنا وأنت فأشْعِلْ شمعتك وبسمل (إن شئت)، ادخلها بعينك اليمنى أو اليسرى كما تشاء فالأعماق واحدة، عليك فقط أن تحدّق جيّدا في الظلام، ظلامهم، هناك بعيدا، ضوء بلون حلمك...

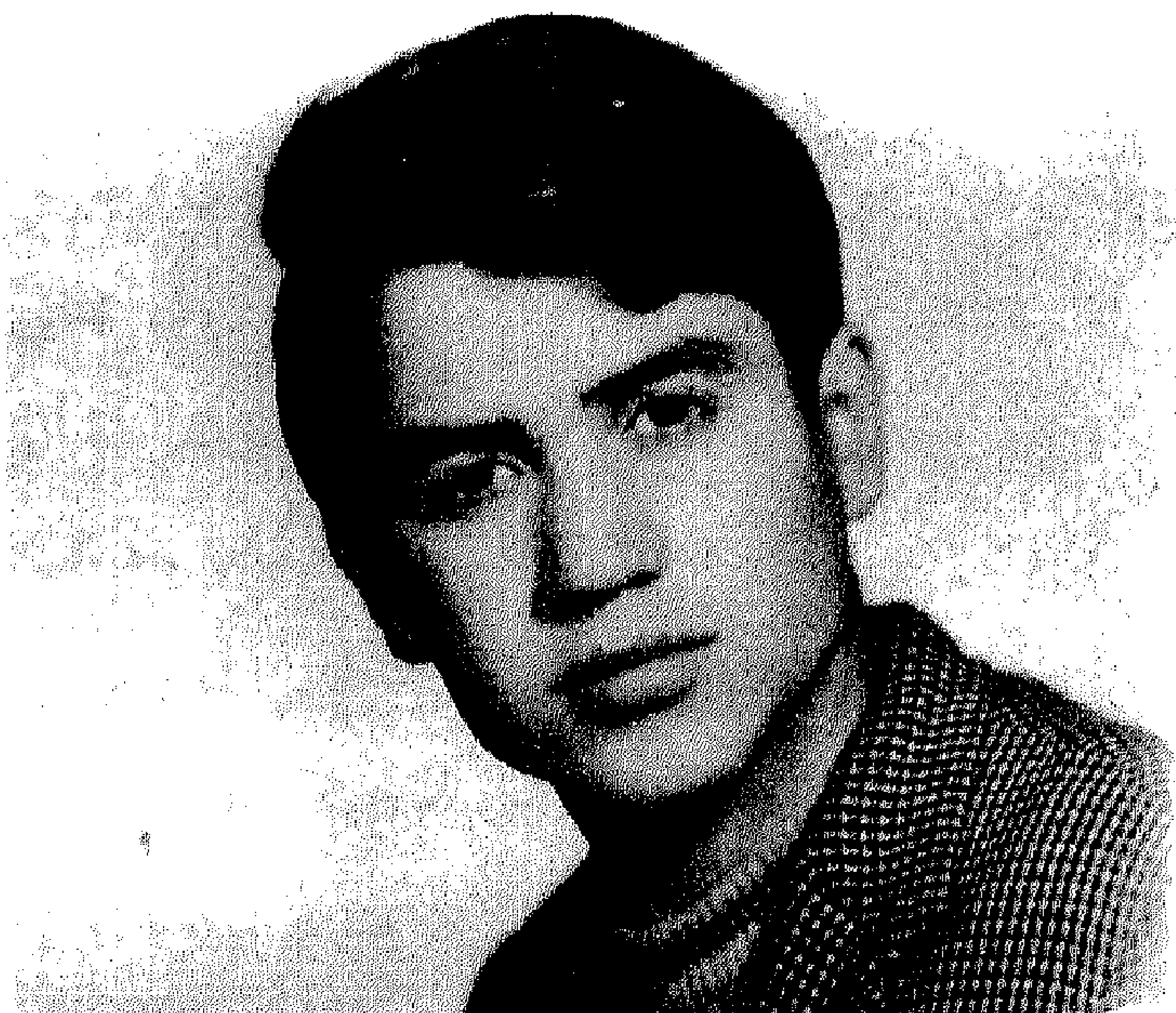
- **طفولة الشاعر هادي دانيال : كيف وقعتها الأيام في قريتك السّورية ؟ وهل كان لها أثر في تشكيل نسيج شخصيّتك الشعريّة ؟**

سؤالك يحيلني على سؤالٍ أنكأُ به جرحًا / مسامةً : هلْ كُنْتُ طفلا، يوما ما ؟ أكاد أجيب بالنفي لولا ما يراوغ الذاكرة من صُوَرٍ غائمة تنفلت من أُطرها الباهتة إشارات إلى كائن هشٍّ رفضَتْهُ أمّه الصغيرة لحظة انبثاقه من أحشائها، وإلى نساء يُفاخرْن بأهنّ أرْضعنَ من أثدائهنّ ذلك الطفل الجميل الذي كان خاله الموسيقي يفاخر به أصدقاءه، ويتنبّأُ له بأعلى المراتب في البلاد. لم أعرف الجوع العاري ؛ فالإصلاح الزراعي وتوزيع ما كان يحتكره الإقطاعيون من أراض على الفلاحين

جعَلَ جوعنا وفقْرنا مقنَّعين، كُنّا نأكل اللحم في الأعياد، لكنّ أرضنا كانت تجود علينا بقمح للخبز والبرغل، وبخضار وفواكه الفصول كافة، ولكنّ ذاكرةَ فمِي لا تزال تمتعض من طعم الخبز المدهون بالزيت ومرارة صمغ أوراق التبغ الخضراء التي نتربّع أمامها صغارا وكبارا ذكورا وإناثا من الصباح إلى الغروب في حلقات أو أقواس، نُدخلها في خيطان القنّب ليُصار إلى نشرها كي تجفّ كلّ صيف ! فهذا كان مصدر رزقنا الموسمي " قبل أن ينتقل ربّ الأسرة إلى العاصمة ليعمل في شركة للنسيج. لكنّ ذلك الكائن الصغير الذي كنته بجسده النحيل كان محموما بالأحلام والرغبات وفي الآن نفسه كان الحرمان يسوطه صباحا مساء إلى أن نضجَتْ روحه قبل جسده، فبعد أن تعوَّدْتُ على لَفْتِ الأنظار إليّ بجمال "خلقي" صرتُ أتعمّد لفتَ الأنظار بقول نوع من الزجل الذي يرتجله الزّجالون في السهرات القرويّة حول الموائد المزركشة بكؤوس العرق الصغيرة التي يخفق النسيم بعطرها مضمّخا فضاءات القرية... وحين أتحدّى أولئك القوّالين الكبار الذين يرتجلون ما يقولونه في اللحظة، كنت أطلب أن يمنحوني فسحة من الوقت أكتب خلالها ردّي عليهم على الورق ثمّ أقرأه، فكان بعضهم ينتظر مبتسما ومشجّعا برحابة صدر، بينما البعضُ الآخر كان يرفض متجهّما وقد يهتزّ شارباه غضبا، لكنّ صفة الزّجال الصغير لحِقَتْ بي وعندما عدتُ بعد ثلاثين عاما إلى قريتي فوجئتُ بنسائها – العجائز الآن – يردِّدْن على مسامعي ما يزعمْن أنّها من أزجالي في هجاء بعض رجال ذلك الوقت في القرية !

لكنّ القرية محفورة في ذاكرتي بخضرها المزهرة والقاتمة، المبهجة والملبّدة بالغيوم وبياض ثلجها ومزاراها. أذكر القرية وناسها وينابيعها ودروها وما عرفَتْهُ من عابرين غرباء كالمجنون الشيخ يونسَ والغجر (القرباط) ورجال الدين القادمين من قرى أخرى لجمع الزكاة، والعابرين على الحمير إلى شركة الإسفلت، لكنّ طفولتي





الفتى هادي دانيال – دمشق – 1971–1972

فيها تتغلغل بين طبقات الذاكرة الوعرة كينابيع جوفيّة. على مرتفع صخري مُجوَّف تنبت بين شقوقه شُجيرات خضراء كُنتُ أقرأ حتى تغرب الشمس كُتب عمّي الأصغر، وخصوصا روايات نجيب محفوظ وسلسلة الأهرام من الروايات البوليسية وكتب جبران والمنفلوطي في العطلِ الصيفية، ومن مكتبة عمّي تلك قرأت أعدادا من مجلة (المختار) وكتيبات ستالين وأعدادا من سلسلة اقرأ المصرية. وخلال قراءاتي كانت تمرّ أمامي الأفاعي السوداء الطويلة أخالها تنظر إليّ فأُخفي عنها عينيّ في الكتاب الذي أقرأ إلى أن تختفي ؛ كنتُ حينها في سنوات الدراسة الابتدائية، ومرّة زارنا في بيت القرية درويش مصدور اسمه "حسن كفى" نظر في كرّاسي المدرسيّ وأنا أكتب واجبا ما فقال : "ستكون كاتبا وأديبا كبيرا"، فاستغربت كلماته بصمْت. وعلى نافذة بيت القرية التي تطلّ على وادٍ سحيق وقريبا من عتبته التي ولدْتُ فيها سهرتُ حتى الفجر أقرأ رواية "البؤساء" لفيكتور هيجو وأبلّل صفحاتها بدموعي.

لقد حملتُ قريتي في ذاكرتي ووجداني، خصوصا البيت الذي ولدْتُ فيه، ومنه أُطلّ على أُفقٍ من تلال خضراء وراءها البحر يبدو خيطا أزرق يمتصّ الشمس كل غروب، وربما صرتُ أعيد تشكيلها كما أحبها أن تكون لدرجة أنني صرتُ أخال خروجي منها خروج آدم من الجنة، وقد قضيتُ فيها أياما بعد غياب ثلاثين عاما بدتْ لي خلالها أجمل وأكثر سحرا وأشدّ فتنة للناظرين العابرين ربّما، لكنني منذ تركتها أنتظر بلهفة ذلك اليوم الذي أبدأ منه استئناف إقامتي الدائمة فيها إلى أن أتلاشى في أعماقها وأستحيل يخضورا أو نسغًا في عروق زيتونة أو زهرة بريّة !.

بين نبوءتي الخال الموسيقي والدرويش المصدور بدأت شخصيّتي الشعرية تنتسجُ، رغم أنّ خالا زجالا أورثني القلق والهجرة إلى بيروت التي عاد منها في كفن بعد أن

تعرّض لحادث سير عندما كان يستعد للعودة النهائية إلى الوطن، فعاد نهائيًا ومباشرةً إلى مقبرة القرية.

- **لنتوقّف عند أسخف ما نحمله : الأسماء، ولنفكّ طلسم اسمك أولا : هادي دانيال، هذا الاسم الحامل لمتناقضات، فأنت الهادي، اسم من أسماء الله الحسنى وأنت دانيال اسم يوحي بعجمة للوهلة الأولى ولكنّه أيضا اسم نبيّ ظهر في بني إسرائيل، وأنت الهادي من هدوء، والحال إنّك الثائر أبدا. كيف تتعامل مع هذا الاسم ؟ أي إحساس يراودك ساعة تضمّ شطريه متى كتبته ؟ وهل أرضى غرور الشاعر فيك، الشاعر الذي تنتابه أحاسيس النبوّة والألوهيّة بين اللحظة والأخرى؟.**

أنا نحتُّ اسمي كما ينحتُ تمثال من صخرة أو جذع شجرة، فقد أخرجْتُ (هادي دانيال) من (عبد الهادي دانيال الوزة)، لماذا ؟ وكيف ؟ أمتنع الآن عن ذكر ذلك تفاديا للتأويل السيء والمسيء. لكن متى وأين ؟ فقد حصل ذلك لأوّل مرة في بيروت سنة 1975 مع الأشهر الأولى من الحرب الأهلية اللبنانية. وقد ارتسم اسم هادي دانيال لأوّل مرة على الصفحة الأخيرة من مجلة "الصمود" ثم على الصفحة الأخيرة من مجلة "الهدف"، وهما مجلّتان فلسطينيتان، الأولى كانت لسان جبهة الرفض والثانية لسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

لكنّني تنبّهت في هذه اللحظة إلى أنّ طريقة تغيير وتحديث اسمي كانت مؤشّرا لطريقتي في تغيير وتحديث كتابتي الشعرية، فأنا في التغيير والتحديث أشذّب وأهذّب وأنمّي وأطوّر وفي هذا السياق أستغني عن الزائد والفاسد لكنني لا أدمّر ولا أُخرّب لأبني على الأنقاض ولا أستبدل تراثا بتراث أو مرجعيّة بمرجعيّة فكتابتي

وتفكيري وثقافتي رغم انفتاحي الكبير على الآخر لا تقوم على الاستبدال الذي غالبا ما يكون مازوشيا.

- **أطلقت على ابنك من الأسماء اسم مهنّد .هل تعتقد أنَّ على الشاعر أن يحمل كلمته سيفا ليقارع طواحين الجهل أم هي دعوة صريحة لاستعادة صورة الشاعر الفارس بخيله و ليله و سيفه و قرطاسه ؟**

أطلقت من الأسماء على ابني الثاني اسم "أوراس" وعلى الثالث اسم "أوس"، وهي مع اسم "مهند" جميعها ترمز إلى الصراع من أجل البقاء والانعتاق والتفوّق. كلّ شعر حقيقي (يقارع طواحين الجهل) بما يحمل من معرفة، وكل شاعر أصيل هو في زمانه ومكانه وعصره صورة أخرى للمتنبّي. الفروسية تنبض في جينات الشاعر العربي، لا تأمن السلطة جانبه حتى وهي تزين به بلاطها. أمّا أولئك الذين لا معرفة في شعرهم ولا فروسيّة في سلوكهم فهم مجرّد أشباه ينبهرون ويبهرون من هم دونهم بتلاعب تقني بالألفاظ والجمل إيهاما بحداثة فارغة هي نسخة معاصرة لقصيدة عصر الانحطاط توازي ما نلمسه من انحطاط سياسي وقيمي يحفّ بنا.
وبالمناسبة أطلقت على ابني الأول اسم مهنّد تيمّنا باسم مستعار لصديقي المفكر السوري المناضل أسامه الهندي حمله كتابه (الثورة الاشتراكية والموقف الأممي) الذي كان يحمل حلما بالتغيير على مستوى الكوكب أشهد أنني شاركته فيه بالقلم والألم، وكان اسم أسامة المستعار "مهند الشفيع".

• **لنعُد إلى البدايات، حدثنا عن أول قصيدة نُشرت لك، متى كان ذلك وكيف استقبلت الكلمات التي كتبتها في خلوتك وهي تُعرض للجميع، الأصدقاء منهم والأعداء ؟**

كان ذلك سنة 1972، كنتُ أخشى أن يعرف والدي بأمرها، كان يعتقد أنّ الشعر يدفعني بعيدا عن الدين ومقاعد الدراسة، كنتُ في نظره زنديقا صغيرا يجب إعادته إلى جادة الصواب ! لذا لم أشعر بمتعة ما في تقبّل أول نصّ شعري لي مطبوعا في مجلة، لاحقا نشرت صحف ومجلات عديدة قصائدي ولا أحد تقريبا كان يعرف أنني أنا هو الشاعر، حتى أساتذتي وزملائي في "إعدادية الواقدي" بدمشق لم يدركوا ذلك إلاّ عندما اتّصل بإدارة المدرسة رئيس تحرير مجلة (جيل الثورة) الشاعر بندر عبد الحميد ليتأكّد من أن عبد الهادي الوزة الذي خصص له زاوية نصف شهرية في المجلة يحرّرها بالمراسلة اسمها "الرسالة الزرقاء" هو فعلا تلميذ في هذه المدرسة الإعدادية كما يدّعي، ولاحقا عندما زرت القرية ذات صيف قام والدي باقتلاع اسمي عن نصوصي المنشورة مستخدما شفرة حلاقة وإتلاف كتبي غير المدرسية بطريقة أغاظتني بل قهرتني مما أنضج بسرعة قراري مغادرة منـــزل العائلة نهائيا، في البداية إلى النـــزول ضيفا مؤقتا عند الصديقين القديمين الرسام والشاعر السوري زهير غانم والرسام العراقي صالح الكردي. ولكن قبل ذلك كان صديقي بندر الذي اتصل بي على هاتف إعدادية الواقدي قد دعاني لزيارة المجلة وزيارة بيته ومعه دخلت أول مرة مقهى ومطعم النجمة وأهداني كتاب (الشعر والتجربة) لـــ"ماكليش" الذي أثّر بي كثيرا مثله مثل كتاب الراحل الرائع صدقي إسماعيل "رامبو، قصة شاعر متشرد" الذي قرأته مع "الأغاني" والأعمال الكاملة للسيّاب والبياتي وأدونيس وحاوي وعبد الصبور و"ديوان الشعر العربي" لأدونيس



هادي دانيال الأول من اليمين في أول مهمّة صحفية له سنة **1973** لتغطية بناء سدّ الفرات في مدينة الطبقة.

من مكتبة الصديق محمد خالد رمضان. تحت تأثير كتابي ماكليش وإسماعيل قرّرت ربما ليس فقط ترك منـــزل العائلة بل وتجاوز حدود بلادي. وبالمناسبة في تلك الفترة رشّحني بندر عبد الحميد لتغطية البدء في إنجاز مشروع سد الفرات، واستقبلني وزير السد حينها نور الله نور الله، هكذا كان اسمه على ما أذكر، مع ممثلي بقية الصحف ووسائل الإعلام السورية. كانت أول مهمة صحفية أقوم بها، وقد نشرت (جيل الثورة) ما أنجزتُه، وهو مجموعة مقابلات عن معاناة العمّال المياومين في هذا المشروع تحت عنوان (سد الفرات في عيون الفقراء) أثارت حفيظة الوزير وسخطه، كما نشرت لي مجلّة "جيش الشعب" التي كان يشرف على قسمها الثقافي حينها صديقي الشاعر الراحل ممدوح عدوان في فضاء (قصيدة العدد) قصيدتي التي استوحيتها من تجربتي الصحفية الأولى بعنوان (عندما يفسد الدم في الشرايين)، وهنا أشير إلى أنّني في الصيف الذي سبق هذه الفترة التي غادرت المنـــزل خلالها عملت في الشركة الخماسية للنسيج ثلاث أشهر أو أقلّ وكتبت قصيدتي (يوميات عامل في الخماسية).

إذن لم أعرف بهجة المفاخرة بنشر النصّ الأول، بل والنصوص الأولى التي لم تضمّ مجموعاتي الشعرية العشرات منها، لأنّني كنت أخوض صراعا سرّيا ليس من أجل الإعتراف بي كشاعر، بل من أجل التحرّر من التزامات الدراسة والمجتمع، حتى الشاعر ممدوح عدوان وزميله رياض عصمت كانا خلال فترة مناوبتهما في مجلة "جيش الشعب" يعطياني دروس تقوية في مادتي الإنكليزية والرياضيات للتمكّن من نيل الشهادة الإعدادية، لكنّ المفارقة أنني في موعد تقديم امتحان هذه الشهادة تحديدا اخترت الذهاب إلى مدينة الطبقة لتغطية البدء بإنجاز مشروع سد الفرات فعدت عوضا عن الشهادة بأول تحقيق صحفي وبقصيدة احتفى بها ممدوح عدوان نفسه عندما نشرها قصيدة العدد.

• الرحيل الأول : متى بدأت حكايتك مع الرحيل ؟ متى بدأت تدغدغ قدميك المطارات وتغويك البواخر والطائرات للإبحار والتحليق في أرض التيه ؟.

كما أسلَفْتُ، بعد قراءتي كتابي (الشعر والتجربة) و(رامبو، قصة شاعر متشرد)، وربما بعد أن سكنتني طفلا حكايات والدتي الباكية حول أخيها غير الشقيق، الشاعر الزجال الذي غادر إلى بيروت مبكرا، فكرت في التوجه صوب بيروت. كنت تحت السن القانونية التي تؤهّلني للسفر بمفردي، فالوسيلة الوحيدة تبقى سيارة الأجرة التي أقلتني إلى الحدود السورية اللبنانية، حيث تسلّلت من خلف الموقع الحدودي إلى الوديان ودخلت الأراضي اللبنانية، وحين استوقفني رجلا أمن يطاردان المهرّبين اختلقت حكاية مؤثرة زعمت فيها أنّ والدي طلق والدتي وتركني وشقيقاتي بلا معيل، فطلبت أمي مني الذهاب للعمل في بيروت عساني أعيلها، فدمعت عينا الرجلين وأوصلاني إلى طريق شتوره، وهناك استقلّيت سيارة أجرة لبنانية إلى بيروت. عندما دخلت الأرض اللبنانية شعرت أن للسماء لونا آخر، بدت السماء خضراء وانتابتني أحلام يقظة استعدتها في بعض قصائدي.

• أين حطّت رحلتك الأولى؟ وكيف قضيتَ ليلتك الأولى خارج فراشك؟ يقال إن الليلة الأولى أصعب ليالي الغربة والمنفى، هل تذكر أنّك ارتكبت قصيدة ليلتها؟.

كنتُ أحمل معي رسالة إلى الشاعر سليم بركات من صالح الكردي وزهير غانم. وقيل لي أن أسأل عنه في "دار العودة". كان سليم قد سبقني إلى بيروت ولكن بدعوة من الشاعر أدونيس الذي أصدر له مجموعته الأولى (كل داخل سيهتف من



هادي دانيال سكرتير تحرير مجلة (الهدف)
في مكتبه بكورنيش المزرعة - بيروت 1977

أجلي وكل خارج أيضا) عن منشورات "مواقف"، وأمّن له عملا كمصحّح في "دار العودة" التي كانت "مواقف" تصدر عن مطابعها. وصلت مساء إلى "دار العودة"، حالفني الحظ بأن وجدت شابا يعرف سليم بركات وأين يسكن، فأخذني إليه على دراجته النارية. فوجئ سليم لأنّه لا يعرفني، لكنه تذكر كتاباتي، واحتفى بي أكثر بعد أن قرأ رسالة صالح وزهير. لكنه قال لي بلهجة لم تعجبني : "أنت طبعا تريد أن تقابل أدونيس ؟" فأجبته على الفور : "طبعا لا !" وبعد فترة صمت قال لي : "عُد إلى دمشق، من الصعب إيجاد عمل هنا، عندما أجدُ لك عملا أعدك أن أُرسل إليك" فقلت له : "هل تعرف شريف الربيعي ؟" قال : طبعا. قلت له: معي رسالة إليه هل توصلني إليه ؟ كان الربيعي سكرتير تحرير مجلة "إلى الأمام" الفلسطينية، وهو شاعر عراقي توفي قبل سنوات في لندن. نمتُ أول ليلة لي في غرفة الشاعر سليم بركات وفي اليوم التالي التقيت الربيعي في مجلة "إلى الأمام".

لم ألْتقِ سليم بركات إلا بعد سنتين في مجلة "الهدف" حيث كان محررها الثقافي، وقدمت لأعمل مصححا فيها. وبعد أشهر توفي "طلال رحمه" صديق سليم الذي كان محررا ثقافيا في مجلة "فلسطين الثورة" فغادر سليم "الهدف" ليحلّ محلّه، وحين قال له بسّام أبو شريف : وهنا من يستلم القسم الثقافي ؟ قال له : هادي دانيال. وهذا ما حصل!.

وبقينا صديقين يكنّ واحدنا للآخر ودّا غامضا لكنه عميق وصادق، فقد جمعتنا بعد بيروت تونس ونيقوسيا وهو الآن في مكان ما من أوروبا، إنه صديقي ومواطني الكردي السوري، شاعر الشعراء والروائيين باللغة العربية!.

في اليوم الثاني نمتُ عند شريف الربيعي، وفي الليلة نفسها بدا أنه لم يصدق أنني شاعر، فكان يراني صغير السن خجولا غير جدير بالمديح الذي غمرتني به رسالة

صالح وزهير، جاءني بحبة زرقاء صغيرة وناعمة وقال لي : خذها مع جرعة ماء، وهذا قلم، وهذه أوراق بيضاء، وأرني إن كنت شاعرا حقا.

وفجأة كتلميذ في امتحان، افترشت سجادة على أرض الغرفة وشرعت أكتُب، فأنجزت قصيدتين طويلتين في جلسة واحدة الأولى (قلبي خارطة سوداء) التي نُشرت في مجلتي (الموقف الأدبي) و(الفكر المعاصر) ولاقت صدى رائعا، وأذكر أن كاتبنا الكبير زكريا تامر كان رئيس تحرير "الموقف الأدبي" فقال لي بعد أن قرأها هي وقصة صديقي محمود عبد الواحد (العراف الأعمى أبو العلاء) : "الآن أستطيع أن أنشر رواية (الغبار) ليائيل دايان، بجوار نصوص أدبية من عندنا في مستواها!" حينها لم أكن أعرف من هي يائيل هذه ! والقصيدة الثانية عنوانها (الرقص في غرف الأحلام المغلقة) ونشرتها لاحقا في مجموعتي (يتشكل الغيم في رحم المدينة) التي صدرت في تونس.

بعد أن قرأ شريف الربيعي القصيدتين صار ينشر قصائدي بافتخار في "إلى الأمام" بل دفعني إلى الكتابة عن مجموعتي "طائر الوحدات" و"ابتسمي حتى تمر الخيل" للشاعرين الصديقين أحمد دحبور ومحمد الفيتوري. أذكر أنني أخذت على دحبور تأثّره بشعر درويش في مرحلة تأثّر الأخير بأدونيس وأحيانا بشعر ممدوح عدوان الذي كنتُ في البداية مفتونا بشعره، كما أخذتُ على الفيتوري تأثّره بالصناعة في شعر أدونيس القائم على استيحاء وإحياء كتابة النفري خاصة. فعاتبني دحبور قائلا : "أن أتأثّر بممدوح عدوان فهذا ممكن ويشرّفني، لكن أن أتأثّر بمحمود درويش لحظة تأثره بأدونيس فهذا آلمني". لكن الفيتوري كان لا يعرفني بعد، فقد تعرفنا على بعض في بغداد بفندق الرشيد وبقينا شهرا كاملا يرافق واحدنا الآخر، وكان يتطيّر من النقد فبقي أسابيع يشتمني في مقاهي بيروت والربيعي بلؤمه الظريف يضحك!.



هادي دانيال في منزل المناضلة وداد قمري في بيروت 1979

- **استقال الشعراء من كتابة المعنى بدافع الجمالية. ينتابني إحساس أن هذه الأكذوبة بدأت تصل ذروتها لتنهار وسيبعث زمن المعنى من جديد، زمن القصيدة المسؤولة فنا ومعنى ؟ على ضوء ذلك كيف تقرأ الشعر العربي المعاصر؟ ألا ترى أنّ ثقافة اللعب قد أجهزت على شعريّته؟.**

خروج الجمالية على المعنى في الشعر هو خروج على الشعرية ذاتها، فحتى في أقصى اندفاعات الاتجاه التجريدي في الفنون التشكيلية لم يتمّ التخلي نهائيا عن المعنى وإن صار التعبير عنه أشد نزوعا نحو الغموض الذي لا يدخل دائرة الإبهام، لأنّه بدخول كهذا يعلن الفنان عن عجز بيِّنٍ وتَمحُّلٍ تفشل الذرائع النظرية في تبريره، وإذا تتبَّعْنا تاريخ الفنون عموما سنلاحظ أن "تهميش" المعنى كان يحصل في مراحل تجريبية لكسر النمطية واكتساب مهارات تقنية تغني الأساليب التعبيريّة، لتتم العودة إلى المعنى بقوة، وعموما لم تثمر المراحل التجريبية عند فنان مفرد أو حركة فنية أعمالا مهمّة استغنت عن المعنى، لكنها أثمرت تقنيات جديدة استخدمت في أعمال تمتاز بقوة المعنى وقوة التعبير الفني عنه معا. والشعرية التي لا أجازف بتعريف نهائي لها كان ولا يزال وسيبقى توفّرها في أي عمل فني موسيقي أو تشكيلي أو مسرحي أو سينمائي أو سردي امتيازا لهذا العمل الذي يهزّ بشعريّته المنطقة الأكثر صفاء واستجابة إنسانية من وجدان المتلقّي.

وعندما أعلن الشعر العربي المعاصر خروجه على القصيدة العمودية أكّد على أنّ هذا الخروج الثوري يرتكز أساسا على الانتقال من وحدة البيت إلى وحدة الموضوع في القصيدة أو النص الشعري، فهو انتقال على مستوى التعبير عن المعنى تعبيرا فنيا وصل ذروته في إنجاز وحدة فنيّة شملت المبنى والمعنى أو الشكل والمضمون في الأعمال الشعرية الأساسية عند شعراء مثل بدر شاكر السّياب، عبد الوهاب

البياتي، خليل الخوري، أحمد عبد المعطي حجازي، خليل حاوي، أدونيس، محمد الماغوط، أنسي الحاج، حميد سعيد، ممدوح عدوان، أمل دنقل، محمد الفيتوري، محمود درويش، علي الجندي، سعدي يوسف، سامي مهدي، حسب الشيخ جعفر، سركون بولص، صلاح فائق، بلند الحيدري، أحمد دحبور، سليم بركات، أحمد مطر، وغيرهم...

وأرى أنّ الذي حصل هو "استقالة الشعراء من كتابة المعنى" وبالتالي من الشعرية، وليس استقالة المعنى، و"الجمالية" المزعومة قد تكون ذريعة، لكنها بالتأكيد ليست دافعا حقيقيا. وللاقتراب أكثر من المعضلة أشير إلى أنّ الخروج على المعنى ليس من تداعيات "قصيدة النثر" مثلا، بل عرفته قصائد عصر الانحطاط، فهذا اللعب بالألفاظ واتكاء النص على "فانتازيا" في تركيب الجمل اللغوية وسوق الصور المجانية نجده في الأشكال الإيقاعيّة للقصيدة العربية المعاصرة كافة : الشكل العمودي، والشكل الذي يعتمد التفعيلة، و"النثري" أي غير الموزون وغير المقفّى. وبغياب المعنى غابت وحدة الموضوع وسادت نصوص إما تتكوّن من هذيانات إيقاعية ولفظية، أو شظايا من فانتازيا الكلام النثري.

وأعتقد أنّ وراء هذه الكتابة غير الشعريّة أصلا، إما بعض المتطفّلين على الكتابة الأدبية، أو بعض الشعراء الذين امتلكوا مهارات تقنية لكنّهم بلا تجربة ثقافية معرفية: لا يقرأون، وبلا تجربة إنسانية عميقة.

إنّ الشاعر كي يتجدّد ويخصب موهبته عليه أن يقرأ ويغامر في الحياة قبل أن يغامر في اللغة، والشاعر الذي لا تسكنه أسئلة وجوده كإنسان فرد وأسئلة الوجود بأسره وأسئلة الوضع البشري بثوابته وتحوّلاته وآفاقه المحتملة ليس أكثر من تقني لغة لا يشعر بإنسانيّته فكيف يكون شاعرا؟. إنّ كيمياء اللغة هي عنوان تجربة مختبريّة على هامش الكتابة الشعرية تهدف إلى استنباط طرائق جديدة في التعبير عن إحساس

الشاعر العالي والمدهش إزاء حالات ومواقف إنسانية وكونيّة، وليست ألفَ الشعر وياءه.

الشعر الذي لا يحمل معرفة جمالية وأحاسيس إنسانية وقدرة استثنائية على كشف الجميل والمدهش والنبيل في الحياة اليومية والواقع الطبيعي والإنساني في حالاته الثابتة والمتحركة ويصوغه بلغة فنية بليغة قد تكون ريّانة وقد تكون متقشّفة، وبصورة شعرية بسيطة ومركّبة، ذهنية وحسيّة ومفارقات ذكية، وإنما على العكس من ذلك كلّه يقوم على الفانتازيا اللغوية والصّور الآلية، ليس إلا تكرارا بائسا ومتأخّرا جدا لمحاولات السرياليين العرب التي كانت صدى للسريالية الفرنسية، والأخيرة أنجَزَتْ مناخا للمغامرة الإبداعية لكنّها لم تخلّف أعمالا شعرية مهمّة، بل كانت مختبرًا لاستنباط أشكال شعرية حتى بالنسبة لشعراء تجلّى المعنى في نصوصهم الكبرى وأشعّ مثل أراغون وإيلوار.

أعتقد أن ما وصفتها بـــ"ثقافة اللّعب" هي قناع يثير الشفقة على البعض الذي يحاول أن يخفي به تمحُّله المعرفي والوجداني، وهذا البعض لا يهجس بمسؤولية فنية أو إنسانية، فالشاعر عنده لقب اجتماعي و"الشعر" مصدر ارتزاق إضافي! أو مطيّة إلى الحصول على بعض مغريات المجتمع الاستهلاكي والتكيّف مع "قِيمِهِ" الاستعراضية الخاوية!.

- **ما دمنا نتحدّث عن المسؤوليّة لنلتفت إلى مجموعتك "رأس تداولَتْه القبعات"، هذا العنوان المثير الذي خلخل السائد الكتابي وقَلَب ثقافة الصورة الجاهزة، بمعنى : هل يعني هذا العنوان ضمن ما يعنيه أن الكاتب العربي أصبح لا يستقرّ على لون ولا على اتجاه حتى تحوّل إلى شيء أشبه بغانية أو جارية تعرض في سوق النخاسة فيكسوها شاريها بما يشتهي ؟.**

هذه المجموعة أثيرة عندي، فقد كتبتُ نصوصها في واحدة من أصعب مراحل حياتي وأكثرها توتّرا وتجرّعا لكؤوس الحنظل العربي الرسمي والثوريّ، ولكونها تصدر عن تجربة شخصية إنسانية متميّزة تميّزت من حيث البناء في سياق تجربتي الشعرية فجاءت مختلفة عن النصوص التي سبقتها والنصوص التي تلتْها.

وعنوان المجموعة كمعظم عناوين مجموعاتي الشعرية مفتوحة على قراءات مختلفة، وهذا من طبيعة الكتابة الشعرية. وبينها قراءتك التي أوحتْ بسؤالك القاسي، ومحاولة منّي في إنصاف الكاتب العربي المُعاصر أشير إلى أنّه لم تتوفّر له شروط الإبداع، أو شرطه الأساس لا في مناخات السلطة الرسمية ولا في مناخات المعارضة. فالكتابة الحقّةُ هي الكتابة النقدية شعرية كانت أو سردية أو فلسفية أو سياسية، وشرط الإبداع الأساس هو الحرية، فالسلطة الرسمية تحجب عنه حق النقد وتقيّد حريته في الكتابة أو في الإجهار بما يكتب ونشره على الملأ. والمعارضة الحزبية تريد أن تملي عليه كيف ينتقد السلطة الرسمية ومتى وأين، وتحرّم عليه أن ينتقد ويناقش سلوك وأفكار هذه المعارضة، وبالتالي يجد نفسه مهدّدا بين إغلاق زنازين السلطة الرسمية عليه وتخوين المعارضة له ! وهذا بلا ريب يجعله كائنا مشوّشا ويصبح مع الوقت عرضة للوقوع في فخ النظام العربي الرسمي الذي دجّنه بربطه بدءا بصحف ومجلات البترو دولار القومية ولاحقا بإعلام الظاهرة الخليجية، ومع انهيار الاتحاد السوفياتي رأينا كيف انقلب كتّاب ماركسيّون إلى منافحين عن السياسة الإمبريالية الأمريكية في ذروة توحُّشها، مُبرّرين هذا الانقلاب بما يزعمونه من انهيار الأيديولوجيا، وكأنّ السياسة الأمريكية التي تشعل الحروب وتسفك الدماء وتخرّب الأوطان وتدمّر البلدان في أي مكان من كوكبنا تصله أقدام عساكرها لا تصدر عن أيديولوجيا يمينية أكثر توحّشا وأذى للإنسانية من أيديولوجيا هتلر وموسوليني.

أردْتُ القول إنّ غياب الحريةّ، والترهيب بالسجون والتخوين من جهة والترغيب



هادي دانيال مدير البرامج الثقافية لإذاعة صوت فلسطين
في ستوديو تسجيل البرامج في بيروت/تشرين الأول 1981

بربط ضمائر المثقفين بمغريات المؤسسات البترو دولارية وجوائزها المغرية جعل الكاتب العربي أكثر حربائية، وحتى تلك المؤسسة الخليجية التي عُرِفتْ بمنح جوائزها لكتّاب يساريين أو مستقّلين وفي الوقت نفسه يمثّلون علامات إبداعية عربية كحنّا مينه وسعد الله ونوس ومحمود درويش وأدونيس وعبد الرحمن منيف، فقد أعلنت سحْب الجائزة التي كانت أسندتْها إلى سعْدي يوسف لا لأنّه طلب من توني بلير أن يأتي بجيشه ويحتلّ العراق "ليخلّصه من صدام حسين" على حد تعبير "قصيدته" الشهيرة قبل العدوان الأنجلو-أمريكي على العراق في مارس/آذار 2003، بل لأنّ سعدي يوسف انتقد زعيم الدولة التي يمنح أحد أمرائها هذه الجائزة بعد وفاة هذا الزعيم ! فأيّ استقلالية لهذه الجوائز؟!

للأسف نحن نفتقد إلى الكاتب أو المثقّف العربي العضوي، ولأنّنا لم نشهد حركة تنوير أو نهضة عربية معاصرة يشعر المثقف والمفكر والمبدع أنّ على عاتقه مسؤولية خلق وافتكاك هامش الحرية الذي يمكن أن يتّسع ليشمل المجتمع العربي بأسره على الأصعدة كافة.

نحن نفتقد المثقّف المؤمن بالأفكار التي يحملها ويروّج لها، بدليل أنّ هذا المثقّف سرعان ما يتخلّى عن أفكاره ويخونها عند أول امتحان ! حتى أولئك الذين دفعوا ثمن أفكارهم إتلاف سنوات من عمرهم في السجون الرسمية سارعوا إلى استثمار هذا "الثمن" باللجوء إلى الأجنبي والاستقواء به على مصالح أوطانهم وشعوبهم انتقاما من الأنظمة العربية التي زجّتهم سابقا في سجونها، أو بتوظيف هذا "الرصيد" للظهور على القنوات الفضائية المشبوهة في سياق التحريض الصهيو-أمريكي على الأقطار العربية المُستهدفة من أجل تحقيق المشروع الشرق الأوسطي. فقط أولئك الذين تمّ اغتيالهم كغسّان كنفاني وناجي العلي ومهدي عامل قضوا ثابتين على مبادئهم اليسارية !.

- **ولكنّكم أنتم الشعراء الملتزمون بقضايا الأمة المنكوبة والمنتحرون على الإسفلت الثقافي الذي لم يعد لكم، متهمون بـ"المباشراتيّة" أي السقوط في الخطابية والمنبريّة فلا فرق بين نصوصكم وخطب الزعماء المجانين الذين يندفعُون بحماسة الأطفال نحو هلاكهم وهلاك شعوبهم؟.**

بقدر ما يعنيني الأمر، يبهجني ويزيدني تماسكا أن أُعدَّ من الملتزمين بقضايا أُمّتي وأن يُستدَلّ على ذلك بمدوّنتي الشعرية، ولكنّك لن تكون دقيقا إذا تصورّتَ أنني فقدْتُ ما تُسمّيه "الإسفَلت الثقافيّ" أو سقَطْتُ في الخطابيّة والمنبريّة. ذلك أنني طبعت كل مجموعاتي الشعرية وكتبي الأخرى في دور نشر لبنانية وتونسية خاصة، وأفاخر بأنني لم أطبع كتابا واحدا في مؤسسة رسميّة عربية، ثمّ إنني لم أنخرط يوما و لم أستفد إعلاميا ودعائيا من تلك "الأرصفة الثقافية" التي أنشأها بعض قوى المعارضة العربية، فما كنتُ يوما شاعر حزب أو قبيلة، وكما يفترض بك أن تعلم فأنا من أقلّ الشعراء العرب حضورا للمهرجانات الشعرية المنبريّة، فحتى في مهرجان المربد الشعريّ الذي لم يبقَ هاوٍ للشعر من موريتانيا إلى البحرين إلا وضجر من الوقوف على منابره، لم أقرأ فيه إلاّ مرتين في البصرة ومرة في بغداد، وذلك في سنوات الحصار تضامنا مني مع شعب العراق ومثقفيه وقيادته الوطنية وليس شغفا بالمنبر، بل كنت أضيق ذرعا بالتقاليد المنبريّة فلا أُعيد للجمهور المقاطع التي يستملحها، لأنّني أجد متعة بأن يصغي المتلقّي إليّ صامتا إلى أن أفرغ من قراءة نصّي. والحقيقة حين أقرأ نصّي الشعري أنسى تماما وجود جمهور أو متلقّ وربّما لهذا التوحّد مع النص خلال قراءته أثر مختلف على نوع مختلف من الجمهور، فلن أنسى أنّ شاعرا تونسيا من الذين يكيدون لي منذ سنوات قال بعد أن قرأت قصيدة "مآذن بروق بين قباب ياسمين" من مجموعة "موسيقى لانكسارات الروح" وعلى الملأ أنّ شعر رأسه

ولحيته وقف تأثّرا عندما كنتُ أقرأ قصيدتي في مهرجان الشعر العربي الحديث بتوزر في ثمانينات القرن الماضي، وبعد عشر سنوات سمعتُ العبارة نفسها من موظّف في وزارة الثقافة العراقية بعد أن قرأت في البصرة قصيدتي "بنظرة صقْرٍ يرفع الأرض" من المجموعة نفسها. ولو قرأت القصيدتين لما اعترضَتْك فيهما "المباشرة" أو "الخطابية"، لكنهما كمعظم قصائدي الطويلة بنيا بناء يعتمد الصورة الشعرية المركّبة والبسيطة، واللغة المجازية والبناء الإيقاعي الهرموني. لكنهما بالتأكيد تعبّران عن هواجس وطنية وقومية، لم تفضْ عنّي شعرا إلا بعد أن صارت عندي هواجس ذاتية، وإلاّ كنتُ عبّرت عنها في مقال سياسي، أو كنتُ فعلا "سقطت في الخطابية المباشرة". ثمّ لماذا ربط الشعر الذي يعبّر عن هموم وطنية وقوميّة، أو عن شأن عام بالمباشرة والخطابية، أليس هذا ضربا من العسف خصوصا إن تذكرنا قصائد السياب وحاوي ودرويش وحتى بعض قصائد أدونيس؟ هل يحدد الموضوع أو المضمون شعرية النص من عدمه ؟ وهل كان أدونيس في بعض قصائده الأخيرة التي يصف فيها مواقعته أنثى ما وصفا إخباريّا بريئا من تهمة "المباشراتية"؟. قبل أكثر من ثلاثين سنة اعترضني في دار البعث بدمشق شاعرنا الكبير علي الجندي ليسألني إن كنت أعتقد نفسي شاعرا؟ فأجبته : لم أفكّر بذلك، لكنني متأكّد من أنني أكتب شعرا. وهذا هو المهمّ عندي إلى هذه اللحظة، فأنا أدرك جيدا أنّ وظيفتي أن أكتب الشعر، لكن حياتي اليومية وتاريخ أمتي وحاضرها وهمومي الذاتية والاجتماعية والعاطفية ومعارفي السياسية والفكرية والفلسفية والفنية والعلمية هي مصادر شعري، فأي شعر هذا الذي لا مصدر له غير نرجسية مرضية قوامها الفراغ والهباء ؟!.

- **في قصيدتك "رياح لأقفال الجسد" قدّمتَ صورة قاتمة للعواصم العربية والعالمية لتستنجد في النهاية بقبر فتقول :**
مَزِّق جواز سَفَر مثل مفتاح مكسور لا يلج قفلاً في باب
واصرخ : أريد قبرا.
هل يعني هذا أنّ الفارس قد ترجّل، وأنّ الشاعر قد كسّر أقلامه وحان الوقت لرميها في المحرقة ؟ وهل هذا اليأس الذي نقرأه في القصيدة من رحلة المدن أم من رحلة الشعر ؟.

لو انتبهت إلى أنّ هذه القصيدة التي كُتِبَتْ في بغداد، وفي إحدى غُرف فندق قصر الصنوبر في شهر سبتمبر/أيلول من سنة 1987 أشارت إلى خراب قادم يعمّ العواصم العربية والعالمية بدءا من العاصمة التي لم أتذكرها في القصيدة لأنها كانت المكان الذي منه أتذكّر في لحظة الكتابة. كأنّ هذه القصيدة المكتظّة بالصور الشعرية نص يُبنى على حكاية، أو كأنها تسرد بالصورة الشعريّة جزءا من سيرة الشاعر يختزل جزءا مفصليا من سيرة العالم، جزءا معاصرا ينفتح على الخراب الذي طحَنَ الروح البشرية بعد أقلّ من عقدين.

في هذه القصيدة، وفي قصائد سبقتها يتجلّى الحدس السياسي الذي يكون عند الشعراء أقوى وأجرأ وأبلغ منه عند السياسيين محلّلين كانوا أو مؤرّخين.

عندما كنت أعبُر الجزائر وبلغراد "عبور شهاب" كما كان صديقي القاص والناقد السينمائي العراقي صفاء صنكور يصف زياراتي إلى بغداد، كنت اشعر أنّ هاتين العاصمتين على حافّة انفجار رهيب، وعبّرْت عن ذلك شعريا. كانت هذه العواصم ربما من خلال مقارنة في اللاوعي بين ما يختزن عنها من صور وآراء ومعارف مسبقة وما ألمسه فيها وأراه وأسمعه وأشمّه خلال وجودي العابر

"السياحي" تمنحني سرّها الحزن في لحظة مكاشفة رؤيوية بين مدينة وشاعر، فالمدن كالنّساء يمنحن أسرارهن بشغف وبدون تحفّظ للغرباء الذين يبدون أكثر إغراء وسحرا من المقيمين، خصوصا إن كانوا شعراء أيضا !.

ولكنّ الذي فجّر كل هذا اليأس في القصيدة وكان صاعقها الحقيقي بل والواقعيّ أيضا تلك التجربة التي تضاف إلى ما تعوّدته أن يحدث معي فقط.

بعد أن كنت واحدا من شعراء منظمة التحرير الفلسطينية العرب والفلسطينيّين المقيمين في (فندق سلوى التونسي) مع قيادة المنظمة وجهازها الإعلامي بعد أن اجتاح جيش شارون بيروت سنة 1982، كدتُ أن أرحَّل بعد اصطدامي مع "حكم بلعاوي" الذي حاول إقناع السلطات التونسية بأنني كنت أخطف الطائرات مع بسّام أبو شريف متذرّعا بأنني كنت أعمل في مجلة "الهدف"، وزعم أنني أتدخّل في الشؤون التونسية وحجّته قصيدتي "الرغيف" التي تناقلتها الصحف العربية والتونسية إثر (ثورة الخبز) في كانون الثاني/يناير 1984، وصدر قرار بترحيلي عن تونس، كاد يُنفّذ سنة 1986 لولا أنْ تدخل الرئيس عرفات في الوقت المناسب ووضعني تحت حمايته الشخصية حينها.

وبضغوط من بلعاوي تمّ نقلي إلى قبرص، وبتنسيق بين بلعاوي من تونس ومحمد سليمان الذي كان مدير تحرير مجلة (فلسطين الثورة) التي كانت تصدر في نيقوسيا دبَّر لي محامي المجلة بطلب من سليمان ترحيلا عبر مطار لارنكا "حفاظا على حياتي" وبقرار من وزير الداخلية القبرصيّ... إلى بغدادا!، وإثر هذه التجربة، وتحت ضغطها الوجداني كانت قصيدة "رياح لأقفال الجسد" (أين بلعاوي وسليمان الآن ؟ يتمرّغان يائسين بائسين في بعض سلال مهملات رام الله !).

لم أيأس بعد من رحلة الشعر، فبعد هذه القصيدة كتبتُ ثلاث مجموعات شعرية.

- **في زمن الجمرة الخبيثة والأربيجيه والقنابل العنقودية والألغام الذكيّة وأسلحة الدمار الشامل يكتب الشاعر العربي نصوصا تقطر عشقا وشوقا ويحلم آخر بالكونيّة وباليوم الذي يكتب اسمه في الموسوعة العالمية، باختصار هل خان الشاعر الطريق وتآمر على أمّته ؟.**

في زمن الموت الذي أشرت إليه يفترض بالشاعر الحقيقي أن يكون أشدّ ضراوة جمالية في مقاومة قُبح أسباب الموت وأشكاله. فأن تقطر النصوص عشقا وشوقًا للحياة وكائناها المدهشة الجميلة، وأنْ يحتفي الشاعر بتجليات الحياة في لحظة تاريخية من الكوارث السياسية والعسكرية والطبيعية، أن تنبض نصوصه حبا وحنانا وأملا يتفتّق عنه يأسه وحزنه النبيلان، يكون عندئذ وفيا لطريق الشعر الأصيل ولا يتآمر إلا على الحقد والبغضاء وتقيّحات الروح ليفتح كوة أو بوّابة في الجدار الذي يفصل الأمة عن تقدمها نحو المستقبل.

لقد قدّم لنا الشعر العالمي أكثر من نموذج، أحبّها إليّ مفخرة تشيلي بابلو نيرودا الذي مجّد نشيدُه الشامل عناصر الحياة ودان مظاهر الموت وأسبابه، وكتب بلغة شيقة أجمل قصائد الحبّ، وأعذب نصوص السيرة الذاتية.

ونيرودا تشرّفت جائزة نوبل بأن منحت نفسها له لتتزين به بينما يتذلّل بعض شعرائنا الآن طمعا بأن تُدرج أسماؤهم في سجلاّت نوبل، منهم من فقد صوابه ومرّغ جبينه على عتبات من توهّم أنّ التقرّب منهم يجعل نوبل في جرابه. ومنهم من لاذ بالصمت إزاء معاناة شعبه من الاحتلال فانقلب شاعر المقاومة إلى شيطان أخرس لتلحق به لعنة نوبل هو الآخر.

هذا البعض من الشعراء يحزنني حقا، ومثلما تعلّمْت منه وهو يعلو بالقصيدة العربية وتعلو به أتعلّم منه وهو يسقط بها وتسقط به إلى رداءة لا يحجبها تراكم المهارات الذي يستحيل إلى ركام من التقنيات الباهتة.

- **في ديوانك الصادر بدمشق : "في مهبّ الرغبات" تنعطف الكتابة عندك نحو الإيروسي وكتابة العشق الصافي بعيدا عن الأيديولوجيا التي كانت ترسم ملامح نصّك الشعري وقد انفتح ديوانك بقصيدة حملت عنوان "وداعا". فهل يعني هذا أنّك ودّعت محرّك نصِّك الشعري القديم وأعلنت إفلاسه؟.**

قصائد "في مهب الرغبات" تعبّر عن تجربة حبّ عنيفة استغرقت سنوات من عمري في التسعينات، لم أنقطع خلالها إلى الكتابة الأيروسية والعشق الصافي، فإلى جانب هذه القصائد، بموازاتها أو تداخلت معها كتبتُ نصوصًا لن نكون دقيقين إذا قُلنا كانت الأيديولوجيا مُحرّكها، لأنّ الصحيح هو أنها كانت تعنى بالشأن العام، تستوحيه وتكتبه شعريا، تعيد صياغته من زاوية رؤية أكثر إدهاشا وإحساسا إنسانيا وإمساكا بنبض الحدث وحدسا بالآفاق التي تتّجه إليها حركة الحدث، وكان العدوان الثلاثي على العراق والحصار الوحشي الذي تلاه وتداعياته في فلسطين هي عناوين الشأن العام، لكنّ المهمّ عندي كشاعر أنني كنت أستوحيه وأكتبه شعريا بعد تحوّله عندي، في عقلي ووجداني إلى شأن خاص أيضا مثله مثل تجربة الحب الحارة التي ابتدأ كتابها بقصيدة "وداعا" التي ربما كنت بها أُوَدِّعُ هذه التجربة التي أُودِعُهَا عند القارئ، لتبدأ حياة أخرى معه لحظة استقرّت بين غلافي كتاب.

إنّ الشأن العام سيبقى بعد تحوّله إلى شأن خاص محركا مهما لنصّي الشعري، ولكلّ نص شعري يعبّر عن الوضع البشري في لحظة تاريخية يحوّلها الشعر إلى لحظة أبدية بتلمّس الرموز التي تفيض عن المعنى الخصب إنسانيا وصياغتها شعريا، فالشاعر يحول الإنسانيّ في الشأن العام إلى عمل فنيّ خالد تماما كما يُستخلص الذهب الخالص من التبر ويُصاغ في أشكال فنية جميلة بغضّ النظر عن وظائفها الاجتماعية والاقتصادية والدينية وغيرها من الوظائف. وإنّ الأيديولوجيا الوحيدة التي تبقى مرجعية لكل عمل فني حقيقي في كل زمان ومكان هي أيديولوجيا المقاومة، مقاومة الشرّ والقبح، مقاومة الظلم وسلب حقوق الشعوب واحتلال أوطانهم واستباحة كرامتهم وهدر دمهم وقيمهم، وأيضا مقاومة الرداءة والتمحّل الوجداني والمعرفي والأخلاقي، هذه الأيديولوجيا لن تُفلس، رغم أنها قد تتعرّض للتزوير أحيانًا كما يحصل لها اليوم على أيدي وسائل الاتصال العابرة للقارات التي تسيطر عليها الصهيونية العالمية وتديرها الليبرالية المتوحّشة.

- **نشرت أعمالك في لبنان وتونس ولم تُنشر في سورية إلا منذ سنة، فهل يعني هذا أنّ الناشر السوري لم يقتنع بنصّك أم كان يخشاه ؟ أم انّه لا نبيّ في أهله ؟ وهل صدور الرغبات بها يشي برغبة في لمّ اللحم المغترب؟.**

عندما غادرت سورية كنتُ فتى الشعر فيها، وكانت منابرها تحتفي بنصّي الشعري باندهاش إيجابي وتعليق آمال عريضة، وقد طلب منّي قبل أشهر من مغادرتي سورية نهائيا الناقد خلدون الشمعة مخطوطي الشعري الأول لإصداره عن منشورات اتحاد الكتاب العرب التي كانت حينها ذات قيمة نوعية قبل أن تتحوّل في العقود الأخيرة إلى تراكم كمّي "تطرد فيه العملة الرديئة العملة الجيّدة". لكنّ إصدار كتاب لم

يكن يشغلني. كان هاجسي أن أكون فاتحا ومكتشفا ومضيفا من خلال مغامرة شعرية كبرى أقترب من إغلاق عقدي الخامس دون إنجازها.

وفي بيروت لم أجد صعوبة في نشر كتبي، وإلى الآن أجد دائما الناشر المناسب. وأنا عموما أنشر قصائدي في كتب مطبوعة، لأودعها عند القراء وأحفظها من الضياع لو بقيت عندي، فأنا كما أسلفت أسكن صهوة الريح وقد أضعتُ مخطوطات شعرية كنت أفاخر بها، ولا أخفيك أن نصوصا شعرية عديدة لم تتضمنها كتبي المطبوعة لأنني لا أملك نُسخا منها رغم أن بعضها لحسن الحظ منشور في مجلاّت فلسطينية كالهدف وغيرها ؛ مما يجعلني آمل استعادتها مستقبلا.

إذن لم أعرِضْ نصّي على الناشر السوري قبل (في مهبّ الرغبات)، و لم أدّع نبوّة ما على أهلي أو على غيرهم. إنّما يمكن القول إنّ مبادرتي إلى إصدار كتابي الشعري الثاني عشر في بلدي تندرج تلقائيا وبدون تخطيط ما في حاجة الروح إلى الشّحن مجدّدا بعد أن تشرّدت طويلا وبقيت العديد من جراحاتها مفتوحة. فبعد ثلاثين عاما وجدت نفسي وحيدا كذئب هرم. وكأنّ عزلة المبدع صارت لعنة تُضيِّق عليه في وقت انكفأ (المبدعون) العربُ على صفاتهم القطرية يوظّفونها في تكتّلات قطيعية لمنْح أنفسهم حضورا إعلاميا واجتماعيا. في بيروت كانت تشير الصحافة اللبنانية إليّ كشاعر فلسطينيّ، لم يزعجني ذلك أبدا، وكم كنتُ فخورا حين قال لي أحد الأسرى الفلسطينيين المحرّرين، هو أكرم هنيّة رئيس تحرير وصاحب صحيفة (الأيام)، أكبر صحيفة فلسطينية تصدر في رام الله حاليا، إنهم كانوا ينسخون نصوصي ويتداولونها في السجون الإسرائيلية بعد التقاطها من إذاعة صوت فلسطين التي أدَرْت برامجها الثقافية عدة سنوات، لأنّ نصي كان يرفع من معنوياتهم ويشحذ هممهم. و لم يخطر ببالي أن أُصحِّح لقارئ التعريف بي كتونسي أو كعراقي انطلاقا

من اهتمام نصّي بالشأن العام التونسي والعراقي. أتعرف لماذا ؟ أعلم أنك قد تُفاجأ... لأنني سوري، من سلالة عزالدين القسّام وجول جمّال وسليمان الحلبي.

نحن في سورية نفتقد الحسّ القطري الذي اصطُلح على تسميته بعد الأمر الواقع الذي فرضته اتفاقية (سايكس-بيكو) بالحس الوطني، نحن نراكم في جيناتنا، أو في لا وعينا إحساسا تاريخيا جمعيا بأننا أحفاد الأمويين بُناة أوّل دولة عربية لها إداراتها وتسمياتها وعملتها وفتوحاتها، وأيضا نحن من سلالة سيف الدولة الحمداني الذي أشعّ المتنبّي من بلاطه وقاد دولة عُرفت بالتصدّي للروم أمريكيّي ذلك العصر. دائما ينتمي السوري إلى إنجازاته وفتوحاته التاريخية وأحيانا إلى طموحاته، أما سورية كدولة بحدودها الجغرا سياسية الحالية فكم عمرها ؟ حتى الذين نادوا بالأمة السورية والوطن السوري كانوا ومازالوا يشيرون إلى ما يسمّى سورية الكبرى التي تضمّ لبنان والأردن وفلسطين والعراق وربما قبرص إضافة إلى سورية الحالية. ومنذ نعومة أظافرنا كان الإحساس بسورية الحالية إحساسا انفصاليا مكروها، إن لم أقل مرذولا، خصوصا خلال وبعد تجربة الجمهورية العربية المتحدة الفاشلة.

بعد محاولاتي الانخراط عبثا في الدينامية الثقافية لساحات عربية حسب المصطلح النضالي، نشأ في ذهني هذا السؤال الصارخ : ما هو الوطن ؟ هل أعبّر عن أسف ما لأنّ المواطن السوري لم يُعلِّمْه أحدٌ يوما أنّ سورية بحدود "سايكس بيكو" هذه هي وطنه. دائما كانت سورية جزءا من وطن أكبر، لذا هي وطن ناقص جغرا سياسيا وثقافيا وتاريخيا ونفسيا، هي أصغر عند القوميين السوريين، وعند القوميين العرب، والناصريين والبعثيين، وهي عند الشيوعيين والإسلاميين جرم يدور في فلك أممي أكبر شيوعيا كان أو إسلاميا. ومن سوء الفهم أن يظنّ أنني بانغماسي في الشأن العام الفلسطيني، التونسي والعراقي كنتُ أبحث عن وطن بديل. الأمر ليس كذلك البتّة، فهذا الالتباس حصل في المجتمعات التي يساوي القطري عندها الوطني، لكننا



هادي دانيال في غارنا/بلغاريا،
ضيفا على اتحاد الصحفيين العالميين 1981/9/7

في الثورة الفلسطينية قبل رحيلها عن لبنان كنّا نشعر أننا عرب وفلسطينيون في الآن نفسه، لكن ما أن غادرنا لبنان حتى شعرنا بغربة في المجتمعات العربية التي ترفض اندماجنا فيها إن لم نحصل على الجنسيات القطرية من حكوماتها. هنا يتميّز الوضع في سورية حيث أيّ عربي يفد إليها ينغمس بسهولة في مجتمعها ومشاهده مرحبا به تلقائيا ويُعدّ سلوكه طبيعيّا وغير مستغرب ولا يحاصر بإشارات الاستفهام، رغم أنّ هذا الوضع صار يقلق سورية أمنيّا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 وتداعيات الحرب الأنجلو-أمريكية على العراق واحتلاله.

إنّه أمر يتعدّى مجرّد طموحات للقيام بدور إقليمي ما، بل هو إحساس جمعيّ بالغبن يعبّر عنه ربما هذا الرفض الدؤوب لحصر طموحاتنا كأفراد وكشعب في حدودنا القطرية، كأنّ الشخصية السورية عصيّة على الترويض وبفرض الأمر الواقع عليها تنطوي على ذات طموحة حالمة لكنّها دائما تزداد حيرة كلّما نظرت في مرايا الواقع التي تخفي عنها الكثير مما تعتقد أنه جزء من ذاتها. صحيح أنا أعبر عن تجربة فردية مكثّفة لكنها في جوهرها تجربة السوريين مع ذاتهم ومحيطهم ؛ في هذا الإطار يمكنك أن تفهم وتتفهّم كيف أنني وكثير من المبدعين السوريين، حتى أولئك الذين ارتبطت أسماؤهم بنشاط سياسي معارض وراديكالي، بنوا جسورا جديدة وقوية مع سورية وقيادتها الوطنية عندما حوصر قلب العروبة النابض بالإسرائيليين والأمريكيين وحفّت جيوشهم بها من معظم الجهات، كأننا بعيدا عنها توغلنا أكثر في روح ومخيّلة سورية الصغيرة جغرافيا الكبيرة برموزها ومعانيها، هل هذا كلّه مجرد رغبة في لمّ اللحم المغترب ؟ ربما...

• **أَلْهَمكَ ابنُك مهنّد كثيرا فأهداك قصائد عديدة، فماذا تهديه اليوم وقد أصبحتِ القصيدة لا تدخل صاحبها إلى المسرح أو إلى السينما، وأكثر ما يمكن أن تفعله أن تدخل ناظمها إلى السجن أو ترحل به إلى المنفى؟.**

لقد تنبّهتُ مؤخّرا إلى أنّه يصعب أن تكون شاعرا وأبا في الوقت نفسه. والحقيقة أنني بذَلتُ جهدا مضنيا ولمدّة خمس عشرة سنة ! كي أكون أبا وزوجا جيدا، لكن انشغالي بالشأن العام لدرجة أنه يصبح شأنا خاصا، جعل هذه العائلة الصغيرة التي كان "مهنّد" ضلعا أساسا فيها واحدة من ضحايا تداعيات العدوان الثلاثيني الغاشم على العراق وما تلاه من حصار وحشيّ. وبالمناسبة لقد عاش مهنّد وأخواه عاما دراسيا تحت الحصار في شارع حيفا ببغداد.

لا ريب في أنّه من النادر أن ينعم أبناء المبدعين الحقيقيين الذين يشرّدهم إبداعهم أو مواقفهم، بحياة طبيعية ومستقرّة كبقية خلق الله، فعلاقتي مع "مهنّد" وأخويه تبقى أقلّ قساوة من علاقة مبدعين آخرين كسعدي يوسف، عبد الرحمن مجيد الربيعي، خليل الخوري، سليم دولة وحيدر حيدر بأولادهم، رغم أنها مرشّحة لمصائر مشابهة. ولعلّ أكثر من عبّر عن هذه العلاقة صديقي الكبير حيدر حيدر، أول من دلّني على "أزهار الشر" لشارل بودلير في نسخة عربية، وعلى "أمواج" فرجينيا وولف عندما عشنا معا أشهرا نتقاسم غرفة واحدة في بيروت الحرب الأهلية، لقد كان حيدر يتحدث عني أيضا وهو يخاطب ابنه الراحل في نص فريد كتبه بلغته التي تعلّمت منها الكثير، خصوصا حين يتحدّث عن زواجه الأوّل "أعترف بأنّها طوّقتكم وحمتكم تحت جناحيها هي وجدّتكم الطيّبة، في غيابي (لكنّ لأم مهنّد وجدّته طريقتهما المختلفة !) لكننا هي وأنا لم نكن زوجين سعيدين، لعلّها وُجدت في الحياة لتكون زوجة لرجل آخر، وأنا لا أصلح ربّما للزواج لا منها ولا من أيّة

امرأة أخرى في العالم. رجل حرّ، طليق كالطير، مُعاد للأعراف وفي أعماقه عزلة الذئب، بينه وبين الجنون أُلفة، يتآخى مع الوحش والطبيعة والبحر، والزمان اللامرئي والأحلام، هذا الرجل يولد بلا رغبة منه، ويتزوّج مصادفة كأعمى، ثمّ ينجب ويُنفى ويتدحرج في تيه العالم، يحلم بلا أمل، ثمّ بغتة تقتله الحسرات عليك أيها الفتى السماوي".

والغريب هنا أننا جميعا حيدر وسعدي وعبد الرحمن و سليم وأنا، وربّما كان خليل سيفعلها لو عاش أكثر، طلقنا أمهات أولادنا، ثم تزوّجنا "مصادفة كالعميان" وفشل زواجنا الثاني...

آمل أن أكون أقل حسرة على مهنّد وأخويه الذين منحتهم الجنسية التونسية، جنسية أمهما، و الكثير من القلق وعدم الاستقرار، لأنهم قطعا ليسوا محظوظين بكوني أباهم بغضّ النظر عن من تكون أمهم، فأولاد شعراء البلاطات الملكية والجمهورية أفضل حظا بالتأكيد.

وبالتأكيد هو ليس في حاجة إلى هداياي وإرثي كشاعر، لكنه قد يقدّر أنني في النهاية لم أحرمه التنعّم بحرية مطلقة لو يعرف كيف يتصرف بها ويستثمرها بمسؤولية استثمارا إبداعيا في الأقل وهو عازف الجيتار الموهوب!.

والمفارقة أنني قدّمت قصيدتي "مهند" من ديوان "عشبة على حجر" بالقول (ويبقى "مهنّد" أكثر إيحاء من قصيدة) الأمر الذي جعل ناقدا يشنّ عليّ هجوما شرسا انطلاقا من هذه المقولة اعتقادا منه أنني بقولي هذا أترك للطبيعة (ولدي) وعلاقاتي العاطفية أن تهيمن على قصيدتي التي يفترض أن تكون أكثر إيحاء من مهنّد. وهذا القول صحيح لو فهم الناقد الذي يجب أن يكون قارئا جيدا في الأقل أن المقصود أن يكون مهند أكثر إيحاء للقارئ. لكن لا يحتاج الأمر إلى الكثير من الذكاء لكي يفهم القارئ هنا أنّ المقصود هو أنّ مهنّد الابن قد يوحي لأبيه الشاعر بأكثر من

قصيدة. الناقد المقصود هنا يُدعى "أفنان القاسم" ومقاله نشر في مجلة "الطليعة العربية" عدد شباط/فيفري 1987، تحدّث فيه عن ما وصفه بـ "الشعرية الظرفية" في "عشبة على حجر"!.

- **أنتَ من الشعراء المتّهمين بالبكائيّة، والحقّ أنّ الشعر العربي ولد في بركة من الدمع وفي حفلة بكاء كان امرؤ القيس والخنساء يتناوبان فيها على إدارة أوركسترا النواح. حسب رأيك لماذا صورة المظلوم تمثّل القدر الذي يحاصر الشاعر فهو المتروك والمحروم من الحبيبة ومن القبيلة وهو المبعد من النّجع ومن الوطن فهو المنفي والسجين.. ألا ترى معي أنّ الشاعر العربي كان المتسبّب في مصيره هذا لأنّه رمى بنفسه منذ النطفة الأولى في لعبة السياسة عندما اختار أن يكون تابعا فكان على امتداد تاريخه مدّاحا إما للحبيبة أو للقبيلة أو للدين أو للسلطان أو للثورة، فهو إمّا مدّاحا للسماء أو مدّاحا للأرض ؟.**

لا !.. امرؤ القيس كان يبكي ملكا والخنساء كانت تبكي أخا، ولكن لا يجب أن يفوتك أنّ الأحزاب "الليبرالية" و"الدينية" و"اليسارية الديمقراطية" هي التي تستقوي الآن بالروم المعاصرين على أوطانها وتعرض ظهورها على الأجنبي ليمتطيها كأحصنة طروادة جديدة لاحتلال العواصم العربية بغدادا بعد بغداد ! صحيح أن سعدي يوسف فعلها مكررا جده امرؤ القيس وهو ينادي توني بلير كي يخلّصه من صدام حسين، لكن يجب أن لا نلقي باللوم على الشعراء وحدهم وأن نتذكّر النقاد وخصوصا الذين يُفترض أن لا ينهوا عن شيء ويأتوا بمثله، ولنأخذ هنا مثلا محمد لطفي اليوسفي الذي كنتُ أحسبه الأكثر جديّة، كيف تتفهّم أن يُقارن في مقال له، لا في جلسة خمرية إخوانية، أحد شعراء البلاطات العربية ببول إيلوار شاعر

الحرية ؟! كيف لا نلوم ناقدا أكاديميا وهو يمدح شاعر بلاط بينما نستسهل لـوم الشعراء على امتداح الحبيبة والثورة ؟ متى كان الغزل وفيض الوجد وإنشاد الثورة من أشكال المدح كغرض شعري ؟.

حال الأمة والوطن، وحال من يدعون أنهم نخبنا السياسية والثقافية هل يليق بـه، أعني هذا الحال، غير الهجاء المر والبكاء الأمرّ ؟.

ومع ذلك أنت أوّل من يزعم أنني متّهم بالبكائية ؟ فالحزن الذي يجعل شعري بين الهجوم (الغضب، النقد اللاذع) والانكفاء المتوعّد نحو العائلة الصغرى، كما يقول محمد علي اليوسفي ليس ضربا من البكائية، وأن أبدو شاعرا مقاتلا يتحلّى بالنبل في أقصى حالات الانتقام ويستخدم لغة خاصة تغازل أو تقاتل بالمفردات العذبة كما قال أحمد مطر عن شعري أيضا، وأن يأتي حزني وانكفائي وقتالي النبيل بمفردات عذبة "ضمن إيقاعية على جانب كبير من الهدوء والرقة" كما قال الراحل الكبير بلند الحيدري لا يستقيم مع هذا الاتهام غير الموفق بالبكائية.

أما إن كنتُ أمتدح في شعري فممدوحي التجلّيات الفاتنة لحياة الإنسان كقيمة عليا في كل زمان ومكان، هذه القيمة التي يدوسها الغرب اليوم تحت شعارات فرض الحرية والديمقراطية بالآليات المجنزرة والقاذفات المجنّحة على أنقاض الشعوب وأشلاء أوطانهم الآمنة!.

- **ماذا بقي في الذاكرة من رحلة النضال مع القضية الفلسطينية ؟ وكيف ترى غدها وهي تمرّ هذه الأيام بمأزق خطير وفترة حاسمة داخليا وخارجيا ؟ وهل سرقت قضية العراق شعراء الانتفاضة فعلا فرحلوا عن الأولى بعد أن أثقلوها نواحا وشاهدوا تكسّر صفائحها الدمويّة بحثا عن مأتم جديد وجرح جديد ؟.**

مازالت القضية الفلسطينية مركزية في وجداني كشاعر، ولم أُقِلْ شعري أو يقيلني من النضال سياسيا وجماليا من أجل هذه القضية النبيلة العادلة. فأنا مازلت أكتب المقالات منافحا عن حق الشعب الفلسطيني الذي ينزف الشهداء ويعاني تحت وطأة قسوة ولا مبالاة دوليين منذ خمسة عقود ونيف !.

ولئن تعرّضت إلى ضيم ما من بعض المسؤولين الفلسطينيين الصغار غالبا والكبار أحيانا، فلأنّنا في النهاية لسنا ملائكة، والخطأ البشري وارد دائما، ولم يشوّش ذلك على اقتناعي بعدالة هذه القضية التي لا مستقبل للعرب قبل إيجاد حل عادل وشامل ونهائي لها. وهذا الحل لن يكون بالانصياع للإرادة الصهيونية التي تديرُ آلة الشر الأمريكي ولا بتفكيك المقاومة تحت الضغط الإسرائيلي بعد وصمها بالإرهاب، بل بإعادة صياغة منظمة التحرير الفلسطينية وتنشيط مؤسساتها وإدراك حقيقة مهمة هي أن الإسرائيليين لن ينصاعوا لمفاوضات ندية من أجل إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة وعاصمتها القدس وضمن حدود 4 حزيران/جوان 1967 الخالية من المستوطنات الصهيونية وضمان حقوق اللاجئين في العودة وحق تقرير المصير، إلا في ظلّ تصعيد المقاومة بأشكالها كافة.

وبلا شكّ فإنّ ترابط القضايا العربية الأخرى كالقضية العراقية بالقضية الفلسطينية لم يكن ترابطا سياسيا فقط، بل انعكس هذا الترابط في الوجدان العربي وخصوصا عند المعبّرين شعريا عن هذا الوجدان. أنا بالتأكيد أتحدّث هنا عن الشعراء العرب المعنيين بالشأن العام سياسيا كان أم اجتماعيا، أم ثقافيا، وطنيا أم قوميا و دوليا، وهؤلاء بالتأكيد شعراء مقاومة، وهم قلّة، إنهم شعراء المعنى بشرطه الجماليّ. أمّا أولئك الذين يبحثون دائما عن حيّز إعلامي على هامش كل حدث كارثيّ فهم كمٌّ يتزايد أو يتناقص حسب البوصلة الإعلامية، وهؤلاء أغلبهم من الطارئين على

الكتابة الشعرية أو المفروضين على الشعر من خارجه ! ويمثّل حضورهم في بعض الأوساط الثقافية العربية دليلا على لحظة انحطاط ثقافي !.

- **كيف تعاملت مع فضيحة نزار نيوف ؟ أي إحساس أحسست به أنت الرجل المغترب الذي لا يملك إلا حفنة من كلمات هي كل أملاكه الثابتة والمنقولة، وفي لحظة يسرقها منك من استضفته في دارك ؟ أريد أن تروي لنا هذه الحادثة الطريفة التي لابدّ أن تُدوَّن في السجلّ الذهبيّ للسرقات الأدبيّة ؟.**

حدث ذلك قبل ربع قرن تقريبا، لكنّ تداعياته لم تتوقّف ! كنت غادرت مجلة "الهدف" لأعمل في إذاعة صوت فلسطين، اتّصل بي صديقي الروائي يحيى يخلف وقال لي إن شخصية يسارية سورية أرسلت إليه شابين الأول يعزف على العود ويغني، يدعى "عصام" والثاني يزعم أنه يكتب لزميله ما يغنّيه، خصوصا وأنّ المغني ضرير وبالتالي يوحي مع زميله بأنهما نسخة يسارية سورية عن الشيخ إمام وأحمد فؤاد نجم الثنائي اليساري المصري المعروف الذي انتشر بقوة في أوساط الطلبة والشبيبة العربية في سبعينات وثمانينات القرن المنصرم. قال لي "أبو الهيثم" كما ننادي يحيى يخلف : "لي عندك طلب، أن تأخذ الشاب الثاني واسمه نزار علي نيوف لينام عندك، فأنا غير مرتاح له، إنه مريب"، أما "عصام" فهو ضرير على كل حال، وسآخذه إلى "القاعدة الفدائية" ليرفّه قليلا عن المقاتلين. وعدْتُ أبا الهيثم خيرا، واصطحبت معي نزار علي نيوف هذا، وأحضرت عشاءنا، وتناولناه مع قليل من تبادل الكلام المرح والابتسامات لكسر الكلفة ونمنا على سريرين منفصلين تضمّهما غرفتي الوحيدة مع خزانة ملابس ومكتبة مكتظّة وطاولة وكرسيين ويصلها باب بمطبخ وحمام صغيرين وشرفة تطلّ على ثانوية بنات... في الطابق الثالث من عمارة

في طلعة النويري ببيروت الغربية. وبعد العشاء ومحادثة قصيرة نام كلانا، لأستيقظ صباح اليوم التالي، قرابة الثامنة فلا أجد ضيفي في سريره، قُلت ربّما يغتسل أو يتأمّل الطالبات الجميلات، لكنه لم يكن في الشرفة أو المطبخ أو الحمام. قلت حسنا ربما عنده ما يفعله باكرا ونسيتُ الموضوع. وكانت المرة الأولى والأخيرة التي التقي فيها السيد نيّوف.

بعد أشهر من هذه الحادثة دخلت مكتبة الكتاب في مستديرة الكولا التي كان يديرها فرحان صالح صاحب دار الحداثة لاحقا. فتصفّحت عددا جديدا من مجلة (المعرفة) التي تصدرها وزارة الثقافة السورية، فانتبهت إلى عنوان مقال تضمنه العدد "الأدب امتداد للسياسة". شدّني العنوان كأن لي به علاقة ما، وأخذت أقرأ المقال واقفا، كأنني أعرف هذا الكلام، هذه الأفكار، هذه اللغة ! وفي الصفحة الأخيرة ازداد قلقي، فالمقال يتحدّث عن ذكرى غسان كنفاني التي مرّ عليها أكثر من عامين. دفعت ثمن العدد، ومضيت إلى بيتي الصغير متوتّرا. في البيت تصفحته مرة أخرى وبدأت أتذكّر : إنه مقالٌ لي، لكنني سبق وأن نشرته في مجلة (الهدف) حين كنت أعمل فيها، نعم كان عنوان المقال (الأدب امتداد للسياسة : مقدمة لدراسة شاملة) وابتسمت لأنني صرفت النظر لاحقا عن إنجاز الدراسة التي وعدتُ القارئ بها، بحثت في الخزانة والمكتبة عن المقال، ففوجئت بأنّه فُقد مع مجموعة من الأوراق بينها ما يتضمّن الأعمال المنشورة وبينها ما يتضمّن المخطوطات التي لم تُنشر بعد.

في اليوم التالي قابلت رئيس تحرير مجلة "الهدف"، كان بسّام أبو شريف قد غادر رئاسة التحرير وعوّضه عمر قطيش، حدّثته في الأمر وطلبت منه السماح لي بالبحث عن المقال في مجلدات "الهدف". رحّب بذلك، و لم أبحث كثيرا حتى عثرت على المقال، وكما توقّعت لم يفعل من سطا على المقال غير حذف عبارة "مقدمة لدراسة شاملة" كما حذف بالطبع اسمي ووضع اسمه (نزار علي نيّوف). عندها

فقط تذكّرت ذلك الفتى الذي وجده يحيى يخلف مريبا فابتليت به !. قارن عمر قطّيش بين المقالين وقال لي : اكتب باسمي رسالة إلى رئيس تحرير (المعرفة) وصوّر الصفحة الأولى من المقال في "الهدف" (نُشر على مدى ثلاث صفحات) والصفحة الأولى من المقال في "المعرفة" (نشر على تسع صفحات) لنشرها في العدد التالي من "الهدف"، وهذا ما حصل.

بعد شهرين حصلت من المكتبة نفسها على عدد جديد من مجلة (المعرفة) يتضمّن افتتاحية عنوانها ثلاث رسائل : الأولى هي رسالة رئيس تحرير "الهدف" والثانية رسالة من رئيس تحرير "المعرفة" وكان حينها الشاعر محمد عمران، إلى القرّاء والمختصّين يطلب منهم المساعدة على عدم تكرار هذه الفعلة النكراء ويعدُ بالتوقف نهائيا عن نشر أيّ مادة تصل من نزار نيّوف، والثالثة رسالة موجهّة إليّ خاصة يعتذر لي ويُشيد بكتابتي في آن معا.

وحسبتُ حينها أنّ الأمر انتهى هُنا.

ولكن بعد زواجي في تونس وولادة طفلي الأول مهند، سافرت زوجتي للمرة الأولى إلى سورية، وعادت إليّ بمفاجأة تمثّلت بنسخة من ديواني (رؤى الفتى) تحمل تحت اسم هادي دانيال اسم نزار علي نيّوف، ليتبيّن لي حسب رواية زوجتي أنّه بعد عودة (دار الحقائق) لصاحبها السوري أحمد منصور من بيروت إلى سورية عقب اجتياح الجيش الإسرائيلي العاصمة اللبنانية ومعه طبعا النّسخ التي لم تُبع بعد من مجموعتين صدرتا لي عن دار الحقائق عامي 1980 و1982 هما : "رؤى الفتى" وغليون لتدخين الأحلام"، اشترى نزار علي نيّوف نُسخَ "رؤى الفتى" ووضع اسمه على الغلاف تحت اسمي ثم غطّى ذلك بنوع من "السلوفان" الشفّاف وعرض الكتاب في واجهات مكتبات اللاذقية مدّعيا أنّ اسم هادي دانيال هو اسمه الأدبيّ ! أي كما يضع أدونيس مثلا اسمه الحقيقي "علي أحمد سعيد" تحت اسم

أدونيس. هذا إلى جانب كتيب مطبوع بطريقة بدائية وكأنه صادر عن تنظيم سري يحمل اسم دار الحقائق، ومقدمة من ممدوح عدوان نفى الأخير قبل رحيله بسنوات أنه على علم بها، وغلافا من يوسف عبد لكي الذي صمّم لي غلاف "سداسية تغريد البطمة" والمؤكد أن لا علاقة ولا علم ليوسف عبد لكي بذلك، ولكن هذه المرة لم يضع نيّوف غير اسمه هو على غلاف الكتيّب، إنما ضمّ عدة قصائد من مجموعتي الشعرية الأولى "بردى.. ووفود الجوع" الصادرة ببيروت سنة 1973، وعدة قصائد من مخطوط سرقه نزار نيّوف من خزانتي ! وجمع في عنوان الكتيّب اسم مجموعتي الشعرية الثانية "أناشيد النورس" مع اسم المخطوط المسروق، "بين يدي رلى البحرية" فصار اسمه "أناشيد النورس البرّي بين يدي رلى البحرية" ! وحين طلب أخي وأولاد عمي موافقتي للتدخّل لسحب الكتاب من مكتبات اللاذقية، قلتُ لهم أن يدعوه وشأنه، لأنّه تكوّن لديّ تصوّر أن نيّوف هذا شخص مريض.

وبعد سنوات علمت أن نزار نيّوف نفسه دخل السجن بتهمة الانتماء إلى جماعات حقوق الإنسان في سورية، ثمّ لاحقا تدخّل بابا الفاتيكان والرئيس الفرنسي، وربما بيل كلنتون للإفراج عن لصّ غير ظريف ادّعى لاحقا أنّ لديه معلومات عن الطيار الإسرائيلي "آراد" وعن أسلحة دمار شامل في سورية، وبعد الإفراج عنه نشر زملاؤه في جماعات حقوق الإنسان مقالات يقولون فيها إنه سطا أيضا على مجموعتي الشعرية "غليون لتدخين الأحلام" بالطريقة نفسها التي سطا فيها على "رؤى الفتى" وحين فوتح من بعضهم بأن المجموعتين لهادي دانيال الشاعر السوري الذي يوجد في بيروت ومن ثمّ في تونس، كان يبتسم ساخرا منهم وهو يقول : "لا يوجد هادي دانيال سواي"، لأنّه راهن على أنني لن أعود يوما إلى سورية !.

العجيب أنّ هذا المناضل الفذّ من أجل حقوق الإنسان كان متزوّجا من صحفيّة سورية هي أيضا كانت تكتب له المقالات السياسية التي ينشرها باسمه، وحين فاتحته جريدة "النهار" اللبنانية في مقابلة لها معه في ذلك قال مناضل حقوق الإنسان عن زوجته ضاحكا : "إنها لا تصلح إلا كمنفضة سجائر" !

تصوّر هذا النموذج الذي عليه وعلى أمثاله – ألم يكن أحمد الجلبي لصّا أيضا ؟ – يعتمد الغرب لتدمير أوطان وذبح شعوب وإقفال المستقبل في وجه أمّة بأسرها ؟ كيف لا تريدني أن أغضب وأثور وأشكّك على الملأ في هذا الغرب الغُراب الذي كل ما يردنا منه يبعث على الغثيان ؟!.

• يعيش هادي دانيال من الكتابة وهي معشوقته الأولى، أليس صعبا أن تعشق الشيء وتبيعه ؟ ألا ترى معي أنّ إجبار الكاتب على العيش من قلمه فيه نيّة سيّئة للإجهاز على ملكة الكتابة عنده فتتكسّر أقلامه على أبواب أفران الخبز اليابس ؟ وهل أثّر نشاطك الصحفي على نتاجك الشعري ؟.

أنا لا أعيش من الكتابة الإبداعية، أنا أعيش من (التحبير) على هامش الكتابة، من مهارات تقنية نكتسبها بسرعة من خلال مغامرة الكتابة الإبداعية، لكن كي نعيش لا نحتاج لغير توظيف هذه التقنيات في كتابة خبر أو تقرير إخباري لوكالة أنباء، كما هو حال اليوم.

لقد كنتُ محظوظا، أو سيّئ الحظّ، يصعب الجزم هنا، لأنني في سن مبكّرة (الثامنة عشرة تقريبا) اتخذتُ الكتابة مهنة ووسيلة نضال في آن. بدأتُ لأوّل مرة أتقاضى مرتّبا شهريا عن عملي محررا ثقافيا في مجلة (الصمود) لسان حال ما كان يُسمّى جبهة الرفض الفلسطينية التي كانت تضمّ فصائل المقاومة التي كانت ترفض مبدأ

إيجاد تسوية سلمية مع (إسرائيل) وكان معلّمي وصديقي في هذه الفترة (مؤيّد الراوي) الشاعر والفنان التشكيلي مبدع كركوك الغامض، صاحب المجموعة الشعرية اليتيمة (احتمالات الوضوح) التي تعبّر عن تجربة متميّزة في قصيدة نثر سبعينات القرن الماضي، حينها كان عباس بيضون مثلا مناضلا في حزب العمل الاشتراكي العربي/الجناح اللبناني للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ويكتب من الجنوب لمجلة الحزب (الثوري). في تلك الفترة كُنّا يوميا نسهر حتى الفجر متنقّلين بين الفدائيين الذين يقومون بواجبات الحراسة الليلية، ندخّن ونشرب الشاي ونثرثر ساخرين من بيروقراطية قيادات الثورة، ونشعل فضاءات شوارع منطقة الفاكهاني من "بيروت الغربية" التي يخيّم عليها الليل المتوتر بقهقهاتنا الصافية، كنّا قلقين متمرّدين، وفي حين كان مؤيّد تروتسكيّا نشيطا هوايته المفضّلة شقّ الفصائل اليسارية، حيث قادَ انشقاقا في الحركة التروتسكية اللبنانيّة وآخر في الجبهة الثورية لتحرير فلسطين، ونظّر لانشقاق أبي العبّاس عن الجبهة الشعبية / القيادة العامة لتحرير فلسطين، التي كان مخرجا فنيا لمجلّتها "إلى الأمام" وأشرف على تشكيل جبهة التحرير الفلسطينية وصار مخرج جريدتها "القاعدة" ويكتب ويُخرج أيضا كرّاساتها النظرية والسياسية، كنتُ مازلتُ أقرأ المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية بإشراف صديقي الكردي الأردنيّ سيف الدين بدرخان الذي كان مُلاكما رقيقا ووسيما وصديقا للشاعر بلند الحيدري في آن واحد، وكان يحميني بقبضته القوية حين يحاول (قبضايات) الجبهة مهاجمتي ونعتي بالبرجوازي الصغير كوني شاعرا صغير السن وصرتُ أتهرّب لاحقا من واجب الحراسة الليلية. كنت أنوس أيديولوجيا بين لينينية سيف الدين وتروتسكيّة مؤيّد !.

المهم أنني في "الهدف" وجدت حلا للمعادلة الصّعبة بين الصحافة والكتابة الإبداعية تتمثّل بتجربة غسّان كنفاني الفريدة الذي أسّس هذه المجلة، وكان مسؤول الإعلام

والناطق الرسمي باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين إلى أن فجّر الإسرائيليون سيارته واستشهد في بيروت أوائل السبعينات ؛ ثم بعد خلاف مع الصديق بسام أبو شريف رئيس تحرير "الهدف" حينها تمّ تكليفي بإصدار مجلة (الشبيبة) التي كانت واحدة من ثمار اندفاعي الحارّ لتمثّل تجربة كنفاني، فأصدرت ستّة أعداد شهرية قبل أن يُجهض حزبيّو الجبهة الشعبية هذه التجربة التي دعمني لإنجاحها أصدقاء مثل الراحلين المصريّين عبد الرحمان الخميسي وعدلي فخري، والفلسطينيين فيصل دراج، يحيى يخلف وخيري منصور، والعراقيين قاسم حَوَل ويوسف الناصر، والمناضلة وداد قمري — وهي بالمناسبة، أي وداد، البطلة الحقيقية لرواية غسان كنفاني "برقوق نيسان" التي استشهد غسان قبل إكمالها واسم وداد في رواية غسان (سعاد وقاد) — وهم كما ترى علامات في النقد والشعر والسينما والموسيقى والفن التشكيلي، والنضال السياسي.

إذًا، في مناخ صحفي إبداعي قد يؤثّر النشاط الصحفي إيجابا على النتاج الشعري، لكن لاحقا، وخصوصا الآن يدفعني الاهتمام بالخبر الصحفي بعيدا عن المناخ الإبداعي الخصب ويشغل وقتي بما أكتشف أنه ضرب من العبث واللاجدوى. ويمكنني القول إنّ شاعرا كمحمود درويش أفاده ما أتاحه له الرئيس عرفات تحديدا من إمكانات مادية تجعله يتفرّغ لكتابة الشعر وللشعر فقط ويصدر مجلّة (الكرمل) ضمن هذا الهاجس الإبداعي. ومكّنت الثورة الفلسطينية شعراء ومبدعين أقل قيمة من التفرّغ عمليا للكتابة ولو بإمكانات مالية أقلّ، لكنني شخصيّا وربما لأني لستُ فلسطينيا وتحت وطأة الإحساس بأنني أتقاضى راتبا من الثورة، كنتُ حريصا على "تحليل" ما أتقاضاه شهريّا، بعمل صحفيّ أسبوعيّ مجاني لمجلة "فلسطين الثورة" من تونس. وبعد إغلاقها، بكتابة مقالات سياسية (وإلى الآن) في صحف فلسطينية وعربية دفاعا عن القضية الفلسطينية وثوابتها الوطنية والقومية، لكن بالتأكيد هذه

المقالات التي تريح ضميري وتشعرني بأنني فاعل نسبيا في ساحة النضال دفاعا عن وجود هذه الأمة المهدّدة فعليا لا مجازيّا، تصفّي قصائدي من الهاجس السياسي أو في الأصح تجعله مرجعية للنص الشعري قد تزيده جماليّة وتمنحه مفاتيح تلقٍّ تغري القارئ وتجذبه إليه، لكنّها تبقى متوارية خلف البناء الفني المشيّد بلغة مجازية وصور شعرية ومفارقات على مستوى اللغة والصورة.

إنّني بالتأكيد أعاني من قسوة اللجوء إلى "التّحبير" على هامش الكتابة الإبداعية، هذا الهامش الذي يتّسع ليجرف معه لحظات البهجة الحقيقية، لحظات الكتابة الشعرية.

ولكن ليس لمثلي غير أن يُكابد خصوصا وأنني لا أنتظر العثور على كنز، أو إرثا أو هبة عليا !.

• قُلتَ في أحد الحوارات التي أُجريت معك إنّك ألقيتَ في بيروت بمختارات لينين وأنجلس من النافذة في الطابق الرابع حتى تخلع عنك زيّ السياسي لتعود إلى الشعر شاعرا، هل تراك اليوم قد نجحت أم أن لينين وأنجلس ركبا المصعد الكهربائي في ذات الليلة ليعودا إلى أوراقك وأقلامك في الطابق الرابع ؟.

عندما شعرت أن محاولات مكثّفة لجذبي إلى عملٍ حزبيٍّ في الجبهة الشعبية أو في مجموعات ماركسيّة كانت تعجّ بها بيروت، صارت تضغط عليّ كثيرا، وفي الوقت نفسه فاض الكيل عند الشاعر في داخلي الذي اختنق خارج مناخ التمرّد والجموح والحرية التي تفتح أمام الفكر والمخيلة كل مغلق، كان إعلان تحرّري أمام ذاتي أن ألقي بمختارات لينين ومختارات ماركس وأنجلز من الطابق الرابع، وقد شعرت

حينها كأنني تَخَفَّفْتُ من حمل ثقيل كان يربض بين كتفيّ ! لكن بدون شكّ أفدتُ كثيرا من قراءتي تلك المختارات وغيرها من الكتب الماركسيّة لأنها منحتني وإلى الأبد منهجا ديالكتيكيا في التفكير والتحليل يجعلني لا أحار في فكّ ما يبدو للبعض مغلقا ووضع اليد على ما يبدو للبعض الآخر ضائعا وسبر أعماق ما يبدو كنهُه عصيّا على الإدراك. والإفادة لا تقتصر على ما أكتبه من تحليلات سياسية بل تشمل الكتابة الإبداعية، لكنّ الذي تخلّصت منه التعصّب للماركسيّة وكأنها عقيدة، فهي عندي الآن مرجعا فكريا أساسيا إلى جانب مراجع وروافد تغني معارفي وتغذّي الروح والوجدان وتنشّط الذهن وتخصب المخيّلة. كما أنني أتطيّر من محاولة دفعي إلى أي عمل حزبي محتفظا عندي بمكانة خاصة لأصدقاء أعزّاء يدعون إلى العمل الحزبيّ لكنهم لا يمارسونه بانضباط منذ أربعين عاما ربما ! بمعنى أنّهم يجدونه شرطا ضروريا للتغيير وينغمسون للحظات فيه بحماسة ونشاط ويمنحونه نظريّا قدسيّة لكنهم في الواقع أفراد أحرار يحلّقون بعيدا عن كل سرب كي لا أقول ينفردون عن كلّ قطيع أيديولوجي بأجنحة من الطهرانية أو الاستقلالية الفكرية التي يفرضها فكر حر لا ينضبط لغير منطقه هو، ولأنهم يتمتّعون بفكر منفتح وحيوي لا يشيخون أو يتحنطون بل يواكبون حركة الواقع، ومثل هؤلاء المفكّرين أو الناشطين السياسيين أحبُّهم بعُمْق، وقد لا ألتقي بهم لعقود طويلة لكن ما أن نجتمع صدفة حتى نفاجأ سعداء بأنّ أفكارنا ومواقفنا إزاء قضايا بعينها لم يسبق أن تناقشنا حولها، متطابقة تماما لأنّني وإياهم نعتمد المنهج المادي الديالكتيكي في التفكير ولا ينضبط فكرنا لتوجيه ما خارجنا ونفكّر بحريّة ولكن لدينا ثوابتنا الوطنية والقومية التي هي أيضا ثوابت إنسانية وكونيّة في جوهرها.

• قُلتَ يوما في إحدى الصحف : "التجربة أقنعتْني بأنّ المبادئ والأفكار أوهام وسراب وأنّ الكتابة التي أردتُهَا نورا ضد الظلام كانت ثغرة لإلحاق الأذى بي.. لا أحد يقرأنا إلا الرقيب". هل مازلت على رأيك ؟ وهل كنت تنتظر أن تحمل على الأكتاف لكونك كاتبا ؟ تاريخ الكاتب والكتابة يقول إنّ مصير مرتكب الحرف الحق السجن أو المشنقة أو المقصلة ؟.

قُلت هذا الكلام في تونس التي قدمْتُ إليها مهزوما أمام جيش شارون الذي يطحن الآن أرواحنا ويتبوّل على دقيقها، ونحن نحاول التكيُّف والتأقلم بكياسة وتسامح هو في حالتنا إذعان وضرب من المازوشية مع هذا العصر الصهيونيّ بامتياز. تحت وطأة الشعور بالهزيمة الجمعية وبأنني كفرد خُذِلْتُ وخُدِعْتُ خصوصا حين يخون الفكرةَ/الوَهمَ ذاك الذي أقنعني بها وزرعها في عقلي ووجداني، حينئذ يصدر عنّي ردّ فعل كالكلام الذي سقته في سؤالك، لكن ما أن يلوح أمامي سراب أمل حتى يتجّمر فحْمُ الأحلام التي في داخلي ويلتهب الجمر ويضيء المبادئ التي أرفع رايتها ثانية بحماسة الفتوة. كم من مرّة هجوت أمّتي ووصفتها بالأمة [العبْدة]، لكن ما إن تئنّ حتى أتلوّى ألما وأضطرم غضبا وأستلّ قلمي من جرحي المفتوح وأنافح عن حقها في الحياة والوجود.

ولستُ نادما ولا أشكو حين أشير هنا كما أشار شعري إلى أنني دفعتُ وأدفع ثمن كل حرف أخطّه، ولا أنتظر أن أحمل على أكتاف ارتضت أنْ تحمل إلى أوطانها الغزاة والمحتلّين، وبالتأكيد لا أكتب كي أصل إلى السجن أو المقصلة، بل كي أكون أكثر حريّة وبهجة وامتلاء بالحياة. لكن أن أكتشف أننا لا نُقرأ إلا صدفة، ونُقرأ كمواقف في لحظات تاريخية لا كمبدعين، يُقرأ سلوكنا ولا يقرأ نصُّنا الإبداعي، فهذا بالتأكيد يؤلمني.

أنا وصديقنا سليم دولة رسخنا في ذاكرة جماهير معارك هذه الأمة الخاسرة وهي تتراجع إلى فنائها كما عبَّر أحدهم "كنجمين" في أزمات الأمّة، وقد يفاخرُ أحد المعجبين بفروسية موقف سليم دولة أو موقف هادي دانيال في العدوان الثلاثيني أو العدوان الأنجلو-أمريكي على العراق بأنه احتسى الجعّة مع أحدنا في بار ما، ودفع كلفة ما احتسيناه من كؤوس مترعة، لكنّه غير مُستعدّ لأن يدفع ما يساوي ثمن كأسي جعّة لاقتناء كتاب شعري لي أو لسليم من مكتبة ما، وحتى لو اقتناه لن يمنحه من وقته المهدور ساعة قراءة جدّيّة. هكذا اختزلنا إلى معبرين بجرأة عن موقف جمعيّ مسكوت عنه، كنا نصرخ ونتحدّى ووحدنا نعرف الثمن الذي دفعناه وندفعه والذي لا نملك إلا أن ندفعه إن اقتضى الأمر مجدّدا!.

لكن الذي يقرأنا ويؤوّل كل حرف نخطّه في لحظة الإبداع الحرّة، هو الرقيب الذي يسعى إلى الإطباق على رقابنا.

ما نرنو إليه أن نُقرأ من عامّة الناس وأن نلمح في عيونهم ضوء حروفنا تشعل العقول والضمائر! أليس هذا ما ينتظره الكاتب من مجتمع المعرفة ؟.

- **كيف تلجُ إلى القصيدة هل تأتيك وحيا أم مراودة ؟ وما هي ملامحها ؟ كيف تصف القصيدة الحقّ ؟.**

بين السادسة عشرة ومنتصف العشرينات يمكن القول إنّ القصيدة كانت "تأتي وحيا" أو تطلع منّي فيضا وجدانيا، وربّما كنت من الشعراء القلائل في تاريخ الشعر المعاصر الذين يكتبون قصائدهم في الحدائق العامة عند الظهيرة، وأحيانا كانت (تأتيني) القصيدة نائما فأقوم من حلمي وأسكبها على الورق دفعة واحدة لكنّ الأمر اختلف لاحقا.

صارت القصيدة تأتي على دفعات، وفيما بعد صرتُ فعلا أراودها كما تُراوَدُ امرأة مغرورة، لكن مع الوقت صرتُ أكثر دراية بالمناخات التي تُغري القصيدة بتمكين الشاعر من نفسها عن طواعية. المهمّ أن لا تكفّ عن مراودها لأنّ القطيعة بين الشاعر وقصيدته تراكم الكثير من الصدأ على الوشائج المفترضة بينهما مما يهدّد هذه الوشائج بالتهرّؤ. الإيهام بوجود ملامح ثابتة للقصيدة خطر على الشاعر والمتلقّي وفخّ لن أقع فيه، لأنني بذلك كمن يكبّل نفسه، والحرية شرط الإبداع، لكن يمكن القول إنّ القصيدة الحق سراب ماء في مسافات الظمأ الشاسعة، ولن أشرح أكثر !.

- **أنت من المفتونين برامبو وتشي غيفارا ماذا أخذت منهما غير الوسامة والثورة ؟.**

لم أفكّر للحظة أن آخذ منهما ما أشرتَ إليه، لكنّ الذي انغرس من تجربتيهما عندي ذلك الإصرار على المغامرة الخصبة التي تتناسل حتى بعد تحرُّر الروح من بين قضبان الجسد المرنة. لا أخفيك أن ذكراهما ومعهما ذكرى عبد الحليم حافظ تشحنني بطاقات سحرية أجدني بفضلها وأنا على مشارف الخمسين في ذروة الفتوّة، كأنّ هذا الثالوث المقدس في وجداني استوطن لا وعيي يحصّن الروح من شيخوخة لا أعترف بها.

تصوّر، عندما كنتُ في السابعة عشرة هجسْتُ بعنف أنني قد أموت قبل أن أُجاوز العشرين، ربما لأنّه السن الذي فارق آرثر رامبو فيه الشعر، وعندما جاوزتُ "سنّ النبوّة" بدا لي أنني خلّفت تشي غيفارا في ماضيّ، لكنني الآن أشعر أنهما وصوت عبد الحليم حافظ يؤنسون وحشتي في هذا التمحُّل الوجداني. إن صورهم تزيّن

جدران بيتي مع لوحات الرسامين الصديقين سبهان آدم وحبيب الراعـــي، لكـــن رامبو وغيفارا وعبد الحليم أضلاعُ مثلّث حصّن روحي المراهقة من الانصياع لأكثر من يوتوبيا ورافقوني وأنا أتّجه إلى قراءات قد تبدو أكثر جدية وعمقـــا وصـــرامة لكنهم جمرات ثلاث لم يكسها رماد الزمن الذي أتوغّل فيه.

ربّما يربطني هم ضرب من النستالجيا، لكني أشعر دائما بأهم عائلتي العابرة للأزمنة والأمكنة وقد يدهشك أن أعترف لك بأنني أشعر بعمق أنّ كـــل احتفـــاء في أي مكان أو زمان برامبو وغيفارا وعبد الحليم حافظ أشعر وكأنه احتفاء بشخـــصي المتواضع. هذا ما أحسبه ملتذّا ولا أشغل نفسي بالتساؤل عنه والتفكُّر فيه !.

- **نديم دانيال ؟ هل هو شقيقك ؟ وهل أنتَ سعيد بارتكابه معصية الشعر؟.**

نعم إنّه شقيقي في الدم السلالي وأخي في الشعر، اتفقت معه ودّيا أن يوقّـــع منـــذ لقائنا بعد ثلاثين عاما في كانون الثاني/جانفي 2004 باسم نديم الوزة، لأنّه أصدر ستة أعمال بعضها وقّعه باسم نديم الوزّة، وبعضها باسم نديم دانيال الوزة، وبعضها باسم نديم دانيال. في هذا تذبذب وتشتيت لقارئه ليس في صالح تراكمه في الذاكرة الجمعية، ثمّ صحيح أن دانيال هو اسم أبينا معا ومن حقه استخدامه، لكن صـــار يبدو بعد أن اخترت اسمي (هادي دانيال) قبله بعقدين تقريبا كأنّه يتّكئ إلى اسمي، وهو شاعر موهوب لا يحتاج إلى أن يتكئ إلي أو إلى غيري. هل أنا سعيد بارتكابه معصية الشعر ؟ هل تعتقد أنّ الشعر معصية، بمعنى خطيئة ؟ أنا لا أعتقد، أمـــا إن كنت تحيلنا إلى العصيان فهو كائن ينـــزع إلى التمرّد الخشن أحيانا، المهـــمّ أنـــي غالبا ما أسعد بقراءة ما يكتبه شعرا أو مقالات نقدية.

- **هل تكنّ عداوة للحامض النووي الذي بإمكانه الكشف عن الامتداد السلالي الذي تتنكّر له لكي نستمتع بلذّة اللقاطة ؟.**

إنْ كنت فهمتُ باطن سؤالك الملغّم، لانّ ظاهره لا يليق بما توفّر عندك من ذكاء أغبطك عليه.

- **عليك ألاّ تأخذ أسئلتي على ظاهرها، نحن نحفر في الركن البعيد... الغائم.**

أنا لم أتنكّر يوما لدمي السلالي لا ككائن بيولوجي ولا كشاعر ولا كمثقّف عضوي، فمثلما كنتُ ابنا يتوق إلى الانعتاق من ضغط سلطة العائلة، سهّلْتُ كثيرا لأبنائي التخلُّص من سلطتي الافتراضية كأب مع إدراكي أنّهم ربما لم يتمتعوا بما مُنحوه من حرية لأنّهم لم يفتكوها افتكاكا.
ولئن أجمع النقّاد والقراء الأكثر خبرة على أنّ شعري لا يحيل إلى شاعر آخر، فهذا لا يعني أنني تنكّرتُ لدمي السلالي الشعري، فواقع الحال أنّ الشعر الذي كتبته سنتي 1973 و1974 (في السابعة عشرة والثامنة عشرة من عمري) كان ناضجا ولافتا كما كتَب صديقي الكاتب الرائع عبد الرحمن مجيد الربيعي، وعندما صدرت مجموعتي "رؤى الفتى" التي تضمّ بعض قصائد السنتين المذكورتين قرأها الناقد اللبناني نزيه خاطر في مقال احتلّ قرابة الصفحة من جريدة (النهار) اللبنانية مطلع ثمانينات القرن الماضي اختتمه قائلا "كأنّ الشعر كلّه هادي دانيال") !.
وقد أثار مقال خاطر حفيظة بول شاوول الذي صنّفني في سياق تهجّمه على مقال "النهار" شاعر نضال مثلي مثل عبد الوهاب البياتي على حدّ قوله، متقصّدا بذلك

النّيل من شعريّتي، وقد قارن أحمد مطر شعريّتي بشعرية أدونيس والبياتي لكنّه انحاز إلى بناء قصيدتي في ديوان (عشبة على حجر) وإلى رؤيتها الإنسانية، ومن المفارقات أن أول قراءة نقدية في مجموعتي الأولى (بردى..ووفود الجوع) قارنتْ بين شعريتي وشعرية محمد الماغوط رغم أنّ مجموعتي ضمّت "قصائد تفعيله" إن صحّ المصطلح الدارج. ولكن حقيقة الأمر أني كنت مفتونا بشعرية ممدوح عدوان وأمل دنقل، ثمّ شدّتني شعرية السياب وخليل حاوي ليدهشني لاحقا درويش وأدونيس وسعدي يوسف وحسب الشيخ جعفر ثم وجدتني مشدودا بإعجاب إلى شعرية سليم بركات في رواياته وقصائده ومستمتعا بشعرية يوسف الصائغ وحميد سعيد وسامي مهدي وصلاح فائق، وغير هؤلاء قرأتُ بلند الحيدري وصلاح نيازي وعبد المعطي حجازي وخليل الخوري، ويسعدني حقا أنّ الحامض النووي النقدي لم يتعرّف إليهم وإلى غيرهم من الشعراء الذين قرأهم ممن سبقني أو جايلته أو عُرفوا بعدنا، فأنا لا "أترفّع" عن قراءة أيّ عمل شعري يعترضني كتابا أو ضمن مجلة مختصة أو جريدة، وبالتأكيد أفيد وأتعلّم من كل نصّ أقرأه بمقدار وأتأثر به بشكل أو بآخر، لكن يبدو أنني نجحت أن تكون فائدتي وتأثري هضما واغتذاء ممّا يساعدني في كتابة نص يحمل ملامحي التي لن أحدّدها كما يحلو لك ربّما أن تسأل.

وكمثقّف عضوي لم أتنكّر لتاريخي اليساري، وهذا لا يمنع تطوّري الفكري على خلفية يسارية وطنية وقوميّة، فأنا مازلتُ وسأبقى حاضرا في كلّ خندق وخلف كل متراس يقاوم المشروع الصهيوني الأمريكي لإعادة صياغة جغراسياسية للعالم بأسره وليس لمنطقة الشرق الأوسط فقط، وبكلّ فخر أُجنّد نفسي لتكريس وتعميق وإعمام ثقافة المقاومة الوطنية لإيقاف الانهيار أمام ليبرالية متوحّشة تستبيح البلاد والعباد.

• **ماذا فعلَتْ بكَ المدائن؟ لو لخّصت لنا تجربتك وإنجازاتك الشعرية والإنسانية من خلال رحلة المدن فماذا تقول في : دمشق، بيروت، القدس، الجزائر، قبرص، الرباط ؟.**

صحيح أنني ولدتُ في قرية نجبلية قريبة نسبيا من البحر وعشت فيها طفولتي الأولى، لكن قبل أن أبلغ العاشرة انتقلتُ مع عائلتي إلى دمشق التي خلال سبع سنوات من العيش فيها لم أعرف إلا القليل من شوارعها ومقاهيها، ثمّ اقتحمت بيروت لأسلخ تسع سنوات في نصفها الغربي أتنقّل بين منطقتي الفاكهاني والحمراء، لأعاشر تونس عقدين ونيّف تخلّلتهما سنة في الرباط، وسنة في الجزائر، وسنة في عدن وصنعاء وسنة في بغداد وأقل من سنة لنيقوسيا !.

في جميع هذه المدن كان الشعر النار التي أُضْرِمها لأُدفئ عزلتي، تعرّفتُ على نساء كثيرات، أنجبت من إحداهنّ، لكنهن لم يخلّفْن عندي ما أحنّ إليه، لأنّ رائحة التنكّر التي تزكم الروح تُفسد في ذاكرة الوجدان والجسد لحظات التوهّج المبهجة في علاقات الغرام التي عرفتُ، كنتُ ومازلتُ عابر نساء ومدُن، لا أفاخر بذلك لأنّه واقع يعذّبني ذلك أنني أرنو إلى امرأة واحدة أطمئنّ إليها في مدينة لا أبرحها لأبدأ من جديد تجربة ترحال لا ينتهي في تضاريسهما معا.

كانت دمشق أضيق من جناحيّ مخيّلتي لكن نيران الحرب الأهلية في بيروت حرقت الكثير من ريشهما، وكانت القدس دائما مدينة الحلم الجمعيّ، المدينة الفاضلة التي يدنّسها الأعداء وفي الوقت نفسه تَسُوطُنَا حتى تدمي أرواحنا على أسوارها المقدّسة فننزف توقا إلى الفردوس العربي المفقود الذي لم ندرك بعدُ أنّ الوصول إليه يكون عبر تحويل العواصم العربية إلى فراديس حولها لا إلى خرائب نحاول إعادة امتلاكها استيهاما واجتلاما، كما هو حالنا الآن مع بغداد، لكنّ الجزائر ساحرة

كامرأة جميلة ومحافظة تعتعها السّكر، تقتنص لحظة نشوة عابرة معها دون أن يفارقك الخوفُ من أن تصحو وترفضك لا لعيْب فيك بل لمكابرة تجعلها بعيدة عنك وهي بين ذراعيك تفور شبقا ؟.

لذا منحتني الجزائر حالات شعرية كتبتُها طليقا متوتّرا في آن، أما نيقوسيا فكانت منعطفا كاد أن ينقلني إلى مناخات حضارية أوروبية لكنني انكفأت عنه لأتدفّق، بما اختزنتُه فيها من إرهاصات شعرية، في فندقٍ بغدادي مضجر، وفي الرباط قضيتُ عاما كأنني مسافر محجوز في قاعة ترانزيت لا يألفني المكان ولا أجد بيني وبينه وشيجة، والغريب أنني في كل المدن التي عرفتُها نَبتَ جسرٌ ما بيني وبين كائن بشري فيها إلا الرباط التي فيها تقطّعت العلاقة الوحيدة التي قامت بيني وبين يساري مغربي في بيروت، كان العام الأشدّ غربة في عمري والذي لا طعم له ولا رائحة ذاك الذي سلختُه في الرباط، رغم أنّه لم يكن قاسيا من الناحية المادية أو المعيشية وفيه جلستُ والشاعر محمد الفيتوري إلى مائدة واحدة مرة واحدة، بينما الجزائر خلقتْ بيني وبين مواطنه الشاعر الراحل جيلي عبد الرحمن علاقة مودّة سريعة وقوية في آن، وكذلك نسجتْ بيني وبين الشاعر اللبناني حبيب صادق ذكريات حياة يومية في فندق "الأروية الذهبية" أستعيدها بكثير من الشوق إلى ذلك الرجل الحميم. وفي الجزائر جمال المكان وفتنته واقترابه من تصوري المُسبق له، وكذلك شعوري بأنّ لي فيه أصدقاء أشعر بصداقتهم من نظرة عيونهم كجروة علاوة وهبي وأحمد حمدي وعبد العالي رزاقي وحمري بحري و الأمين الزاوي وغيرهم من المبدعين الذين تزدان بهم الجزائر التي فيها أيضا اقتسَمَتُ مع صديقي المبدع الفلسطيني نصري حجّاج، عذابات خاصّة.

- **لماذا سكنتْ الساحة الشعرية العربية ولم تعُدْ بذلك التأجّج الذي كانت عليه في السبعينات مثلا ؟ هل أفلست تلك المشاريع أم نحن نعاني اليوم من أزمة شعراء أصلا ؟.**

إنّ المجتمع الاستهلاكي المعمّم يُعمّم قيمه ورؤيته الواحدة إلى الإبداع. ووسائل الاتصال في طفرة غير مسبوقة وتملأ مساحاتها بالرداءة الثقافية وتأخذ العين والأذن بعيدا عن الكتاب والقصيدة. كما أخذت متطلباتُ العيش إلى الصحافة والميلودراما والوظيفة الإدارية في القطاعين الخاص والعام شعراء كثيرين لدرجة أن شعراء استنفدوا رصيدهم وصاروا يكررون أنفسهم حتى الاهتراء.

وفي خضمّ هذا الارتباك تنطّع إلى "الكتابة" التي تزعم أنها شعر، صحفيون من الدرجة الثالثة وصاروا يصوغون شعارات اللجان الثورية في أحداث قفصة مثلا ويقدّمون أنفسهم "شعراء جماهيريين"، ولئن تبادل الشعراء المشرفون على المنابر الإعلامية الثقافية الخدمات فيما بينهم، فإنّ صحفيين استسهلوا الأمر ووظّفوا وجودهم على رأس هذا المنبر الثقافي أو ذاك لتسويق أنفسهم شعراء مزعومين أيضا.

كلّ مظاهر الانحطاط هذه تجعل الشعر الحقيقي يتراجع إلى عزلته ويترفّع عن الزجّ بنفسه في هذا الزّحام المتطفّل على الإبداع عموما وعلى الشعر خصوصا.

أنا أعتقد أن المواهب الشعرية كامنة وتنتظر أن يبلغ مدُّ الرّداءة أوجهُ كي ترتفع هذه الفقاعاتَ جملة وتفصيلا، فالمخطوطات الشعرية المهمّة تكتظّ بها الأدراج وربّما الوجدانات، وقد تُشعلُ شراراتُ الشعر وجماره الحرائق في هذا الخراب لتُضيء الطريق الصحيح نحو المستقبل الذي تتقطّع دونه السُّبل في هذا الراهن البائس رغم إرهاصاته الواعدة.

- **شَدّني في أحد حواراتك إدمانك على قراءة الروايات، وقُلتَ إنّها في أحيان كثيرة تلهمك قصائد ؟ فلماذا لم تكتب الرواية خاصة أننا في زمنها ؟ وهل ترى الشاعر الحق عليه أن يقرأ كل الأجناس الأدبية حتى يكون شاعرا؟ أقول هذا لأنّني أستغرب من الشاعر الذي لا يقرأ إلا الشعر والرّوائي الذي لا يعرف من الكتّاب إلا الرّوائيين ؟**

لم أكتب الرّواية ربما تَهيُّبا، فأنا قُيِّض لي أن أقرأ أهم الأعمال الروائية التي عرفتها البشرية وتُرجمت إلى العربية، ومعظمها كتبه أساتذة السرد العالمي بدون منازع : دستويفسكي، تولستوي، شولوخوف، غوركي، أيتماتوف، في الرواية وكلّ من غوغول وتشيكوف في القصة القصيرة. أنا لم أزر روسيا بعدُ لكنّ هؤلاء بأعمالهم الرائعة عرّفوني على روح روسيا ونبضها وجعلوني أقرب إليها من متساكنيها ومواطنيها الذين أداروا ظهورهم لهذه الكنوز الروحية منبهرين بالجينز والمارلبورو والكوكاكولا. قد تستغرب ! إذا قلتُ لك إنني أراهن على أنّ روسيا اندفعت إلى ريادة السير على القمر بروح دستويفسكي في فترة كانت الحكومة السوفياتية لا تشجّع الأجيال الجديدة على قراءته، لكنّ تأثيره بالتأكيد يصل عبر الجينات. ولذلك كنتُ متأكّدا من أنّ روسيا مهما تداولَ الكرملين فيها من سياسات ستبقى سندا للعدالة في العالم وساحة صراع مع الصهيونية، هذا زرعه عندي دستويفسكي.

وثّمة أعمال سردية أخرى كثيرة هزّتني وأوحت إليّ مثل "قصة مدينتين" لديكنز، و"الغريب" لألبير كامو، و"موبي ديك" لملفيل، وروايات كثيرة للرائع كازنتزاكيس. وثّمة شعراء عرب كتبوا روايات مهمّة، وتُعدّ علامات في السّرد العربي مثل روايات عديدة لسليم بركات ورواية "أعدائي" للراحل العزيز ممدوح عدوان، وثمة

محاولات سردية أشبه بالمذكّرات كاعترافات يوسف الصائغ ومذكّرات حسب الشيخ جعفر في موسكو، لكنني شخصيا لم أفعل ولا أعرف إن كنتُ سأجرؤ.

إنّما يمكنني الإشارة إلى أنه مثلما يمكنك قراءة سيرة روحي وجوهر تجربتي في مدوّنتي الشعرية، قد تجد آثار هذا الغرام بقراءة الأعمال السردية في بنية نصّي الشعري أحيانا، وهذا ما لاحظه الناقد النبيه الدكتور مصطفى كيلاني حين أشار بخطّ عريض إلى الحكاية الشعرية في كتابي "رأس تداولته القبّعات".

وفيما يخصّني أقرأ كلّ الأجناس الأدبية للمتعة والإفادة وأتابع العروض السينمائية والمسرحية والموسيقية والفرجوية عامة وأتابع ما يعرض من لوحات تشكيلية في محيطي، وربّما في الماضي كتبت انطباعات على ما كنتُ أشاهده وأسمعه استجابة لأصدقائي المشرفين على هذه الصحيفة أو تلك المجلّة، لكنني الآن أخزّن وأستمتع وأغذي وجداني في صمت ربما يسبق عاصفة حبر خلاق، أو يفضي إلى المزيد من الصمت.

حاوره في تونس : كمال الرياحي

نُشر جزء منه في مجلة (الآداب) البيروتية، العدد 6، 7 حزيران/تموز 2005 (السنة 53)،
كما نُشر كاملاً في ملحق صحيفة "الشعب" الأسبوعية التونسية الثقافي (منارات) على ثلاث
حلقات (الأولى بالعدد 15/14 أفريل/ماي 2005)، والثانية بالعدد 16 جوان 2005،
والثالثة بالعدد 20/19 سبتمبر/أكتوبر 2005).

نصّيّ ينحاز إلى الهامشي والعادل والمظلوم والطموح والحالم

"نقول إن لهادي دانيال إمكانية رائعة على مزج الغنائية بالصور الحياتية الصلبة وإلى ذلك قدرة متكيّفة، فهو قاطع ممتلئ في قصيدته المكثّفة، وهو صبور ذو نفس طويل في قصيدته الطويلة".
بهذه الكلمات وقع أحمد مطر عليّ أحد أغلفة كتب الشاعر. ففي كلّ دواوين هادي دانيال يُضيف بلند الحيدري "تتحوّل كلماته وصوره الشعرية إلى مجموعة من الرموز الشفّافة التي يتداخل فيها الخاص والعام وضمن معادلة مرهفة ما بين حزنه الواقعي ولغته الشعرية التي تعتمد التكثيف والإيجاز والإيماءات السريعة للعديد من الوقائع التي سبق وأن تعرضنا لقهرها مواطنين وأوطانا".
ضيفنا من مواليد اللاذقية/سوريا 1956 صدر له : بردى..ووفود الجوع/بيروت 1973، وأناشيد النورس/منشورات الهدف 1978، كذلك ديوان رؤى الفتى سنة 1980، وسداسيّة تغريد البطمة 1981 بفلسطين، وغليون لتدخين الأحلام 1982، قصائد الحرب عن دار العودة/بيروت 1982، عشبة على حجر/تونس 1986، موسيقى

لانكسارات الروح/تونس 1994، رأس تداولته القبّعات/تونس 2001، كأنّ الردى بردى/تونس 2003، وفي مهبّ الرغبات/دمشق 2003.

"هو ذا من طين ودم ونار حامية. هذا الشاعر المنذور للحزن العظيم غضبا عاتيا في كلّ حين" كلمات خطّها فتحي اللواتي على أعمدة صحيفة تونسية، نلتقي به اليوم على صفحات جريدة "العرب" العالمية...

- **"رأس تداولته القبّعات" أو هكذا تُدْمَى ذواتنا. تجربة شعرية تجايل أكثر من ربع قرن وتسكن ذاكرة أكثر من عاصمة عربيّة. هل قدر الشاعر أن يظلّ معلّقا إلى حقيبة وتذاكر السفر؟ أم هي محاولة "يائسة" منه لتهريب كلماته والانتصار لها كلّما ضاق الطريق ؟.**

أنا شاعر متمرّد ولست فوضويّا. بدأت مبكرا كتابة شعر سليط يُمتع ويبهر المتلقي. أتحدّث عن قصائد شاعر السابعة عشرة الذي كنته، كانت ناضجة في المعنى والمبنى تستوفي الشروط الفنية كافة حسب لغة النقد الخشبيّة. كانت قصائد تفعيليّة متقنة. فأنا لم أكتب القصيدة العمودية، لكنّني بدأت كتابة قصيدة التفعيلة، وما كان همّي أن أكتب شكلا فنيّا حديثا، لكنّ هذا الشكل الإيقاعي هو الذي فرضته روح نصّي الشعري المعبّرة عن روح إنسان متمرّد بالمعنى الوجودي بدءا قبل أن تتّضح لهذا التمرّد أبعاد سياسية وطموحات فنيّة.

وعلى قاعدة هذا التمرّد الوجودي نشأت عوالم تجربتي التي تنبعث منها رائحة الحياة التي عشتها عطرة بفعل كيمياء البناء الشعري، مع الشعراء والفنانين التشكيليين في دمشق أو مع الفدائيين الفلسطينيين في بيروت، أو مع المحاصرين في العراق أو مع المتطلّعين إلى حياة أفضل في تونس.

أحيانا تكتسب تجربتي خصائصها من كيفية تعاملي مع الأمكنة التي احتضنت التجربة، أو مع العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية والعاطفية الحميمة التي أمنتها الأمكنة أو مع العزلة فيها، لكن خصائصها الأهم تكونت من انحيازي الفطري في مراحل أولى والمدعّم بالمعارف المتراكمة في اللاوعي الذي يمتصها من الكتب والأعمال الفنيّة، ومن الشارع وأروقة السياسة وخنادق الكفاح وأرصفة الدولة ومكاتب الثورة، وهو انحياز إلى الهامشي والعادل والمظلوم والطموح والحالم.

ولعلّ من مظاهر نصي الشعري سلطته على المتلقي في الوقت الذي يكون موضوعه ومعناه : الحرية. إنها قوّة تأثير نص تضافرت فيه القدرة على إمتاع المتلقي ومحاورته والاقتراح عليه.

وهذا مُتَأتٍّ كما أحسب من كوني أكتب ذاتي الموضوعية شعرا، أو أكتب شأنا عاما تنــزّل في عقلي ووجداني منــزلةً ذاتيّة في لحظة تخلّق شعري.

ولئن بدا نصي جديدا، فلأنه خلال اندفاعه وتخلّقه الإبداعي متدفّقا اتخذ شكلا خاصا كنهر يحفر مجراه، وأنا نهر لم تصنعه سيول أو فيضانات من خارجه بل ينابيع إحساس عال تدفقت من ذاته وردفتها تجربته الحياتية والثقافية.

أمّا ثغرات تجربتي التي أضعفت بعض مراحلها الكثيرة كان طغيان أبرزها الهاجس السياسي لدرجة أنني كتبت يوما مقدّمة لدراسة لم أنجزها تقول إن الأدب امتداد للسياسة. ولاحقا أدركت أنّ السياسي ككلّ التجارب الواقعيّة يجب أن يتحوّل

إبداعيًا في لحظة طغيان الهاجس الفنّي ومن الخطر على الشاعر أن يكتب في لحظة طغيان هاجس سياسي.

- **الذكرى شكل من أشكال الخيانة والنقد أيضا، رصاصة كاتمة في قلب نص ميّت. ألا تعتقد أنّ على الشاعر أن يكتب نصّا حيّا أو يُعاني (أيّ النص) فائض فحولة كي يغوي ناقدا ما؟.**

أحيطت تجربتي باهتمام نقدي ما، لكني لم أهتم أصلا باهتمام النقد من عدمه، فالناقد الذي يجعل من النص الإبداعي مناسبة لاستعراض معارفه وذاكرته من جهة وتصفية حساباته والانتقام لذاته الجريحة ورواسب فشل ما لا يعنيني، وعلى قلّة ما أنشأه "النقاد" على هامش مدوّنتي الشعريّة من نصوص نقدية فقد أثار الاهتمام بتجربتي سجالا بين "النقاد" أنفسهم، وانقسموا بين متحيّز لهذه التجربة بانبهار وبين رافض لها بعدميّة لافتة.

وبين مئات النصوص النقدية، ومعظمها نقد صحفي، التي حاولت ملامسة تجربتي أحتفظ بحوالي عشرين مقالا، أعتزّ ببعض ما ورد فيها من آراء بشأن ما كتبته شعرا، ومعظم هذه المقالات لنقاد مبدعين كبلند الحيدري، أحمد مطر، صقر أبو فخر، مصطفى الكيلاني، عبد الرحمان مجيد الربيعي..

وهي على كلّ حال في مجملها كانت ذات وظيفة إعلامية آنيّة باستثناء بعضها الذي يمكن العودة إليه من قارئ ما والاستعانة به على تجربة لا يضرّني كثيرا أن يتهيّب التوغل فيها من يستسهلون القراءة والكتابة. فأنا على يقين من أن تجربتي الشعرية تحثّ الخطى بهدوء متعال ربّما إلى متلقين ينتظرونها بشغف في مستقبل مفتوح.

• أوهمنا الشاعر عبدالوهاب البيّاتي أنّه رهين لحظة قدريّة قد تُغيّر وجهته في أيّة لحظة وأنّه موزّع بين عواصم العالم والمطارات والحقائب وانّه أيضا مُطارد من اللاشيء فتعاطفنا معه وقرأنا أشعاره وهكذا استفاد بمفهوم الشفقة وهزم آلاف القرّاء الطيبين. العكس تماما معك أصدّق هنا على هذه الورقة أنّك شاعر رحّال هارب من نصّ قديم ذاهب إلى سؤال حتمي. أعرّج هكذا لأسأل هادي دانيال أين صدى ترحالك في "شامة البوح" وإلى أيّ مدى يستفيد النص الشعري من هذا السفر ؟.

كلّ كتابة هي سفر عبر الأزمنة ولو انطلاقا من مكان واحد. لكن السفر عبر الأمكنة العربية وهو بالنسبة إليّ كانَ قسريّا غالبا بحكم انتمائي إلى منظمة التحرير الفلسطينية، فقد لوّن تجربتي واقترح على نصّي لحظة إبداعه أو في مرحلة التخزين اللاواعي إمكانية المَتْح والإفادة من هذه الأمكنة المختلفة بما يثري النص ويغذيه أو بما يسمّمه ويفقره على مستوى التخييل والمفارقة. فالسفر ينمي روح المغامرة عند الشاعر ويبرز دور العين السياحيّة في النظر إلى الحياة وتفاصيلها وقضاياها وهي عين مرهفة مستكشفة تندهش بالمدهش الكامن في العادي أحيانا، ولا يراه أو يلحظه غير الشعراء. لكن على عكس ما قد يذهب إليه البعض فأنا من خلال السفر أقيم علاقات مع الأمكنة ومكوّناتها الطبيعيّة امّا ما يؤثثها من بشر تضجّ بهم فالأغلب أنّهم لا يتركون عندي أثرًا إلا حين يقتسم هؤلاء البشر معي صفات جوهريّة، فأنا أنفر من العلاقات العامة وشديد الميل إلى العزلة.

• لكن هذا السفر الذي لوّن تجربتك الشعرية وأثراها على مستوى التخييل والمفارقة غيّبك أيضا وأقصى نصّك من المشهد الشعري الأم لسوريّة

أيضا حتى الجفاء؟.

لقد غادرت سورية في السابعة عشرة من عمري، كنت حينها صوتا شعريا طموحا وصاخبا، ويعبّر عن موهبة نضجت بسرعة على لهب القراءات المكثّفة والإيمان بإمكانية التعبير عن الذات وتحقيقها شعريّا.

كانت المراهنة على صوتي واضحة، وأحاطني كبار شعراء ذلك الوقت برعاية متميّزة، لكنّني لم أمكث بينهم طويلا، فما أَنْ عُرِفْتُ حتى غادرت، فعبرت أفقَ المشهد الشعري كشهاب التمع فجأة وغاب، لكنّ هذه الالتماعة لم تغادر الذاكرة الشعرية السورية، وكان نتاجي يتسرّب إلى المشهد الشعري السوري من خارج الحدود ويأخذ لنفسه حيّزا غامضا، فعندما عدت إلى سورية بعد ثلاثين عاما من الغياب لاحظت أن اسمي كان حاضرا بغموض تحيطه هالة ما، لكنّه الآن وهو يحاول أن يفسّر نفسه يزداد غموضا وتزداد الهالة كثافة في واقع ملتبس. وهذا قدر الشاعر الذي كلما حاول معرفة ذاته والتعبير عنها اكتشف مساحات جديدة من جهله ولاحظ أنّ الآخرين يزدادون جهلا به!.

- **يقول محمود درويش : أطلّ كشرفة بيت على ما أريد. هل إلى هذا الحدّ صار المشهد الشعري العربي خاويا وكاملا بالنقصان؟.**

المشهد الشعري بما يؤثثه من نصوص عربيّة في العقدين الأخيرين ازداد ارتباكا وفوضى. فمع التطوّرات الدراماتيكية الجيوسياسيّة والتي بمجملها تطوّرات كارثيّة تراجع الشعر وانكفأ رغم حاجة البشريّة الماسّة إليه في لحظة تمحلها الوجداني، وما يعترضنا من نصوص منسوبة إلى الشعر أشبه بثمار فاسدة ترميها إلى الهباء أشجار

يابسة جفّت أنساغها. ومن المؤسف حقا انشغال المتلقين المفترضين عن النص الشعري المفترض بسلع المجتمع الاستهلاكي "الثقافية" و"الفنية"، فالعلاقة جدلية بين الإبداع والتلقي، لكن هذا لا ينفي أن واقعا مرضيا كالذي نشهد في وقتنا الراهن لا يخلو من طاقات شعرية وإبداعية متوارية عن الأنظار زهدا أو يأسًا أو كمونا أو تحفّزا، لكنها في وقت ما ستظهر وتعيد صياغة المشهد الشعري العربي صياغة إيجابية طموحة.

- **ثمّة مدن نسكنها وأخرى تسكننا، ثماني سنوات قضيتها ببيروت حتى "هرم التلميذ" و"غضب العاشقان" فإلاّ بعينيك ما اهتزت الروح/كنّا اختلطنا دما وخلايا/وكنت تمسّين بالهمس واللمس لبّ العظام..**
أكلّ هذا الضباب كي لا ترى؟.

بيروت التي عرفتها وعرفتني، غير بيروت الآن، فأنا عشت في بيروت الحرب الأهلية، بيروت التي كانت غابات بنادق وفنادق، كان الشعراء فيها عصافير على أغصان الإسمنت المسلّح المشتبكة والمتشابكة وكانت قصائدهم ورودا تنبت بين خرائب المدينة. في هذه السنوات الاستثنائية من عمر بيروت وعمري (1974-1982) عرفت حبي الأول، وكتابي الشعري الأول، وعملي الصحفي الفعلي الأول، وركبت الطائرات لأوّل مرة، وحملت لأول مرة جواز سفر باسم آخر نسيته الآن، في تلك السنوات التسع كنت واحدا من شعراء بيروت الذين أهدتهم إليها مدن عربية أخرى مشرقية ومغربية.
وعندما غادرت بيروت كان في رصيدي ستّ مجموعات شعريّة مطبوعة، وعدّة مخطوطات وخبرة صحفية نادرة في ظروف نادرة وتجربة حبّ عنيفة وإحساس

عميق بالحرّية وشعور بأنني خلفت ورائي قطعة من حياتي وتجربة لن أستأنفها في المكان نفسه وذكريات ثمينة لن أستعيدها إلاّ بالحبر، وهو شعور الوداع الكبير لمدن تركتها وقلبي عليها من مصير كارثي، كانت بيروت أوّلها ثم عدن ثم بغداد، إنّ بيروت التي احتضنت المقاومة الفلسطينية وقوى التحرر العربية بعد أن أرادها الغرب الاستعماري مجرّد وعاء لتفريغ الكبت السياسي والعاطفي والاقتصادي والجنسي تحوّلت في لحظة تاريخية من عمرها إلى مكان نوراني تنويري كثّف الهاجس العربي بالحرّية والتحرّر بأن قبل التحدّي فكابد المعاناة من جرّاء اجتياح إسرائيلي لبيروت التي كانت أول عاصمة عربية يحتلّها العدو الصهيوني، لكن هذا المكان الذي حبل بكلّ الأحلام الفلسطينية والعربية بعد أن تلاقَحَتْ فيه أفكار الحرية من أصقاع الدنيا وجنبات التاريخ، أنجبَ مقاومةً من طراز خاص تمكنت من تحرير لبنان كلّه من الاحتلال الإسرائيلي بقوّة السلاح والدماء وكبدت إسرائيل أوّل هزيمة فعليّة منذ قيامها. ولذا يريدون الآن الالتفاف على هذه المقاومة من الداخل اللبناني للانتقام منها شرّ انتقام بعد تجريدها من سلاحها. بيروت هذه كانت حاضنة مرحلة مهمّة وحسّاسة ومفصلية في تجربتي الشعرية، وسنواتي فيها كانت سنوات جمر وخمر وانعتاق مطلق أسس كياني وطبعه.

- **قصيدة النثر، بتلات الوردة الذابلة صارت ضلعا كسرته امرأة من رمل، هل هذا كلّ ما حدث؟.**

-قصيدة النثر، هي اقتراح لشكل فني آخر يفتح آفاقا جديدة لكتابة النص الشعري، وهو اقتراح قديم بدأً في نهاية الخمسينات وأوائل الستينات مع شعراء سوريين ولبنانيين كالماغوط والحاج وَمَيّسَّر وغيرهم.

ومع سيادة نمطية ما عند شعراء قصيدة التفعيلة ونزعة المغايرة المشروعة دائما عند الشعراء الشباب عاد هذا الاقتراح إلى الصدارة مع خلع عباءات حداثوية عليه.
والحقيقة أنّ كل تجربة شعرية وكلّ مغامرة شعرية أصيلة لا يجب أن تقوم بانقلاب على النص يجرده من شعريته بذرائع حداثوية. فالقصيدة النثرية عندي هي شكل إيقاعي مختلف عن العمودي و"التفعيلة" لأنّه نصّ مجرّد من أوزان البحور والقافية، وهما شكلان ايقاعيان، لكنّه يعوّض ذلك بالكثافة والإيحاء باعتماد أكبر على الصورة والمفارقة الشعريتين، وهكذا تتحقق الشعرية فيه أكثر من النص المتكئ إلى الوزن والقافية.
يجب أن ننتبه إلى أنّ النص المجرّد من الوزن والمحافظ على القافية هو ضرب من السجع النثري وليس شعرا، وهذا ما يقع فيه الكثير من الشعراء الشباب.
قصيدة النثر بمعنى القصيدة غير الموزونة والمقفاة شكل مستقبلي لشعرنا العربي، وهي الأصعب كتابة، والذين يستسهلونها بنظم الخطابات والشعارات من الدخلاء على الكتابة الشعرية أو أولئك الذين يعتمدون تقنية نص الترجمة، أو من يريد إقحام خاصيّات لغة أجنبية على نص قصيدة النثر، يحبّرون على هامش قصيدة النثر أو بعيدا عنها. فالقصيدة غير الموزونة والمقفاة ليست دخيلة على الكتابة الشعرية العربية، ونقائصها خارجها وعند المتطفلين عليها، وهي لها تجلياتها الرائعة والمتنوعة في المدوّنة الشعرية العربية.

- **زاوجت بين الشعر والإعلام، كل يستفيد من الكلّ، أعتقد أن على الشاعر أن يكتب نصّه بعيدا عن الغوغاءات ونقيق الضفادع.. أم هل صار الإعلام الملجأ الأوحد للشاعر كي يدافع عن وجوده البيولوجي اليومي؟**

إنها للأسف علاقة سيئة، فالإعلام يروّج الرداءة ويقوم على الدعاية غير الموضوعية. والإعلاميون الذين استسهلوا النشر تنطّعوا إلى كتابة الشعر وصاروا طفيليات على المشهد الشعري ويفرضون أنفسهم على هذا المشهد بسلطتهم الإعلامية لافتقادهم موهبة شعرية تفرض نفسها بسلطتها هي.

شخصيا كنت دائما أحاول توظيف عملي الإعلامي لصالح الإبداع وفي خدمته وليس العكس، والآن أمنيتي أن أغادر العمل الإعلامي وأعطي وقتي كله للقراءة والكتابة الإبداعية. إنّ الإعلام في وقتنا الراهن الاستهلاكي يطحن القمح والزؤان معا. ثمّة مساحات يجب أن تمتلئ بكلمات "شعبولا" أو بدر شاكر السياب، ليس مهمّا.؟!

حاوره في تونس : وليد الزريبي

وَنُشر في جريدة العرب اللندنية 14 – الجمعة 2005/5/27

..أضرمتُ الكثير من الهشيم بلهب أسئلتي الشعرية والنثرية

لأنه تأثر بـ"رامبو" فهو من حيث لا يريد، ينادي بلسان حاله لا الأساطير ولا الشخوص تشفي غليله. رامبو ..كما يذكر (هادي دانيال) توقف عن كتابة الشعر في السابعة عشرة من عمره بينما بدأ هادي بكتابة الشعر في هذا السن!، وربما سيواصل دانيال كتابة الشعر ليمزجه بالواقع ..وليغمره بتجربة الغربة ومرارتها ثم ليخلق من السياسة وخيال النثر وطفرة الشعر ..ما يتلامس مع أسطورة ظمأ الحب للوطن الذي لا نعرفه إلا حينما نبتعد عنه.

كأنما بعد الغربة والقراءات والشواطئ يجد دانيال نفسه في قريته القريبة من اللاذقية.. وكلما حاول أن يدير ظهره لكل شيء يجد نفسه انه يبحث عن سلالة روحه التي تنافرت مع سلالة دمه !، إنه يخشى ان تكون سلالة روحه نائمة في السلالة الدموية ! !.

لنترك الأسئلة لهادي دانيال ..فهو الذي يفتح منافذها على الجراح والآمال .. وما علينا نحن الذين نقرأ الشعر..فنطرب منه وله.. أو ننفر منه في أحيان قليلة، إلا أن نستجمع قوانا أو ما بقي من قوانا

العقلية والروحية.. لنسكن نجوماً ثانية أقل خوفاً من كوكب الأرض..

لنسكن نجوماً يخلقها لنا الشعراء..باعتبارهم في لحظات ما يمثلون لنا هوامش حدائق نلجأ إليها لننجو من الكوارث التي تفد إلينا من كل حدب وصوب.

- **متى ولماذا غادرت الوطن ؟ وإلى أين ؟.**

حدث ذلك قبل ثلاثين عاماً ونيف، كنت شاعراً في السابعة عشرة من عمره، كانت تطلعاته عالية بل شاهقة العلو، وأحلامه تنبض بالتمرد ونشدان ما قد يبدو لغيره مستحيلاً. ورغم أني قرأت مبكراً كتاب الراحل صدقي إسماعيل "رامبو.. قصة شاعر متشرد" من مكتبة الصديق الشاعر محمد خالد رمضان، إلاّ أنَّ الشاعر المبدع بندر عبد الحميد أهداني كتاب"الشعر والتجربة" لماكليش الذي ما أن فرغت من قراءته حتى وجدتني أكثر اندفاعاً لخوض تجربة المغامرة ليس على صعيد الكتابة الشعرية فحسب بل على صعيد البحث عن حياة أخرى في أمكنة أخرى مع بشر آخرين. ربما كنت مهموزاً برغبة ما في الحصول على تجربة شاعر متشرد تفتح آفاقاً إبداعية بكراً لحظة جاوزْتُ الحدود السورية إلى الأراضي اللبنانية بطريقة غير شرعية، لكن تجربة أخرى كانت بانتظاري، أعني تجربة النضال في صفوف الثورة الفلسطينية.

- **هكذا كنت محظوظاً اكثر، فبدلاً من ان تكون شاعراً متشرداً برزت شاعر مقاومة حسب تعبير الشاعر اليمني الكبير عبد الله البردوني؟.**

البردوني كان يسمع قصائدي من إذاعة فلسطين خلال اجتياح بيروت، ليست تلك القصائد أفضل ما كتبت، أو ما كنت أطمح إلى كتابته شعرياً. الانشغال السياسي لجم نزوعي المبكر إلى إنجاز فتوحات شعرية. لكنني خضت تجربة إنسانية أفخر بها، كما أن العمل في مجلة "الهدف" التي أسسها المبدع الكبير غسان كنفاني مصححاً لغوياً فمحرراً ثقافياً فسكرتيراً للتحرير قبل الانتقال للعمل كمدير برامج ثقافية في إذاعة فلسطين منحني تجربة غنية ما زلت أمتح منها على صعيد الكتابة الصحفية.

- **هل كنت تشعر بالغبن في مسقط رأسك كمبدع، فذهبت تبحث عن إنصاف خارجه ؟.**

إذا نظرت الآن إلى الخلف، وعدت إلى سنة 1973، أتذكر أنني كنت محوطاً برعاية واهتمام ملحوظين منذ بدأت أراسل الصحف والصفحات الأدبية فيها آنذاك كان يشرف عليها مبدعونا الكبار : علي الجندي، ممدوح عدوان، علي كنعان ولاحقاً زكريا تامر، أحمد دحبور، وخلدون الشمعة ..جميع هؤلاء كانوا متحمسين لكتابتي الشعرية .

لكن تلك السن لها خصوصيتها عند الإنسان العادي، وعند الإنسان المبدع. لم أكن أبحث عن الإطراء ولا عن الاعتراف بي كشاعر له حيزه في المشهد الشعري السوري مثلاً. كان هذا بعيداً عن ذلك الفتى الذي يهجس بإنجاز مختلف عن كل ماهو سائد رغم أنني مثلاً كنت معجباً ببناء القصيدة عند الشاعرين ممدوح عدوان

وأمل دنقل، وانعكس هذا الإعجاب في بنى قصائدي لسنة 1973 التي تضمنتها مجموعتاي الشعريتان (بردى ..ووفود الجوع) و(رؤى الفتى) وما تبقى من نتاج تلك السنة الأكثر غزارة من بين سنوات تجربتي رحَّلْتُه إلى مجموعتي (يتشكّل الغيم في رحم المدينة). كنت شاعراً شاباً أو فتى قلقاً كل مجايلي أكبر مني سناً، لكنني لم أفكر بمنافسة أحد منهم، كنت حينها أشغل نفسي بمنافسة "أدونيس" الذي رفضت التعرف عليه إلا بعد سبع سنوات ونيف من وجودي في بيروت وصدور ستة كتب شعرية لي، وكتابتي المشاكسة كونت عند الدكتور جورج حبش رأياً مفاده أنني أزاحم محمود درويش على مكانته كشاعر الثورة الفلسطينية، والحقيقة أنّ هذا لم يبرق في ذهني يوماً فقط كنت أخوض التجربة بصدق.

- **هل تغيرت أغراضُ شعرك من دمشق إلى بيروت ؟.**

لقد ولدتُ شاعراً ذاتياً بامتياز وهذا ما جعل خسائري على صعيد بناء القصيدة أقل نسبياً. كيف ذلك ؟ لتعرف أولاً أنني في وقت قياسي من عمر تجربتي نضجت قصيدتي وغادرت ملامح قصيدة مبدعنا الكبير ممدوح عدوان لتباغت قراءها بملامح خاصة على مستوى بناء الصورة والشكل الإيقاعي، وكما قال الشاعر أحمد مطر لاحقاً وجدت نفسي أخلط البحور في القصيدة الواحدة، وفي الوقت نفسه أولي الصورة أهمية مركزية في بناء النص، لكن الأهم هو أنّ ما قد يعد غرضاً عاماً أو تجربة موضوعية كان يذوب في عقلي ووجداني لحظة الكتابة كهاجس ذاتي ولذا كانت الصحف اللبنانية تعدني شاعراً فلسطينياً كما صارت صحف عربية تعدني بعد عشرين سنة شاعراً تونسياً.. بتفصيل أكثر ربما إن أغراض قصيدتي هي تلك الأغراض الخالدة في الشعر الإنساني التي أبرزها الصراع الأبدي بين الخير والشر،

وما الصراع العربي الصهيوني مثلاً إلا أحد تجلياته المعاصرة، ناهيك عن غرض الحب الخالد أيضاً عذرياً كان أم إيروسياً بل كثيراً ما تجتمع هذه الأغراض في قصيدة واحدة فمن خيوط الخاص والعام أنسج نصي الشعري المضمخ بذاتي الطاغية، وربما لهذا السبب يلقى نصي الشعري عند القراءة قبولاً خاصاً لا يقف عند الإفتتان بالصورة الشعرية، بل عبر قراء كثيرون ومن فئات اجتماعية ومستويات ثقافية مختلفة عن استمتاعهم بنصي لأنه يخلق عندهم إحساسًا بأنه يعبر عنهم، عن ما يختلج في وجداهم من أفكار وهواجس ، لكنهم كما يقول الشاعر الراحل خليل حاوي :"أحسه عندي ولا أعيه، أحسّه عندي وأدّعيه".

- **ماذا أنجزت بعد ثلاثين سنة من الغربة ؟.**

أضرمت الكثير من الهشيم بلهب أسئلتي التي تشف عنها كتابتي الشعرية والنثرية، الأدبية الإبداعية والسياسية الفكرية، فرضت نفسي مختلفاً وضرورياً أينما حللت جعلت الآخرين يقبلون اعتقادي أن الكتابة نقدية أو لا تكون. وتعلمت مراوغة الواقع بغية تغييره من مراوغة اللغة بغية ترويضها واستيلادها، ولكن الأهم من ذلك كله أنني بعد كل هذه العقود من الغربة الإبداعية أجد نفسي بصدد البدء بكتابة جديدة هي التي من أجلها أدرت ظهري لسلالة دمي بحثاً عن سلالة الروح. لكن سيكون الأمر مروعاً لو اكتشفت أن سلالة روحي كانت نائمة في السلالة الدموية، و لم يوقظها غير رحيلي المدوي.

- **ألم يباغتك الشوق إلى أول الأماكن التي رأتها عيناك وزكمت روائحها أنفك لأول مرة ؟**

في كتابة لم تبهجني مثلها كتابة على تجربتي قال صديقي القديم (صقر أبو فخر) :" لن يشفى هادي دانيال إلا بالعودة إلى بردى" وأن جميع العواصم التي طالما وطئتها رجلاي كانت تحرشاً بدمشق واقتراباً مراوغاً منها.

ربما لا يجانب استنتاج صقر الصواب! ..بل في هذه الكتابة التي عنونها (هادي دانيال والحنين إلى الأمكنة الأولى) تحدث صقر أبو فخر مقارناً بين آرثررامبو وبيني مذكراً بأنه مع أصدقائنا كان يطلق علي تحبباً "رامبو الشام" مع فارق أساسي هو أن رامبو فرنسا توقف عن كتابة الشعر في السابعة عشرة بينما أنا بدأت أكتب شعري في هذه السنّ ..لقد بث صقر أبو فخر أملاً عندي في أن استأنف مغامرتي الشعرية بحثاً عن فتوحات شعرية ولكن هذه المرة برحلة معاكسة باتجاه الوطن/الأمكنة الأولى . لقد نفخ صديقي على جمار تكسوها طبقة رقيقة من الرماد!.

- **بعد ثلاثين عاماً عدت قبل أشهر في زيارة أولى إلى سورية ، كيف كان شعورك بعد زيارة قريتك (كفرية) التي ولدت فيها ؟.**

لقد قضيت بين دمشق واللاذقية وكفرية خمسة وأربعين يوماً ، كنت خلالها مسرنماً حقاً، كان حلماً استيقظت منه في مطار قرطاج تونس الدولي وما زلت أستعيده إلى الآن لحظة بلحظة .

أما قريتي "كفرية" فلا أبالغ إن قلت لك إنها أجمل مكان على وجه الأرض ، من بيتنا فيها أنى اتجهت يحيطك الأخضر بتدرجاته!، والبحر يبدو خيطاً أزرق تذوب فيه الشمس رويداً رويداً لحظة الغروب، ثم هل ثمة طريق أجمل من تلك التي تربط اللاذقية بقريتنا ؟ لا أظن. هذا الجمال لا ندركه إلا حين نفقده، أن تولد فيه وتعايشه يومياً لحظة بلحظة لن تكتشفه، يجب أن تعبره كسائح كي تستمتع بجماليته وسحره، بل أنا الآن ومنذ بارحت سورية أستعيد كل الأصوات التي سمعتها والروائح التي شممتها والعيون التي حاورتها والمسامات التي لمستها بكفي أو شفتي وأشهق شوقاً، لكن هذا لا يلغي أنني سأستأنف غربتي التي هي غربة كل مبدع يتطلع دائماً إلى الأجمل والأعمق والأعلى .

- **هل أنت على تواصل مع المشهد الشعري السوري رغم الغربة؟.**

ليس بالمعنى التفصيلي ، لكنني أحرص دائماً على متابعة هذا المشهد بالسبل التي تتاح لي. فأنا لا أعرف مثلاً إلى أين وصلت قصيدة بندر عبد الحميد ، لكنني قرأت بشغف كتاب صديقي الحميم فؤاد كحل "مجهولة الينابيع" و"مكاشفات عابر سبيل" وتفرجت بانبهار طفولي مع صديقي القاص محمود عبد الواحد على الكوكب من زاوية شعرية، وقبل هذا قرأت كتب نديم وكتب زملائه أكرم قطريب، لقمان ديركي، صقر عليشي... وغيرهم، لكن بالتأكيد هذا لا يكفي.

- **هل غيبت الغربة سورية عن كتابتك ؟.**

صحيح أن المكان المادي المحيط بك لحظة الكتابة تتغلغل تأثيراته في النص، فيكون حاضراً بشكل أو بآخر، لكن حضور بلادي في نصي الشعري سهل الإدراك ، بل هو يطغى أحياناً على حضور المكان الذي يشهد ولادة النص ، بل وربما يمكننا ملاحظة ان آخر مجموعاتي الشعرية تنبض بهذا الحضور الجارح بما يشف عنه من حنان وحنين.

- **وماذا عن آخر عمل صدر لك في سورية ؟.**

تقصد ديواني (في مهب الرغبات)، لقد صدر السنة الماضية، وهي المرة الأولى التي يصدر لي فيها كتاب في سورية، فجميع كتبي السابقة صدرت في بيروت وتونس.. إنه تجربة خاصة مع تونسْ كمكان يطيب العيش فيه حقا ومازال هذا الكتاب يلقى هنا أصداء مختلفة، جميعها إيجابي، لكن هذه القراءات الإيجابية تكون من زوايا غير متوقعة.

- **وماذا عن السرقات التي تعرضت لها أعمالك ؟.**

سؤالك يذهب مباشرة إلى ما ارتكبه ذلك البائس المدعو نزار نيوف !.

- **كيف عرفته وماهي حكاية سطوه على نتاجك بالضبط؟.**

بدأت الحكاية أواخر السبعينيات. حضر إلى بيروت مع مغن مبتدئ أعمى يسمي نفسه (عصام). قدما نفسيهما للكاتب الفلسطيني يحيى يخلف الذي يشغل الآن منصب وزير الثقافة في السلطة الفلسطينية، كثنائي على طريقة الشيخ إمام وأحمد فؤاد نجم ، مرسلين إلى يحيى بتوصية من شخصية يسارية سورية. طلب مني صديقي يحيى يخلف أن أصطحب نزاراً ليقضي ليلته في بيتي لأنه لا يبدو مصدر ثقة بينما يذهب صديقه الأعمى إلى "القاعدة " فربما يرفه بعوده عن الفدائيين ، اصطحبت نزاراً هذا إلى بيتي و لم أقصر بواجب الضيافة إزاءه ، وفي الصباح تفقدته فلم أره في سريره ، قلت في نفسي : ربما عنده ما يستوجب الذهاب مبكراً ، ومن حينها لم أره .

لكن بعد أشهر فوجئت بمقال لي منشور باسمه في مجلة "المعرفة" السورية ، ومن سوء حظه أن المقال كان منشوراً في مجلة "الهدف " فوجه رئيس تحريرها آنذاك "عمر قطيش" رسالة مرفقة بصورةٍ عن المقال في حالتيه ، وَلَقِيَ ذلك تجاوباً من رئيس تحرير "المعرفة " الشاعر الراحل محمد عمران الذي خص هذه الحادثة بافتتاحية بعنوان (ثلاث رسائل) إن لم تخني الذاكرة ، دعا فيها إلى مكافحة ظاهرة السرقة الأدبية وتعهد بإغلاق مجلة "المعرفة" أمام هذا اللص نيوف ، لكن بعد خروجنا من بيروت غب اجتياحها من طرف الجيش الإسرائيلي فوجئت بأن نزار نيوف هذا انتحل اسمي ونَسَبَ إليه كتابيّ (رؤى الفتى) و (غليون لتدخين الأحلام)مدعياً أنه هو (هادي دانيال) مراهناً في ذلك على أنني قد لا أعود إلى سورية ،بل قام بإصدار كراس (عندي نسخة منه) يتضمن قصيدتين من مجموعتي

الأولى (بردى.. ووفود الجوع) وقصائد لي لم تنشر من دفتر لي كان قد سطا عليه في تلك الليلة المشؤومة التي شهدت استضافتي له ، ضمن ما سطا عليه من أوراقي. وعلى كل حال ، عندما توجه هذا الدعي إلى باريس عارضاً نفسه صحفياً مزعوماً وناشطاً في مجال حقوق الإنسان ، أصدرت بياناً تم توزيعه في العاصمة الفرنسية سردت فيه حادثة ، بل حوادث سطوه على نتاجي الشعري والنقدي ، منبهاً إلى أن لصاً غير ظريف كنـــزار نيوف لا يستحق غير الإهمال والتعامل معه كمختل ذهنياً ومريض نفسياً يجب إدخاله للعلاج في مصح عقلي !.

- **والآن أين ومم تعيش ؟ أي ماذا تعمل ؟.**

كما تعلم أعيش في تونس منذ عشرين سنة ونيف ، وعملي الوحيد الذي ربما أجيده هو الكتابة ، إنني أكتب مقالاً أسبوعيا في مجلة (المنار) الفلسطينية ، و(الوطن) القطرية و"الوحدة" التونسية ، وأحرص على الكتابة في سياق وطني قومي ديمقراطي تقدمي ، ينسجم مع منهجي الفكري ومسيرتي ضد الشر الذي يتجسد الآن في السياسة الصهيوأمريكية إزاء العرب والمسلمين عموماً وإزاء ما تمثله سورية الآن خصوصاً.

حاوره في تونس : أحمد شحادة

نُشر في صحيفة "تشرين"/دمشق/ملحق "مدارات"/الأحد 2004/6/27.

سوريا أحوج ما تكون إلى تماسك داخلي يتمثل بانفتاح الحكم على قوى الشعب الحية

هادي دانيال، شاعر ومثقف عاش بيننا لثلاثة عقود وتزيد. شامي مازال يحمل أسئلة المغترب في بيته. عُرِفَ ثابتا ومبدئيا وعقلانيا بعاطفية القول وشاعرية الدلالة.

لنصوص دانيال التي قرأنا عمق ذاكرة وطول طريق ولهذا الحوار شكل الفاصلة وظلّ رحلة/حلم.. لم يجب هادي دانيال عن أسئلتنا.. ولو أجاب.

- **ماهي الرؤية التي نظرت بها لسوريا إثر عودة بعد غياب تواصل أكثر من ثلاثين عاما ؟.**

كما تعلم أنا لم أعد إلى بلادي في سياق صفقة سياسية ما، كما يحاول الثرثارون أن يشيعوا. كلّ ما في الأمر أنه بعد استحداث وزارة المغتربين التي أسندت إلى الدكتورة بثينة شعبان التي تدير هذه الوزارة بكفاءة ومسؤولية عاليتين، تمكنت بناء على التسهيلات التي تقدمها الوزارة المذكورة من تقديم طلب لزيارة أهلي في سوريا، فتمت الموافقة التي بمُوجبها يحق لي زيارة بلادي لمرة واحدة في العام،

ومنحت جواز سفري السوري لأول مرّة. وفي فجر19-1-2004 كانت أمي وأبي وشقيقي وشقيقاتي ينتظرونني في مطار دمشق، وفي الثالثة فجرا من ذلك اليوم عانقتهم لأول مرّة منذ ثلاثين عاما. وبين دمشق حيث يقيم أهلي، وقرية كفرية من جبال اللاذقية مسقط رأسي، كنت أتعرف بالكاد على أماكن عرفتني طفلا وفتى.

تصوّر أنك فجأة، وبدون مقدمات، تتعرف على شقيقة لك، ولدت في غيابك، عمرها الآن 25 سنة وتعمل معيدة في كلية الطب لتنفجر بينكما مشاعر عاطفية تغرقكما معا في بحيرة مصطخبة من الدهشة والمحبة الكامنة.. إضافة إلى شقيقة أخرى، ولدت في غيابي أيضا، تخرجت من الجامعة والعائلة، وانشغلت بعمل وزوج وطفلين.. لا أخفيك أني فتنت بقريتنا التي تحيط بها الجبال الخضراء من الجهات كافة ويبدو البحر منها خيطا أزرق. لكنني بعد أسبوعين عاودني الحنين إلى تونس التي عشت فيها من السنين أكثر مما عشت في بلادي.

لكن كما تعلم أيضا، أنا مثقف وكاتب يعنى بالشأن العام : السوري والفلسطيني والعربي عموما والإنساني (العالمي) أيضا. ولذا كان طبيعيا أن أتأمّل أحوال البلاد والعباد حولي، خصوصا وأنني من الذين تفاءلوا بخطاب الرئيس الدكتور بشار الأسد، السياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي، بدءا بخطاب القسم وصولا إلى الحوار الذي أجرته مجلة نيويورك تايمز معه أواخر العام المنصرم. وعبرت عن تفاؤلي بأكثر من مقال.

لقد كانت زيارتي أشبه بحلم يقظة، لكنها بالتأكيد عمقت عندي أفكارا بشأن راهن ومستقبل سوريا. فقد تأكد عندي أن الدكتور بشار هو ابن الرئيس الراحل حافظ الأسد في البيت العائلي فقط، أما خارج البيت، وخصوصا في سدة الحكم فإن الرئيس بشار الأسد يختلف عن سلفه ليس فقط في الرؤية السياسية إلى سوريا

والمنطقة والعالم، بل أيضا في الرؤية إلى الحكم : أهدافه وأدواته وأساليبه، إلا أن ما يكبل الرئيس بشار هو ذلك الإرث من حكم حزب واحد متكلس فكريا ومترهل تنظيميا ومؤسسات وأجهزة دولة أكثر ترهلا وبيرقراطية. وكما قال لي أحد الأصدقاء : الدولة بأجهزتها ومؤسساتها كافة أشبه بثياب طفل ارتداها في الخامسة من عمره. لكنه نما وكبر وصار في الثلاثين فبليت وتمزقت على جسده غير أنه يصر على أن لا يستبدلها بملابس جديدة وعصرية تلائم مقاسه الجديد ومتطلبات حياة جديدة.

نحن في بلاد تشهد نموا ديمغرافيا ملحوظا، ومواطنها ذو تطلعات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية واضحة لكنه محاصر بدولة متهرئة غير قادرة على تأمين وسائل المواصلات الملائمة لتنقّل هذا المواطن بين أنحاء العاصمة مثلا، حيث ترك الأمر لسيارات تتسع الواحدة لعشرة ركاب تتنافس في الوصول مشيعة التوتر والرعب في الطرقات.

إن المواطن السوري الذي لا يخفي تفاؤله بعهد الرئيس بشار الأسد خصوصا على مستوى الشعور بالأمن والأمان واتساع هامش حرية التعبير نسبيا، بعد عقود من الانسحاق تحت وطأة الخوف، يتطلع إلى أن يشهد الحزب الحاكم والدولة تغييرا من داخلهما يستجيب لمشروع الرئيس بشار الداعي والساعي إلى إعادة صياغة الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية والاجتماعية على أسس وطنية ديمقراطية وفي أفق من الحرية المسؤولة.

- **كيف يتعاطى الرأي العام السوري مع الذي حدث في العراق ؟.**

خلال العدوان الأنجلو-أمريكي على العراق كان الرأي العام السوري منسجما مع موقف النظام الوطني في سوريا الرافض لهذا العدوان، والذي وقف بقوة إلى جانب العراق ضد الغزو الأجنبي. وإذا كان النظام لمقتضيات دبلوماسية وظروف إقليمية ودولية معروفة يتعاطى مع المتغيرات بواقعية تأخذ في الحسبان المصلحة الوطنية السورية والعربية العليا فإن الرأي العام السوري في معظمه متعاطف مع المقاومة الوطنية في العراق ويتطير من وجود القوات الأمريكية على الحدود السورية الشرقية، ويرنو إلى الوقت الذي يشهد خروج آخر جندي محتل من العراق الشقيق.

- **أشرت إلى تطوّر سياسي وإعلامي نسبي في سوريا، كيف تجلى لك ذلك؟.**

منذ آلت شؤون الحكم في سوريا إلى الدكتور بشار الأسد لاحظنا تطورا ملحوظا على مستوى السياسة الخارجية عربيا ودوليا ليس فقط على مستوى دعم القضايا العربية كالقضية الفلسطينية والقضية العراقية في المحافل الإقليمية والدولية، بل وعلى مستوى تجسير العلاقات مع القيادات الوطنية الفلسطينية والعراقية بما يخدم القضايا العربية ويمنح الجهود السورية المزيد من المصداقية. بل إن عهد الدكتور بشار الأسد شهد أوسع شبكة علاقات دولية تمكنت الخارجية السورية من نسجها رغما عن المساعي الشريرة الأمريكية- الصهيونية لعزل دمشق دوليا. وكما تعرف فقد أولى الرئيس بشار الأسد اهتماما خاصا بشؤون المغتربين السوريين لربطهم بوطنهم الأم وتفويت الفرصة على القوى المعادية التي تحاول استخدام المغتربين العرب عموما ضد أوطانهم الأصلية، وأعتقد أن الدكتورة بثينة شعبان تقوم بجهود مشكورة لكنها

تحتاج تفهما ومساعدة أكبر من بقية أجهزة الدولة السورية. وفي داخل سوريا بالرغم من البطء في إحداث تغييرات تسمح بحياة سياسية تعددية أعمق وأشمل، يلاحظ أن القبضة الأمنية ارتخت نسبيا عن النشاط السياسي غير المرخص له، إلا حين يكون هذا النشاط مشبوها، بمعنى أنه مرتبط بضغوط أجنبية أمريكية وصهيونية خاصة. وكي نفهم هذه التغيرات أكثر نشير إلى أنه كان يكفي في العهد السابق أن تختلف مع شخص ما على أمر شخصي حتى يلفق لك تهمة شتم الرئيس مثلا فيتم القبض عليك والزج بك في غياهب السجون إلى أجل غير مسمى وبدون محاكمة. أما الآن فلا تعتمد الوشايات الأمنية إلا بعد تفحيص وتمحيص ومواجهة الواشي مع المتهم.. وفي حال ثبوت كذب الواشي يعاقب، ولذا تم القضاء نسبيا على من كانوا يتمعشون من الوشاية.

أما إعلاميا فثمة تطور ملحوظ، فأحزاب المعارضة المرخص لها تصدر صحفها لأول مرة، وثمة إقبال جماهيري ملحوظ على هذه الصحف، كما هو الحال مع صحيفتي الحزبين الشيوعيين : (صوت الشعب) و (النور). كما أنه ثمة صحف مستقلة، وأيضا يمكنك أن تحصل من المكتبات والأكشاك على صحف عربية (لبنانية، خليجية، أردنية ومصرية) أكثر مما تحصل عليه هنا. يضاف إلى ذلك اتساع هامش النقد في الصحف الرسمية كالثورة والبعث وتشرين، هذا الهامش الذي صار يمس الدعوة إلى إعادة النظر في النظرية البعثية نفسها. بل إن مفكرين سوريين كالطيب تيزيني ينشر مقالات تدعو إلى التغيير في سوريا، في صحف لبنانية توزع في سوريا نفسها، كما هو حال صحيفة (المحرر) لصاحبها نهاد الغادري والد العميل الأمريكي فؤاد الغادري.. هذا تطور مهم، لكن المواطن ينتظر إفراجات سياسية وإعلامية أوسع وأشمل. وبالمناسبة ينظر إلى تونس كنموذج يحتذى على مستوى الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية خاصة.

• وماذا بخصوص الحركة الثقافية ؟.

بصراحة، حتى في عهد الرئيس الراحل حافظ الأسد، تمتع المثقفون السوريون بهامش من الحرية، هو نسبي، لكنه مهم إذا قارناه بانعدام أي هامش عند مثقفين عرب آخرين في ظل أنظمة حكم مماثلة، لكن انعدام المسؤولية عند بعض المثقفين في مرحلة ما يسمّى (ربيع دمشق) حيث رضي البعض لنفسه أن يكون أمعة ومطية للسفارات الأجنبية جعل الوسط الثقافي متوتّرا نوعا ما، ذلك أنّ ثقة المواطن، قبل الحاكم، ببعض المثقفين اهتزّت بقوة. فمثلا ينظر باحتقار من الطلبة والمهتمين بالثقافة إلى أمثال الروائي نبيل سليمان الذي تفوح منه رائحة البترودولار الخليجي بعد أن كان يرفع رايات يسارية وتقدمية ولا تجد من يأسف لما تعرض له من تعنيف.

أمّا الأهم من ذلك أن حركة النشر ممتازة على مستوى دور النشر الخاصة، والتي صارت ظاهرة ملموسة، أو على مستوى منشورات وزارة الثقافة واتحاد الكتاب العرب ، وفي سوريا مجلات ثقافية مختصة كثيرة كالمعرفة والموقف الأدبي والحياة المسرحية والحياة السينمائية والحياة الموسيقية، كما أن القارئ السوري يحصل على المجلات العربية المختصة كالكرمل والآداب وغيرهما من السوق. ولا يقل أهمية أن الجيل الجديد من الشباب والطلبة جيل يقرأ، وأن الكتاب هو المصدر الأهم للمعرفة عند هذا الجيل، هذا ما لمسته شخصيا، ليس فقط من مراقبة رواد مكتبة الأسد، بل من مراقبة المكتبات الشخصية للكثير من معارفي وأقربائي، ومن النقاشات التي تدور بين أبناء هذا الجيل.

- **وماذا بخصوص التفاعل مع السياسات والضغوط الأمريكية على سوريا؟.**

لن أكون موضوعيا إذا قلت لك إن سوريا نظيفة تماما من رهوط العملاء الذين يدعون إلى التدخل الخارجي أو الأمريكي في شؤونها الداخلية. ولكن أين يوجد هؤلاء ؟.

إنهم للأسف يوجدون في أوساط بعض الاقليات العرقية والطائفية، فثمة نفوس مريضة وضمائر فاسدة أكثرها انتشارا في الوسط السياسي الكردي، وهي التي تورطت في أحداث القامشلي التخريبية.

ولكن ثمة متضررون من ممارسات حاشية النظام في مدينة اللاذقية خاصة، ليسوا مرتبطين بالخارج، لكنهم لن يقاوموا تدخلا خارجيا ؟ إن حصل لا سمح الله — بسبب المظالم التي يتعرضون لها من أزلام شخصيات معينة في حاشية النظام.

لكن الخطر الحقيقي يكمن في أولئك الذين يحولون دون إجراء تغييرات من داخل النظام نفسه، فهؤلاء عن قصد ؟ ربما– يهيّئون الظروف لتدخل خارجي.

لأنه بترك الأزمات الداخلية السياسية والاقتصادية والاجتماعية دون حلول ناجعة يحولون الوضع الداخلي إلى مشاكل وأزمات على حافة الانفجار، وبالتالي يقوم العملاء المحليون من أكراد وغيرهم بدور الصواعق التي تفجر هذه الأزمات والمشاكل.

لقد ذهب إلى غير رجعة التفكير الخاطئ باللجوء إلى حلول أمنية لهذه الأزمات، فالحلول الناجعة هي الحلول السياسية الداخلية والمراهنة على الشعب السوري وقواه الحية الوطنية الديمقراطية لمواجهة الضغوط الخارجية الأمريكية ورهوط العملاء المحليين الذين يستجيبون لهذه الضغوط.

لقد آن الأوان لرفع حالة الطوارئ وسنّ قانون الأحزاب الديمقراطي، وقانون الاعلام الحر، فسوريا بلد يحف به الأعداء والمتآمرون من الجهات كافة، فالعدو الصهيوني يحتل من أرضها الجولان العزيز، والعدو الأمريكي يحتل العراق : عمقها العربي شرقا ويضغط عليها سياسيا ويهدد بتسليط قانون معاقبة عليها. وبالتالي هي الآن أحوج ما تكون إلى تماسك داخلي يتمثل بانفتاح الحكم على قوى الشعب الحية، ليشعر المواطن العادي قبل النخب السياسية والثقافية بضرورة الالتفاف حول قيادته الوطنية لصيانة الوطن والمواطنين وحمايتهم من أي تدخّل خارجي محتمل.

إن المصلحة الوطنية القومية العليا تقتضي ترشيق الحزب الحاكم وأجهزة الدولة، وتشريك الأحزاب الوطنية الديمقراطية في القرار السياسي، وجعل الاعلام وسيطا بين الشعب والحكم بتمكينه من القيام بواجباته كسلطة رابعة، ومفاتحة الشعب بواقع الحال وطلب معونته وحده لرفع التحديات وتمكينة من الظروف الملائمة والأدوات الناجعة لنجدة الوطن وتفويت الفرص على الأعداء وعملائه المتربصين.

إن الشارع السوري شارع إسلامي وطني ديمقراطي يرفض أي تدخل خارجي في سوريا، ولن يقبل إستقواء بعض القوى الموتورة الكردية أو الإسلاموية (الاخوان المسلمين) بالضغوط الأمريكية على قيادتنا الوطنية وهو مستعد لمقاومة الضغوط الخارجية كافة، ولكن على النظام أن يسرع بتطبيق خطاب الرئيس بشار الأسد وتنفيذ مشروعه الوطني الديمقراطي فورا وبدون تلكؤ لأن الوقت إذا مر بدون إصلاحات وطنية ديمقراطية سيدفع البلاد إلى مأزق حقيقي.

حــاوره في تونس : هشام الحاجي

وَنُشر في جريدة (الوحدة) الأسبوعية التونسية، عدد الجمعة 19 مارس 2004

منع كتاب في عصر الأنترنيت مكابرة حمقاء

ينتمي هادي دانيال إلى شجرة الشعر المباركة أي أنه من الشعراء "الذين يدومون" ويحتفظون بنارنج شعريتهم لأن الحياة ليست في نهاية المطاف سوى حطب يشعلونه وينصرفون. من رحيل إلى آخر صاغ هادي دانيال قامته وصوته المتفرد زاده في ذلك الخسارات التي تصقل معدن الروح وتجعل منه غريباً في "قطعان بلا صمت ولا صوت" يبتدع الأزمنة لأمكنته المختلفة، تعددت الجهات من سورية إلى لبنان ثم الجزائر ، بغداد ، الرباط ، وأخيراً تونس، لكن الهم ظل واحداً والشاعر ظل شاعراً في وقت سقط فيه الآخرون في دكاكين السياسة والتجارة .

"النصر" التقت الشاعر في العاصمة التونسية أياماً بعد صدور ديوانه الأخير "رأس تداولته القبعات" الذي تعرض للحجز وأثار ذلك صخباَ إعلامياً، ورغم أن هادي دانيال عريق في المنافي والمنع و الهجر والتهجير إلا أن هذه "الحادثة" جرحت روحه وجعلته يفكر في الرحيل من جديد ليحلق تحت سماء أخرى رغم الارتباطات السلالية التي ترش جناحيه بماء الطمأنينة والاستقرار .

وفي هذا الحوار يتحدث دانيال عن معاناته مع ديوانه وعن الواقع العربي، حيث يقول إن الذين رفعوا شعارات الحداثة هم الذين أجهزوا عليها بتحالفهم مع قوى التخلف أو بتقمصهم لصورة الحكام الذين سبقوهم إلى السلطة وما إلى ذلك مما هنالك ...

كما يتحدث عن الجزائر التي يرى بأنها كانت قلعة الانطلاق وبالتالي فإن ما أصابها له بالغ الأثر على المستقبل العربي ككل إلى جانب قضايا أخرى..

- **نبدأ من حكاية مصادرة "رأس تداولته القبعات".. ما الذي حدث بالضبط ؟.**

تسلمت دائرة الرقابة التونسية المسماة تهذيباً "لجنة الإيداع القانوني" والمكونة من ثلاث وزارات، الثقافة والداخلية والعدل، النسخ المطلوبة من كتابي الشعري "رأس تداولته القبعات" في أوائل نوفمبر، تشرين الثاني 2001 بقصد منحه رخصة السماح بالتداول في تونس بعد طبعه كما هو معمول به هنا، لكن الأسابيع مرت دون أن تمكن اللجنة المذكورة الناشر من تسلم الكتاب من المطبعة بغية توزيعه، ليبقى الشهر تلو الآخر قيد الإقامة الجبرية في مطابع سانباكت بتونس، بذلنا جهوداً مضنية وأجرينا اتصالات مكثفة، أنا والناشر، بدون جدوى، رفضوا أيضاً السماح بتسلمه من المطبعة مقابل التعهد بعدم توزيعه في تونس، ولم نتمكن من معرفة مواطن الخطر على الأمن الوطني في مجموعة شعرية مكونة من عشر قصائد نثرية معظمها سبق وأن نشر في صحف رسمية تونسية، وجميعها كتبت خارج تونس كما هو مبين، لكن سوء التأويل أحال الكتاب إلى وزارة الداخلية لتقرير مصيره

الذي صار أكثر من غامض، المثقفون والكتاب الرسميون وغير الرسميين والذين يسمون أنفسهم أحراراً والمؤسسات التي يفترض أنها معنية بالأمر، بدا أنهم بتشف ينتظرون اللحظة التي يساق فيها الكتاب إلى ساحة الإتلاف وبصمتهم صاروا يلفون حول عنق "رأس تداولته القبعات" المشنقة! رغم أنني كثيراً ما أغضبت حكوماتهم علي دفاعاً عنهم!.

عندئذ، وبعد قرابة الستة أشهر من مصادرة المجموعة ، صدر بيان عن الشعراء السوريين في دمشق نجم عنه أن السلطات التونسية اتصلت بالناشر طالبة منه تسلم نسخ المجموعة كاملة من المطبعة مع السماح له بتوزيعها في تونس وعلى وجه السرعة!. إلى الآن نقدر أن المجموعة خرجت من الأسر بقوة بيان الشعراء السوريين، لكننا لم نعرف بعد وربما لن نعرف مستقبلاً، لماذا بالضبط وقعت مصادرتها كل هذه المدة!. على كل حال لم يؤثر السماح بتوزيعها سلباً على الأمن التونسي، بينما مصادرتها نصف سنة شوش كثيراً على مصداقية الخطاب التونسي حول الديمقراطية وحرية التعبير وخلف عندي جروحاً وآثارًا لن تمحى بسهولة.

- **هذا يقودنا إلى "ثقافة" المنع التي مازالت سائدة للأسف في الوطن العربي، كيف تعيشونها وكيف تواجهونها كشاعر؟.**

منع الكتاب في عصر "الأنترنيت" والقنوات التلفزيونية الفضائية مكابرة حمقاء من جهات لا تشعر بتحقق ذاتها إلا بالمنع والقمع، إنها ظاهرة مرضية، والمؤسف أن تكتشف أن ممارسات المنع يقوم بها مباشرة أو يحرض عليها من يزعمون أنهم شعراء وكتاب ومثقفون ليس بصمتهم فقط بل بصدور أوامر وقرارات المنع عنهم. مازلت أحتفظ مثلاً بقرار إلغاء دعوة وجهتها إليّ إدارة مهرجان الشعر العربي الحديث في

توزر كانت نشرتها الصحافة هنا وقرار الإلغاء وصلني مكتوباً بقلم الميداني بن صالح بصفته رئيس اتحاد الكتاب التونسيين والمسؤول عن ضبط الدعوات في المهرجان المذكور علماً أن الميداني يعد نفسه شاعراً ويطمح إلى أن يختم سيرته الذاتية بمنصب أمين عام اتحاد الأدباء والكتاب العرب!.

ولقد واجهت أشكالاً مختلفة من محاولات تقييد قلمي بالترهيب والترغيب، لكنني دائماً على كامل الاستعداد لدفع ثمن مطالبتي بالحرية لي ولغيري لأنها تتصدر حقوقنا الإنسانية وهي شرط الإبداع الأساس فليس من حقي أن أذلّ ديواني بالتواطؤ مع أي كان عليه، فبذلك أذل الشعر كله والشعراء جميعهم، بل أكثر من ذلك أرى أنني بهذا التواطؤ أذل نفسي، وهذا ليس من حقي، ففي تفسيره لقوله تعالى " ولله العزة ولرسوله والمؤمنين " قال الإمام جعفر الصادق "إن الله فوض إلى المؤمن أموره كلها و لم يفوض إليه أن يذل نفسه".

وهنا أشير إلى أن ضرباً من الخوف على مصير كل كتاب جديد صار يلازمه منذ لحظة إنجازه وتقديمه على هيئة مخطوط إلى أي دار نشر، لم تَعُدْ تشعر بالأمان على هذا الصعيد، وتهدر الكثير من الوقت والأعصاب والتفكير في انتظار موافقة الرقيب على توزيع كتابك بعد طباعته، ولا تنس أن الناشرين (الشجعان) يتجنبون التعامل مع الكاتب أو الشاعر الذي تتكرر مشاكله مع الرقابة، إضافة إلى أن مؤلفات مثل هذا الكاتب لا تقتنيها وزارة الثقافة كما هو حاصل معي منذ عشر سنوات كنوع من الضغط على دور النشر للكف عن التعامل معي، والذي إن كنت أجابهه بالإهمال لكن حذر دور النشر في تسلم مخطوطاتي صار ملحوظاً ومع ذلك لن أذل نفسي تحت أي ظرف .

- **أقمتم في الجزائر في الفترة التي سبقت نزولها إلى الجحيم، كيف استضاف الشاعر هادي دانيال الجزائر في خياله وكيف رأى سقوطها؟.**

الذي حصل في الجزائر بأيد جزائرية، في الظاهر كان تجويفاً لقوة عربية -إفريقية- إسلامية- تقدمية قامت في تاريخ العالم السياسي المعاصر بدور مهم من أجل دعم استقلال الشعوب، ومثلت نموذجاً للكفاح الشعبي العالم ثالثي ضد الاستعمار، وبالتالي كان ما حصل انتقاماً للهزائم التي ألحقتها الجزائر بالاستعمار القديم، ومن وجهة الاستعمار الجديد لا بد من تدمير هذا النموذج النضالي لدرجة التمثيل به لتكريس اليأس عند الشعوب العربية المستهدفة من الاستعمار الأمريكي الجديد.

بنـــزول الجزائر إلى الجحيم بتعبيرك، انهار جدار ضخم كان يستند الأمل العربي إليه، إنه بالنسبة إلينا كارثة أكثر تأثيراً على المستقبل العربي مما يعاني منه العراق والشعب الفلسطيني.

ورغم إدراكي لحساسية أهلي في الجزائر إزاء أي قول يأتي من خارج حدودها بشأن ما حصل ويحصل فيها، فإنني أحمِّل الدولة الجزائرية و مؤسساتها البيروقراطية مسؤولية ما حدث لأنها طيلة العقود التي أعقبت الاستقلال مهدت بالسياسات الإستراتيجية الخاطئة للذي حصل، خصوصاً على الصعيد الثقافي حيث نما صراع في ظل الرئيس الراحل بومدين بين قوى الإسلام السياسي التي كانت تعمل بنشاط ملموس تحت غطاء التعريب الرسمي وبين قوى اليسار الفرنكفوني التي كانت تنشط تحت غطاء السياسة التقدمية للنظام، وكان خطاب القوى الإسلامية وخطاب القوى اليسارية يقوم على نفي الآخر ونقضه، بينما طبيعة المجتمع الجزائري كانت ولا تزال في حاجة إلى خطاب معتدل يأخذ في الحسبان ضرورة احترام الدين الإسلامي والحفاظ عليه ليس فقط كإرث جهادي ضد الاستعمار الفرنسي بل

كمرجع روحي متفتح على العصر يقبل الاجتهاد ولا يكفر التفكير ويعتقد بالتكيف مع المتطلبات المختلفة للأمكنة والأزمنة انسجاماً مع مقولة الإمام علي بن أبي طالب آخر الخلفاء الراشدين الشهيرة : لا تجبروا أولادكم على زمانكم فقد خلقوا لزمان غير زمانكم، ويأخذ هذا الخطاب المعتدل في الحسبان أيضاً ضرورة الأخذ بناصية العلم وتنمية الآداب والفنون والتفتح الحضاري الإيجابي على الشعوب والأمم الشقيقة والصديقة، القريبة والبعيدة، والسماح بنمو تراكم معرفي وسلوكي حضاري به يقاس تقدم الشعوب وعلى أساسه نطمئن إلى إمكانية النهوض بالبلاد نهوضاً شاملاً.

إنه لمؤسف حقاً أن لا يبحث الجزائريون –وهذا داء عربي- عن جسور وروابط جديدة للحوار الإيجابي بينهم، بل على العكس يتم نسف هذه الجسور بدوافع أنانية إن لم نقل عصبوية، ولكنها موضوعياً يتم توظيفها في صراع غربي- غربي على المنطقة بأسرها والجزائر هدف رئيس .

من جهتي أرفض كل تعصب ضد الرأي الآخر ، وأؤكد ضرورة الحوار من أجل إيجاد قواسم مشتركة تضمن الأمن والاستقرار الشاملين للمواطن الجزائري الجدير بحياة حرة وكريمة بعد كل التضحيات التي قدمها.

إن الأفكار مهما كانت مقدسة لا يمكن أن تكون أجدر بالحياة من الإنسان خليفة الله على الأرض، والأفكار التي تهدر دم الإنسان وتفسد حياته خاطئة بالضرورة وعلينا إعادة النظر فيها .

- **كمثقف، كيف تفسرون فشل معركة التحديث في الوطن العربي، وكيف تعيشون هذا الانهيار؟.**

فشل معركة التحديث سببه أن من رفعوا لواء الحداثة خانوا شعاراتها عن جهل أو عن وعي زائف، فالطبقات التي تسلمت الحكم رافعة هذه الشعارات، أبقت على البنى الاجتماعية التقليدية القبلية العشائرية والطائفية، من دون أن تمس، والتغيير الذي حصل هو وصول فئات اجتماعية طفيلية إلى الحكم وجدت أن من مصلحتها إبقاء دار لقمان على حالها ، فذو الشعارات " الثورية" حين وصل سدة الحكم برهن أنه لا هدف له غير التمتع بما كان يتمتع به الحاكم الذي سبقه، وبالتالي وقعنا في دوامة مراكمة التخلف الذي أوصلنا إلى جمهوريات ملكية، وجمهوريات يحكمها حزب قومي علماني صارت مرجعيته دينية، وعاد في تسيير البلاد إلى قوانين العشائر والقبائل والطوائف، علماً أنه تسلم الحكم بالقوة تحت شعارات اجتماعية تدعو إلى تدمير هذه البنى الاجتماعية المتخلفة واستبدالها ببنى اجتماعية ثورية أو جديدة تستجيب لمتطلبات تحديث البلاد والعباد.

إذاً نحن الآن بانتظار تغيير حقيقي للبنى الاجتماعية، ولكنني لا أجد إلى الآن قوى حية لها مصلحة حقيقية في إحداث هذا التغيير أو خوض معركة بإيمان و إرادة قويين من أجل التغيير الإيجابي الذي يخدم وجودنا كشعوب وكأمة عربية في المستقبل.

- **من يتحمل مسؤولية التخلف ، وهل ترون وجود دور للمثقف العربي فيما حدث؟.**

الذي يتحمل مسؤولية التخلف ليس قوى التخلف التقليدية التي دافعت عن وجودها ، بل قوى التغيير التي تصالحت مع قوى التخلف، بل تواطأت معها على إجهاض معركة الحداثة، حيث أَفْسَدَ البترودولار الأحلام الجميلة وأخمد الضمائر الحية.

يمكننا أن نلاحظ أن المثقفين كانوا يتصدرون قوى التغيير في الخمسينات والستينات لكن سرعان ما انطفأت حماستهم إما بامتيازات السلطة "التقدمية" أو بإغراءات البترودولار، أو بإقدام الثورات على أكل أبنائها، أو باختيار المنافي للحفاظ على استقلالية التفكير واحترام الذات، لدرجة أن أوطاننا صارت أحياناً ملجأ للخونة فقط ، على حد تعبير شاعر أوروبي كبير وبعض المثقفين صار تقني معرفة يستأجره من يدفع أقل أو أكثر .

- **كثيراً ما ظلم النقد والإعلام شعراء كباراً نعتبركم واحدا منهم ، كيف عشتم هذا الإجحاف ؟.**

الشاعر الحقيقي يجب أن يتصرف مع نفسه ومع نصه على أنه شاعر كبير ، بل الشاعر الأول في عصره، إن لم نقل في كل العصور ، هذا ليس فقط من حقه ، بل هو ضروري له كي يتمكن من الإبداع بحرية وبثقة، ولكن هذا يعمق من مسؤوليته إزاء نفسه وإزاء نصه.

وعندما يسود الوسط الثقافي (نقد) سطحي يرتكبه عديمو الذوق والمعرفة الجماليين يجب أن تسعد لأنك غائب أو مغيب لا فرق عن المشهد الثقافي، فأي معنى لحضورك في هذا المشهد الذي يساوي بين الشاعر المبدع وكاتب الخواطر الرديئة؟.

إن تونس مثلاً نموذج للبؤس على هذا المستوى، والمؤسف أن أساتذة جامعيين انخرطوا في ترويج وتكريس فساد الذوق الأدبي والشعري خاصة.

وعلى المستوى العربي تقوم وسائل الإعلام بترديد أسماء بعينها، وغالباً ما يكون تداول هذه الأسماء لكون أصحابها يديرون منابر ثقافية. وهنا ضرب من تبادل المنافع أو يكونون من ذوي النفوذ المالي أو السياسي، في وضع كهذا لا أشعر بالإجحاف بقدر ما أشعر بأنني لم أضل السبيل بعد كشاعر يتوجه إلى المستقبل ولا

يعني قليلاً أو كثيرا بموجات الرداءة العابرة التي هي تعبير عن الانهيار الشامل الذي لا بد أن يليه نهوض شامل ولو بعد حين.

- **يعتبر الأستاذ هادي دانيال من الشعراء العرب القلائل الذين وفقوا في الجمع بين النضج الفني والهموم اليومية ، أي عبروا عن السائد دون سقوط، ما السر في ذلك ؟.**

أنا مواطن أيضاً وكوني شاعرا يجعلني أكثر حساسية إزاء الهموم اليومية، ومنذ مجموعتي الشعرية الأولى التي صدرت حين كنت لم أغلق بعد السنة السابعة عشرة من عمري اختلط عندي الذاتي بالموضوعي. ونحن الذين التحقنا مبكراً بالثورة الفلسطينية و لم نفك ارتباطنا إلى الآن بمنظمة التحرير الفلسطينية تحولت الهموم العامة عند آخرين إلى هموم خاصة عندنا لأنها تمس حياتنا اليومية ومعيشتنا وسلوكنا ومستقبلنا، وهذا الارتباط الوجداني والعقلاني بالقضية الفلسطينية، وتكوُّن الفتى هادي دانيال في بيروت الحرب الأهلية جعلني ذا حساسية مرهفة و خاصة جداً إزاء قضايا العرب والعالم، تتسرب إلى رئتي مع الهواء الذي أتنفسه، لذا أشتغل على البناء الجمالي لنصي الشعري بدون الانشغال بتسرب الهموم اليومية الصغيرة أو الهموم العامة الكبرى إليه فهي متجاورة ومتداخلة عندي وتلقائياً يكون حضورها هكذا في نصي الشعري.

أنا أهتم كثيراً بأن أرى العالم من زاوية خاصة وأن أعبر بأسلوب ولغة يشيران إلي فقط، أو على الأقل إلي أولاً.

- **مازال النقاش يدور –للأسف– حول قصيدة النثر بما يحيل إلى وجود خلل في الذائقة العربية، كيف تنظرون إلى هذا النقاش ؟.**

النقاش بشأن قصيدة النثر أسبابه مختلفة، أبرزها شعور المحافظين بأن هذه القصيدة طغت على المنابر الإعلامية وعلى فضاءات النشر المختلفة، ولكن هذا الطغيان كمي ويثير حفيظة شعراء ونقاد غير مهمين أصلاً وردود فعلهم على هذا التسيد الإعلامي موتورة وجهولة وصبيانية أحياناً، وتستخدم ذات الأدوات السطحية التي كان أسلافهم من المحافظين قد استخدموها عبثاً ضد قصيدة التفعيلة التي أطلقها السياب والبياتي والملائكة. وهذا النقاش يبدو أحياناً مفتعلاً وخارج الموضوع، لأن العقود الماضية بينت للمتابعين والمهتمين من قراء وشعراء ونقاد أن شعرية النص لا تتحقق باستخدام الوزن والقافية أو بالتخلي عنهما، وفي الوقت نفسه ليست العناصر التي تحدثت عنها سوزان برنار (الإيجاز والتوهج والمجانية) والتي ترجمها أدونيس إلى (الكثافة والوحدة العضوية والإشراق) كعناصر ثلاثة تكوّن بنية قصيدة النثر، ليست هي وصفة سحرية ونهائية فباب الاجتهاد لا يزال مفتوحاً على هذا الصعيد، نحن فقط يمكننا أن نقول بثقة : لماذا هذا النص لم ينجح في أن يكون قصيدة أو شعراً؟، لكن منظري الشعر لم يكتشفوا بعد سر شعرية ذلك النص بدقة، الشعرية تتوفر في قصيدة للمتنبي وقصيدة للسياب أو درويش وقصيدة لمحمد الماغوط، أوسركون بولص أو عباس بيضون، أي في نصوص كتبت بأشكال إيقاعية مختلفة، وأنا من الشعراء الذين بدأوا الكتابة بالتفعيلة ثم وجدوا أنفسهم إزاء مقطع عمودي يتسرب إلى قصيدة طويلة ويتجاور مع مقطع مجرد من الوزن والقافية، وكما تعلم ديواني الأخير جميع قصائده مجردة من الوزن والقافية، بل أكثر من ذلك وانطلاقا من تجربتي الخاصة أشير إلى أن أحد النقاد تناول بالدرس مجموعتي (بردى.. ووفود الجوع) انطلاقاً من مقارنة بين قصائدها المكتوبة بالتفعيلة وقصائد محمد الماغوط ولا أُخفي أنّني كنت معجبًا بشعر محمد الماغوط ولا أزال،

وخصوصاً مجموعته (الفرح ليس مهنتي) ولم أفكر حينها بالفارق الإيقاعي بين قصائده وقصائدي، وفي سنة 1973 نشر أنسي الحاج في ملحق النهار الثقافي على امتداد ثلثي الصفحة ونيف مجموعة من قصائدي بعد أن شطب كلمة "هنا" وحذف حرف جر هناك، كأنه أعجب بهذه القصائد لدرجة محاولة تقديمها كنماذج لقصيدة النثر التي يدعو إليها، ولكن بعد تخريب شكلها الإيقاعي، بالمقابل لا ننكر أن كثيرين من المحسوبين على الشعر عن طريق قصيدة النثر يتنطعون إلى الكتابة تنطعاً، ومنهم رئيس تحرير مجلة أدبية خليجية تعج نصوصه بالأخطاء النحوية والإملائية، ربما كان مثل هؤلاء الثغرة التي يحاول البعض استغلالها لشن هجوماتهم على قصيدة النثر، لكن المزعج أن كل ما اطلعت عليه من هجومات على قصيدة النثر تصدر عن جهالة واضحة وصفيقة أحياناً ليس فقط بتاريخ قصيدة النثر ومواصفاتها الجمالية المتغيرة، بل وبالمناهج النقدية والنظريات الشعرية القديمة والحديثة العربية والغربية، لذا بت مؤخراً لا أهتم لهذه التهجمات حتى وإن كنت مشمولاً بها بالاسم أحياناً، إنني أرنو إلى قراءة دراسات تناقش قصيدة النثر لكن تقدم لنا إضاءات معرفية وجمالية جديدة ولو من منطلق الاختلاف مع قصيدة النثر وشعرائها.

من هم الشعراء الذين أثثوا فضاء هادي دانيال ؟.

أنا في مرحلة التأسيس قرأت بشغف الأجزاء الكاملة من الأغاني للأصفهاني والأعمال الكاملة للسياب والبياتي وخليل حاوي ومحمد الماغوط وأدونيس وصلاح عبد الصبور وبلند الحيدري وأحمد عبد المعطي حجازي، والمجلدات الكاملة لمجلة "حوار" وجميعها استعرتها من مكتبة صديق وشاعر سوري اسمه محمد خالد رمضان، لكن المجموعات الشعرية التي كان لها تأثيرها القوي علي فهي حينذاك

"تلويحة الأيدي المتعبة " لممدوح عدوان، "الفرح ليس مهنتي" لمحمد الماغوط، و"العصافير تموت في الجليل" لمحمود درويش، وكانت أول مجموعات شعرية اقتنيتها إلى جانب "سامبا" و"طفولة نهد" لنـــزار قباني و"آلام" لنديم محمد .

ولكن إلى الآن أقرأ الشعر على مهل وأفيد من كل نص جيد لأي شاعر : من الرواد، أو الأجيال اللاحقة، ولا أخفي إعجابي بشعراء قرأهم عبر الترجمة وخصوصاً : آرثر رامبو، بودلير، لوركا، وبابلو نيرودا، وكان لكتاب ماكليش "الشعر والتجربة" وقعٌ خاصٌ عندي وترك ظلالاً على تأثيث فضائي الشعري كما أنني قارئ نهم للروايات العربية والأجنبية الكلاسيكية والحديثة.

- **من بلد إلى بلد يتنقّل الشاعر هادي دانيال دون أن يستقر، هل الأرض العربية ضيقة إلى هذا الحد ؟ وما الذي تركه الرحيل فيك ؟.**

نعم الأرض العربية أضيق مما تتصور، والذي تركه الرحيل فيّ ضرب من القلق الذي أحاول تحويله إبداعيّاً وهو بلا ريب أغنى تجربتي وكوّنها وجعلني صبوراً على نصي الشعري لكنه ترك عندي شعورًا عميقاً بأنني أسكن قلب الريح، صدقني لست متأكداً إن كنت سأكمل هذا العام في تونس رغم ما يبدو بيني وبينها من روابط سلالية متينة : الزوجة والأولاد والذكريات مع أنني لا أفكر ببديل عنها ولا أعرف إلى أين سأغادرها.

حاوره في تونس : سليم بوفنداسة

وَنُشر في النصر – النصر الثقافي – الثلاثاء 3 سبتمبر 2002

أرفض القطيعة مع الماضي

كتب الشعر منذ صغره وأصدر أول مجموعة شعرية حينما كان عمره سبعة عشر عاما فقط، يكتب الشعر الحر وقصيدة النثر ويرى أن الشعر هو الجنس الأدبي الذي سيكون له مستقبل..

إنه الشاعر السوري المقيم في تونس (هادي دانيال).. التقيناه في بغداد وكان لنا معه هذا الحوار..

- **ما هي رؤيتك إلى الحداثة في الشعر العربي ؟.**

أنا أتصوّر أن الشكل الشعري ليس هو الذي يحدّد حداثة النص بل شعرية النص التي ترتكز بالأساس على الصورة الشعرية وعلى إحساس المتلقي بأنه أمام إيماءات جديدة لهذا النص، وذلك من النادر إيجاده في قصيدة عمودية لأن الشعراء العموديين هم في غالبيتهم نمطيون، فالسبب إذن يعود إلى الشعراء أنفسهم وليس إلى الشكل الشعري، وكذلك بعض شعراء قصيدة النثر يكتبون قصائد نمطية

وأحيانا يكتبون نصوصا تقريرية ليس فيها شعر، لذلك أنا اتصور أن شكل القصيدة هو إيقاع ولا يحدد شعرية النص.

- **قصيدة النثر عموما وجدت لها أرضية في العراق فهل تلمست ماهو مشابه لذلك في بقاع أخرى من الوطن العربي ؟.**

قصيدة النثر الآن طرحت بشكل أكبر إعلاميا، لكنها موجودة منذ زمن وولدت مع قصيدة التفعيلة إنْ كان في العراق إذا كنت تذكر سركون بولص مثلا وإنْ كان في سوريا محمد الماغوط وفي لبنان شوقي أبو شقرا وأُنسي الحاج، يعني تقريبا بعد أقل من عقد من السياب والبياتي، فالماغوط كان ينشر بذات المجلة مع السياب، فالشكل ليس جديدا لكن انتشاره إعلاميًا هو الجديد، فاستقطب الأجيال الجديدة أكثر.

- **إذن أنت من أنصار التجديد في الشعر العربي ؟.**

طبعا، التجديد بشرط البناء على المنجز السابق. فالتجديد لا يعني القطيعة مع منجزاتنا الإيقاعية والشعرية السابقة المتحققة في الماضي.

- **كيف تنظر إلى مستقبل الشعر في وطننا العربي؟.**

أنا أتصور أن الجنس الأدبي الذي يجب أن يكون له مستقبل هو الشعر، لأننا بحاجة إليه مستقبلا نتيجة التطوّرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أدّت إلى تمحل وجداني واسع فالشعر هو الذي يمكن أن يعوض ذلك.

والشعر سيتجاوز وجوده في القصيدة إلى الأشكال الأدبية والفنية الأخرى، فالناس الذين يدعون أن الشعر انتهى هم متسرعون كثيرا في حكمهم.

- **والقومية العربية أين تجدها في روح الشعر العربي؟.**

عندما ننظر إلى النص الشعري يهمّنا أن يكون شعرا حقيقيا، وحينما يكون جيدا ويحمل أفكارا قومية تنسجم مع تطلعات الشعب العربي والأمة العربية فهو سيخدم قضية الأمة وأفكارها.

- **كيف وجدت بغداد ؟.**

أنا دائما أجد بغداد جميلة وحنونة ودافئة وأنا تقريبا أزورها سنويا.

حــاوره في بغــداد : اياد الدهلكي وعمر الدليمي

نُشر في جريدة (أشنونا) العراقية التي تصدر في ديالي — العراق
العدد 75 السبت 2002/7/3 م

الشعر العراقي هو الأكثر حضورا

الشاعر السوري هادي دانيال، شاعر زاخر وصحفي وإعلامي كرّس جلّ وقته لفلسطين والقضايا القومية المصيرية، أصدر تسعة دواوين منذ العام 1973 حتى العام 1999، بدأ الحوار معه من الشعر ذلك لأنه حضر المربد شاعرا. فهو يحمل في حصته ثلاثين عاما تقريبا. من الشعر وعن الشعر والعولمة وعن الاتصالات المتطوّرة والانتفاضة كان هذا الحوار المكثف.

- **ماذا تقول عن الشعر الآن ؟.**

بعد تحرير الجنوب اللبناني والانتفاضة الفلسطينية استأنف الشعراء العرب المعاصرون اهتماما كان مُجْهَدًا بهاتين القضيّتين القوميتين بذريعة انشغال الشعر بالذاتي المنعزل عن كلّ هم جماعي بعد أن بلغ الشعر المستوحى من النضالات الشعبية ذرى جمالية لشعراء من نوع محمود درويش خاصّة. ولابدّ أنك لاحظت أن معظم شعر الانتفاضة وقف عند استيحاء صور الطفل الشهيد محمد الدرة.

إذن من المبكر الحديث عن اضافة جديدة في الشعر الذي يستوحى الآن من الانتفاضة، لكن الانتفاضة أعادت القضية الفلسطينية والهم العربي إلى صدارة الشعر العربي المعاصر كموضوع. فيما يخصني لم أنقطع عن الموضوع العربي في شعري منذ بدأت أكتبه -1973- ودائما كان يشتبك عندي الذاتي بهذه القضايا التي أصبحت في الوقت نفسه هما ذاتيا أيضا، لذلك كتبت قصيدة "مَهْدُهُ الأُفُقُ"، منفعلا بأحداث الانتفاضة في الوقت الذي كنت أكتب فيه عن صدر حبيبتي.

الإشكال القائم الآن، أنّ ما يكتبه الشعراء العرب عن الانتفاضة له صبغة مناسباتية وسيكفون عن الكتابة عندما يتوقف نزف الجرح الفلسطيني وكأن قصائدهم مجرد صدى للحجارة التي يقذفها أطفال فلسطين بينما يفترض أن يكون شعر المقاومة من أسباب العلاقة بين كف الطفل الفلسطيني وحجارة وطنه ما دام هذا الوطن محتلا.

- **الحصار باعد بين إيصال صوت الشاعر العراقي إلى أقطار الوطن العربي وكذلك إيصال صوت الشاعر العربي إلى العراق، فما هو تأثير غياب الصوت الشعري العراقي تحت وطأة الحصار الظالم ؟.**

قد يكون الآن الشعر العراقي هو الأكثر حضورا في المشهد الشعري العربي لسببين هما المعاناة و غزارة النتاج الشعري العراقي تحت ظروف الحصار، وربّما بسبب المعاناة وكنوع من التحدّي الوجودي. وفي المقابل فإنّ المنابر الابداعية العربية تتنافس في نشر هذا النتاج كتعبير عن تضامنها مع المبدع العراقي ولو على سبيل أضعف الإيمان، في الوقت نفسه يشهد المشهد الشعري العربي قحطا على مستوى الشعراء الذين عُرِفوا في العقود السابقة بدءا من الستينات، وعندما يعود أحدهم إلى

كتابة قصيدة، تشعر كَمُتَلَقٍّ، وكأنّ هذا الشاعر يعاني صعوبة في الكتابة، بل كأنه يكتب لأول مرّة فيتكئ نصه على رصيد اسمه. ومن الملاحظ أيضا أن اضطراب المشهد الشعري العربي يعود إلى الإمعان في التجريبية حتى من قِبَلِ شعراء يفترض أن تجاربهم نضجت، فكأنّ في الأمر تصحرا على المستويين الوجداني والجمالي معا.

- **في عصر الانترنيت والعولمة و"الميديا" هل يحافظ الشعر على حضوره وهل سيصمد أمام الأجناس الأدبية الأخرى ؟**

كثيرا ما طرح هذا السؤال عليَّ، وإجابتي دائما هي أنه لم يكن الشعر ضروريا بقدر ما هو ضروري الآن في عصر تدحر الآلة والتقنيات المتطورة أحاسيس الإنسان ووجدانه وتجليات سموه كإنسان، في هذا العصر أجد الشعر ملاذا لإنسانية البشر المهدّدة، ولا نبالغ في القول إنه الغذاء الروحي الضروري لتحقيق ذواتنا.

حاوره في بغداد : أحمد الثائر

نُشِرَ في جريدة "القادسية" العراقية التي كانت تصدر في بغداد،
عدد الخميس 23-11-2000

بيروت مكان عبقري مفتوح على المطلق

هادي دانيال شاعر من سورية أصدر عدداً من المجموعات الشعرية والكتابات النقدية ابتداء من كتابه الشعري الأول "بردى..ووفود الجوع" 1973 وانتهاءً بمجموعة مقالات عن المسرح صدرت قبل ثلاثة أعوام، هنا حوار أجري معه في تونس حيث يقيم :

- **أريدك أن تحدث القراء عن القصيدة الأولى ؟ عن الشعلة الأولى وكيف اتقدت ؟ ومن الذي ساهم في إيقادها واستمرارها لحد الآن ؟.**

عندما انفتحت أمامي آفاق القراءة خارج الكتب المدرسية، جذبني جبران خليل جبران، فانتقلت من الزجل إلى كتابة الخواطر الرومانسية والحكايات الخيالية إلى أن بدأت أفكر في النشر، فأخذت أقتني المجلات الأسبوعية السورية التي كانت تصدر آنذاك، وكانت كل مجلة تفرد صفحتين أو أكثر لقصيدة تحت عنوان " قصيدة العدد " وقتها تذكرت أنني أسير على طريق لا يمكنني فيه الحيازة على لقب شاعر،

فبدأت بمحاكاة "قصائد العدد"، وكانت جميعها من الشعر الذي يعتمد التفعيلة في بنائه الإيقاعي، ولم أتردد في إرسال بعض ما أكتبه إلى تلك المجلات .

- **أي أنك اتصلت بالشعر بشكل مبكر جداً ؟.**

لكنني لم أَقْتَنِ مجموعة شعرية واحدة ، ولم أقرأ شعراً خارج المنهاج المدرسي، وما تنشره المجلات التي تحدثت عنها، وأكملت المرحلة الابتدائية على هذا المنوال، وفي المرحلة الإعدادية بدأت اقتناء "طفولة نهد " لنـــزار قباني و"عصافير بلا أجنحة" لمحمود درويش و"الفرح ليس مهنتي" لمحمد الماغوط و"تلويحة الأيدي المتعبة" لممدوح عدوان، وبعد ذلك حصلت على " الظل الأخضر" باكورة أشعار ممدوح عدوان.

- **ومتى كان ذلك بالتحديد؟ أراك تذكر دواوين مختلفة في تواريخ إصدارها؟.**

كان ذلك أوائل السبعينات، وفي عام 1972 خصص لي الشاعر بندر عبد الحميد الذي كان يرأس تحرير مجلة "جيل الثورة " زاوية تحت عنوان "الرسالة الزرقاء" أحررها بالمراسلة من خلف مقاعد الدراسة في إعدادية الواقدي، وفي هذه السنة بدأت بعض المجلات الدورية تنشر من قصائدي تحت عنوان : قصيدة العدد.

- **ولكنك لم تكتف بتلك العناوين بالتأكيد ؟.**

كانت سنة 1973 حافلة، فانفتحت أمامي مكتبة صديق لا ينسى فضله هو الأديب محمد خالد رمضان الذي مكنني من قراءة كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني بكامل الأجزاء وديوان الشعر العربي بإعداد أدونيس وأيضاً بكامل أجزائه، وكذلك مجلدات مجلة "حوار" التي كان يصدرها توفيق صايغ، والمجلدات التي كانت تضم الأعمال للشعراء الرواد، وخصوصاً بدر شاكر السياب وخليل حاوي وعبد الوهاب البياتي وأدونيس.. وقرأت في فترة سابقة كتاب صدقي إسماعيل "رامبو: قصة شاعر متشرد" وكتاب عبد الغفار مكاوي بجزأيه "ثورة الشعر الحديث" وكتاب ارشيبالد ماكليش "الشعر والتجربة" الذي أهداني إياه الصديق بندر عبد الحميد .. وكان للكتب الثلاثة الأخيرة تأثيرها في اتخاذ قراري بمغادرة بيت العائلة وبدء رحلة التشرد الداخلية، ثم بحثت عن تجربة جديدة خارج الحدود، فاتجهت إلى بيروت ودخلتها بطرق غير قانونية حيث اجتزت الحدود سيراً على الأقدام .

- **قلت إنكَ توجهت إلى بيروت، فماذا صنعت في تلك المدينة العجيبة ؟.**

في بيروت توجهت مباشرة إلى "دار العودة " حيث كان يعمل الشاعر سليم بركات، كان صديقي الرسام العراقي صالح الكردي قد دلني على عنوانه. سليم من جيل بندر عبد الحميد، ترك سورية إلى لبنان قبلي بسنتين تقريباً لكنني لم أتعرف عليه حين كنا في سورية وعندما عرفت سليم بركات بنفسي قال لي : كنت أقرأ ما ترسله إلى " جيل الثورة " وكنت دائماً أزكي حماس بندر لموهبتك، لكن الوضع في بيروت صعب ولن تجد عملاً بسهولة، عد إلى دمشق وعندما أجد لك عملاً أرسل في طلبك. قلت له : لا.. لقد جئت لأبقى ولن أعود. قال لي : إذاً

تريد أن تقابل أدونيس. فاجأني قوله هذا فأجبته على الفور : كلا لن أقابل أدونيس.

- **أليس غريباً أن يصدر هذا الكلام منك وقتها ؟.**

كان ذلك سنة 1973، ولأنني قلت ذاك الكلام لسليم، لم أقابل أدونيس إلا أواخر عام 1981 .

- **وكان يجب أن تودع سليم بركات ؟.**

بالفعل، في اليوم التالي ودعت سليم بركات بعد أن ضيفني بكرمه المعهود بالرغم من قلة زاده، متوجهاً إلى كورنيش المزرعة حيث مجلة "إلى الأمام" تقابل مجلة "الهدف"، ومثلما كنت أحمل رسالة من صالح الكردي إلى سليم بركات، كنت أحمل رسالة احتياطية إلى الشاعر العراقي شريف الربيعي الذي كان يعمل سكرتيراً للتحرير في مجلة " إلى الأمام" التي كان يخرجها الشاعر مؤيد الراوي ويعمل فيها الفنان حسيب الجاسم رساماً للكاريكاتير. قال لي الشاعر شريف الربيعي : حسناً . ليس أمامك غير العمل الفدائي، اختر بين الجبهة الشعبية أو الجبهة الشعبية القيادة العامة أو الجبهة الديمقراطية أو الجبهة الثورية وجميعها لتحرير فلسطين فأعجبتني كلمة "الثورية"، فذهبنا معاً وانخرطت فدائياً في تلك الجبهة .

- **إذاً فقد تغير مسارك تماماً ؟.**

أصبحت أقوم بحراسة المقر مرة بالأسبوع، أما بقية الوقت أقضيه إما في القراءة أو في التجول بين شوارع بيروت ومقاهيها، وبعد يومين أحضر إليّ شريف الربيعي ثلاث مجموعات شعرية وهي : الطائر الخشبي لحسب الشيخ جعفر ، والأخضر بن يوسف ومشاغله لسعدي يوسف والأغاني الغجرية لحميد سعيد ، قرأتها وأعدتها إليه ثم أعطيته قصيدة جديدة من وحي واقعي الجديد وكانت بعنوان " مفتوحة رسالتي كفوهة مدفع".

- **هل كنت تقوم بنقد القصائد التي تقرأها بغية التعلم منها ؟.**

أريد أن أقول هنا إنني كنت أربي الذائقة عندي بقراءة الشعر وتفكيكه بغية التعرف على خصائصه الجمالية وتحديداً التقنية من دون لجوءٍ إلى كتب التنظير الشعري القديمة منها والحديثة، فأنا أعرف أسرار تقنية القصيدة عند عدوان ودنقل وأدونيس وسعدي وحسب الشيخ جعفر وحميد سعيد ولكنني لا أعرف كيف أسميها وكما قال خليل حاوي : أحسه عندي ولا أعيه أحسه عندي وأدعيه.

- **وفي هذا الوقت قيل إن الناقد خلدون الشمعة قد بشر فيك شاعرا ؟.**

لقد حملت من بيروت نصاً شعرياً نشرته مجلة "صوت فلسطين " التي يشرف على قسمها الثقافي الشاعر أحمد دحبور، ثم بدأت كتابة نصوص جديدة مثلت إلى جانب نصوص بيروت ملامح صوت جديد في التجربة الشعرية السورية انتبه إليه النقاد والشعراء.

وقد كان الناقد خلدون الشمعة متحمساً لي في البداية لكن حماسه هذا انطفأ عندما أعلمته بكل براءة أنني وافد إلى "القابون" الضاحية الدمشقية من جبال العلويين .

- **ولكن ألم يكن الوقت قد حان لكي تصدر مجموعتك الشعرية الأولى ؟.**

آه نسيت أن أذكر لك أنني في بيروت وعن مطبعة صغيرة كانت قريبة من مقر الجبهة الثورية لتحرير فلسطين في الفاكهاني، أصدرت مجموعتي الشعرية الأولى "بردى.. ووفود الجوع" وقد ضمت خمس قصائد من نتاج سنة 73 وعلى نفقتي الخاصة.. كنت حينها في السابعة عشرة .

- **وأعقبتها بمجموعتك " غليون لتدخين الأحلام " ؟.**

كتبت في بيروت ثم في دمشق عام 1974 قصائد مجموعة "غليون لتدخين الأحلام" الأربع، وفي السنة نفسها كتبت قصيدة "أنا الموج أفجر البحر" التي شغلتني أكثر من ستة أشهر وامتدت على مدى ثمان وأربعين صفحة من القطع الكبير. عند عودتي الثانية والأخيرة إلى بيروت قرأها الروائي حيدر حيدر فقال لي أرسلها إلى أدونيس لينشرها في مجلة "مواقف" لكنني لم أفعل. وفي سنة 1977 تم ترحيلي عن مطار القاهرة إلى بغداد، فقدمت القصيدة إلى الروائي العراقي عبد الرحمن مجيد الربيعي الذي كان يشرف على تحرير مجلة "الأقلام" فأخذها لينشرها بعد إحالتها على "لجنة القراءة" وعندما عدت للاستفسار عنها فوجئت به يعلمني أنها قد ضاعت خلال انتقال مقر المجلة من مكان إلى آخر. وهكذا ببساطة ضاعت

القصيدة التي شغلتني نصف عام أو أكثر ولم يَبْقَ منها في الذاكرة إلا عنوانها، فقد سلمت النسخة الوحيدة من "أنا الموج أفجر البحر" إلى الهباء.

- **قلت لي مرة إنك مدين لبيروت بكل شيء ، هل هذا صحيح ؟.**

بالنسبة إليّ ، الحديث عن بيروت يجب أن يكون كالتالي : لقد شكلت الليبرالية اللبنانية العريقة نسبياً، في عناقها مع الاندفاع الثوري الفلسطيني، المناخ النموذجي للإبداع الشعري الأدبي والفني، بل الإبداع بأشكاله كافة. كانت مؤسسات الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية إلى جانب بقايا المؤسسات الثقافية اللبنانية التقليدية، تؤمن للمبدع كل ما يتطلبه إبداعه : من مصدر الرزق إلى كلفة الإنتاج إلى حرية الإبداع إلى وسائل النشر والتوزيع .. إلخ. وكانت سماء بيروت التي تجرحها طائرات العدو وراجمات الأشقاء تتسع أيضاً لكل عصافير الشعر.
إذاً لقد تكونت فكرياً وسياسياً في ظل غياب كل أشكال السلطة المعروفة في مكان تجلت عبقريته وانفتحت على المطلق، على الاحتمالات كافة، وبيروت لم تكن "الخيمة الأخيرة " للثورة الفلسطينية فقط، بل للحلم العربي بالحرية والتقدم الذي انكسر بالخروج الفلسطيني من بيروت سنة 1982 ليندق المسمار الأخير في نعشه بالعدوان على العراق سنة 1991 .

- **هلا حدثتني عن الأسماء التي استوقفتك شعرياً وقتها ؟.**

في الحقيقة، كانت هناك تجربتان شعريتان قرأتهما بانتباه بالغ، وأعني بهما تجربة الشاعر العراقي صلاح فائق والسوري سليم بركات، فبقدر ما نبهني صلاح فائق

إلى أهمية الابتكار على مستوى الصورة الشعرية المرسومة برشاقة، فقد نبهني سليم بركات إلى أهمية الزاد اللغوي. وهذان الشاعران نبهاني إلى أهمية تحقيق الإنزياح، ليس على مستوى العلاقة الكيميائية بين المفردة والمفردة، بل على مستوى مكونات الصورة الشعرية من جهة وعلاقة الصور الشعرية ببعضها البعض داخل النص من جهة ثانية، هذا إضافة إلى استعراض المهارة في بناء النص بناءً جمالياً ينشد التناسق والتناغم بين الأضداد، وينفر من النشاز، وفي الوقت نفسه لا يخرج النص على وحدته الموضوعية، خلافاً لما تتورط فيه نصوص شعراء كثيرين، فهي إما أن تكون مترهلة بالثرثرة الإيقاعية والتصوير المجاني وإما متشظية مبعثرة متنافرة لا يجمعها جامع غير قطيعتها الفجة مع الإيقاع.

- **تتكلم كثيراً عن الإيقاع وهذا يقودنا إلى الحديث عن ذلك التأثير المفرط الذي لم يَنْجُ منه إلا القلة لقصيدة محمود درويش ذات الذرى الإيقاعية العالية.**

إثر الخروج من بيروت وجدت أن اللاوعي عندي منشغل بالمكونات الإيقاعيّة لنص محمود درويش المتأخر .

- **إذاً فقد سيطر الإيقاع الدرويشي لفترة ما عليك ؟.**

نعم .

- **وكيف تخلصت منه في عملك الشعري ؟.**

أعتقدُ أن انشغالي الواعي بقراءة دوستويفسكي وتشيخوف و"الدون الهادئ" لشولوخوف، وأعمال نيكوس كازانتزاكيس كافة، وروايات أخرى مثل رواية "أرواح هندسية" لسليم بركات، إلى جانب بدء حواري الصاخب مع النتاج الثقافي التونسي المسرحي والتشكيلي والسردي خاصة، بكل هذا وجدت نفسي أقترب من تصور واضح لنصي الشعري اعتماداً على منجزاتي في مجموعة "عشبة على حجر" بشكل خاص، وهنا يمكن القول إننا نفيد من قراءة الشعر الرديء أيضاً، وذلك بالتعرف على ما يحول دون تحقق الشعرية في هذا النوع من النصوص، فكما تعلم يمكننا أن نتعرف على ما هو غير شعري في القصيدة بسهولة، لكن يصعب تعريف الشعري فيها بالرغم من إحساسنا به. هذا مع العلم بأن بمقدور أي ناقد كان أو قارئ متبصر أن يدرك عناصر الرداءة تلك .

- **ولكن موقفك من الإيقاع بشكل عام غير واضح بالنسبة لي على الأقل؟.**

أنا لا أستبعد أي عنصر تقني يمكنه أن يساعد في شحن النص بطاقة تعبيرية أكثر بلاغة وأشد إيحاء ، وفي الوقت نفسه لا أتردد في تجريد النص من أي عنصر تقني قد يحول دون رشاقة النص أو الجملة الشعرية حتى لو كان هذا العنصر من مواصفات النص الحديث. كما لا أتردد في استخدام أي منجز إيقاعي إن كان يخدم بنية النص. فعندي قد تتجاور من غير نشاز موسيقى جميع الأشكال الإيقاعية القديمة والحديثة ، فالشاعر عندي موسيقار ورسام ومسرحي ونحات وسينمائي في

الوقت نفسه، إن الشعر أعلى الفنون والشاعر القدير يوظفها جميعاً في نصه لتحقيق مستوى أعلى من الشعرية في القصيدة .

- **تنقصنا دراسات جادة ومتينة تتناول سوسيولوجيا الأدب في العالم العربي المعاصر، ولكني أعتقد أن الإعلام الفلسطيني في وقت ما قد ساهم بشكل كبير في دفع حركة تغيير الأشكال الشعرية إلى الأمام ، من دون أن يكون هذا من صلب أهدافه بالطبع، كيف تقيم ذلك ؟.**

بخصوص علاقة الإعلام الفلسطيني بتنوع وإثراء الأشكال الشعرية العربية، فإن هذه العلاقة موجودة ولكنها ليست الوحيدة. إن الدفع نحو تهديم الأشكال القديمة وخلق أشكال جديدة قد بدأ مع مجلات لبنانية مثل "حوار" و "شعر" و "الآداب" و"مواقف".. وبالتالي فإن تمركز الإعلام الفلسطيني في لبنان قد احتضن هذا التيار الموجود أصلاً ودفعه قدماً ومنحه زخماً مضمونياً. لقد منحت بيروت بتراكمها الحضاري الثورة الفلسطينية الكثير من علامات تألقها وإشعاعها. وكان على مجلة "الكرمل" برئاسة تحرير الشاعر محمود درويش والإشراف المباشر للشاعر سليم بركات، الاستئناف الإيجابي لتلك المجلات اللبنانية التي تبنت المشروع الشعري التحديثي العربي المعاصر بأشكاله كافة. لقد ولدت "الكرمل" في بيروت وهي لم تتنكر لمعنى هذه الولادة بعد الخروج منها، وربما إلى الآن، بالرغم من انتقال الإشراف المباشر إلى الشاعر الفلسطيني زكريا محمد الذي كادت الماركسية اللينينية في مرحلة ما أن تودي بمشروعه الشعري وتئده وأداً تاما. وبالمناسبة فإن الشاعر أمجد ناصر كان إما هو الأذكى أو الأوفر حظاً، لأن الماركسية اللينينية لم تترك ظلالها الحادة على نصوصه لقد كان أمجد ناصر وفياً للشعر فحسب، أما أنا فقد

كنت حريصاً على أن أكون مخلصاً للشعر وللسياسة وللمرأة التي أحببتها وللقومية العربية ولزوجتي ولأولادي، إلى أن ضقت ذرعاً بهم جميعاً.. ولكنه ضيق عابر في النهاية، بالرغم من أن كل الذين تمنحهم حياتك بإخلاص سرعان ما يعاقبونك أشد العقاب إذا ما تجرَّأتَ وانكفأت على ذاتك لفترة زمنية محدودة ولا شك أن الشعر أشد هؤلاء جميعاً عقوبة وأكثرهم حرونة، لذا فقد قررت أن أكون أكثر حذراً مع الشعر، لذلك انقطعت قرابة السنة عن كتابته، وعندما عدت إليه بعد تعرضي إلى حادث سير، دفعني الاحتفاء بهذه العودة إلى إرسال ما كتبته من قصائد إلى الصديق الشاعر أمجد ناصر لنشرها في "القدس العربي" ثم بعد أيام أدركت أنني قد تسرعت، فراجعت ما كتبت وأرسلته ثانية إلى أمجد، ثم اكتشفت خللاً آخر فرجوته إصلاحه، ثم بعد شهرين قرأت ما كتبته منشوراً فبدا لي ضعيفاً وأعدت كتابته مجدداً ولم أرسله بعد... لكنني قررت ألا أنقطع عن الكتابة الشعرية إلا بالانقطاع عن الحياة.

التقاه : حكمت الحاج

وَنُشرَ في القدس العربي (لندن)

العدد 3451 – الخميس- 15 حزيران- 2000.

الشاعر العراقي مؤسّس في تاريخ الشعر العربي

الشاعر هادي دانيال من الشعراء العرب الذين حققوا وبجدارة اسما لامعا في سماء الشعر العربي وقد أثرى المكتبة الشعرية بثمانية مجاميع صدرت الأولى منها عام 1973 ثم أتبعها بعد ذلك بمجموعة ثانية عام 1978. وهكذا... وبالاضافة إلى الشعر فقد كتب في نقد الشعر والمسرح عدة كتب صدرت عن عدة دور نشر عربية كما أعد مختارات لشعراء عراقيين وعرب منها كتابه (من حدائق حميد سعيد) ومن مجاميعه (عشبة على حجر) و(موسيقى لانكسارات الروح) وقد التقيناه أثناء تواجده في بغداد العروبة للمشاركة في أعمال مهرجان المربد الخامس عشر وتحدث عن آرائه حول الشعر وبعض المواقف السياسية العربية والعالمية إزاء الحصار الظالم على العراق..

- **هل لكَ (وحسب اطلاعك) أن تبين لنا أهمية المنجز الشعري العراقي ذلك الذي أنجز تحت معاناة الحصار، ضمن المشهد الشعري العربي والثقافة**

العربية بشكل عام خلال هذه الفترة !؟.

حسب اطلاعي على المدونة الشعرية العربية المنجزة بعد العدوان على العراق يمكنني أن أقول وبدون مجاملة : إن الجزء العراقي من هذه المدونة هو الأهم جماليا على العكس ممّا كان يتوقع البعض وخلافا لما يزعمه غير المطلعين على هذه المدونة بأجزائها كافة، وهذا عندي ليس غريبا، لأن الشاعر العراقي كان ومازال مؤسسا في تاريخ الشعر العربي المعاصر، و لم يضف إليه المنجز العربي إضافات كبرى على صعيد التقنية الشعرية، باستثناء الاضافات الريادية على مستوى قصيدة النثر لـــ (محمد الماغوط) و (أدونيس) و(أنسي الحاج)، فكانت التجربة العراقية هي التي تثري وتفتح الآفاق أمام الشعراء العرب من المحيط إلى الخليج. وفي الفترة الراهنة وأقصد سنوات الحصار، قد مُنِحَ الشاعر العراقي تميّزًا لأنه منح تجربة إنسانية يفتقدها الشعراء العرب الآخرون في أقطارهم والمهاجر، هي تجربة الصراع من أجل امتلاك شروط البقاء في حدها الأدنى، والشاعر العراقي هو المؤهل بحساسيته وبصيرته للتعبير عن هذه المعاناة والانتباه إلى ما لا ينتبه إليه غير الشعراء من معاني ودلالات التجربة في وقت يعاني فيه الشعراء العرب من التمحل والقحط على مستوى التجربة الإنسانية، خصوصا وأنّ الشعراء العرب أو جلهم استسلموا لإرادة المجتمع الاستهلاكي وقيمه فلم نعد نتلقى منهم ما يدهشنا على صعيد منجزهم الشعري بل إنّ أبرزهم توقف عن العطاء النوعي والكمي باستثناء الشاعر (محمود درويش) الذي استثمر تجربته الخاصة مع الموت، استثمارا إبداعيا يؤكد موهبته التي لا خلاف عليها، لذلك كان للشاعر العراقي الجزء الأكبر والدور الأهم في المدونة الشعرية العربية والثقافية العربية بشكل عام لاختبار أن الشعر العربي هو المحور الأساس في الثقافة العربية..

• **هل يعني أن الأزمة وحدها هي التي يمكن أن تخلق شاعرا، بمعنى آخر أن تكون (الأزمة) ملهمة له ومحفزة على الإبداع ؟.**

ليست الأزمات، وإنما المواقف من هذه الأزمات ممكن أن تكون الملهم والمحفز، وما أعنيه أن الفقر الحادّ ينتاب التجربة الإنسانية العُربية وحالة الإحباط والارتباك تشمل الحياة العربية بجوانبها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وإنني أعتقد إن حالة التماسك التي تميز الحياة العراقية إزاء الأزمات تنعكس كذلك على العراقي الذي ظلّ معتزًّا بذاته كفرد ينتمي إلى قضايا الجماعة وهمومها الوجودية، ويتفرد بقدرته على التعبير الفني عن هذه القضايا والهموم التي أصبحت في الحالة العراقية هما ذاتيا أيضا وهو كذلك ينعكس ليكون هما قوميا إزاء قضايا الأمة العربية، فالإبداع حالة فردية، وهذا بالنسبة لي قانون مطلق وبالتالي فالتعبير عن القضايا العامة والأزمات مهما كانت وفي أي مصب هي تنحدر، هو تخصص إبداعي فردي وبالنسبة للشعر يأخذ حيزا أكثر دقة وعلوا.

فالأزمة ليست هي المسبب ولكنها توحي بموقف، وذلك الموقف يعتمل في مخيلة الشاعر وموهبته الموجودة والمشترطة، وحسبي أن الشاعر العراقي له من الموهبة ما يمكنه أن يكون مبدعا في التعبير عن قضاياه وقضايا الإنسان وصراعاته مع الحياة سياسيا واقتصاديا وقوميا...

• **الشاعر هادي دانيال لابد أن لديك رأيا إزاء هذا الحصار، وفي صانعيه من أمريكان وصهاينة وإمبرياليين. وكيف تجد الموقف العربي حيال هذا الحصار الجائر وكيف تقيم دور المثقف العربي في هذا الموقف ؟.**

أولا لا شك أنّك لاحظت أنّني في إجابتي على سؤالك الأول عبرت عن اعتقادي بأنّ الحصار كان الضارة النافعة بالنسبة للشاعر الذي يريد تحويل معاناته إبداعيا، أمّا بخصوص هذا السؤال الذي هو سؤال سياسي، فأنا أرى أن هذا الحصار، الذي هو امتداد للعدوان الثلاثيني تنفيذ دقيق ومحكم للمخطط الصهيوني، تنفذه الإدارتان الأمريكية والبريطانية وامتداداتهما الرجعية العربية، وهدفه إسقاط الجدار العربي الأخير وآخر متراس لهذه الأمة الذي هو العراق، بجغرافيته وثرواته الطبيعية وقواه الحية ومعانيه الحضارية السامية ونظامه الوطني، وهذا الحصار الذي يريد صانعوه إبادة شعب العراق كي تتحقق أهدافهم العدوانية واضحة المعالم، إلا أنهم لا يلقون التأييد المباشر من أي وسط شعبي في العالم، لكن صانعيه تمكنوا من إشغال العالم عن معاناة الشعب العراقي وساعدهم في ذلك التواطؤ العربي الذي لا يتمثل فقط في المواقف المخزية، لهذه الحكومة العربية أو تلك، وإنّما أيضا في الازدواجية التي باتت سمة المثقف العربي للأسف، بل هي سمة النخب الثقافية والسياسية العربية. فعندما نأتي إلى بغداد ونصرخ من على منابرها بشعارات التأييد لصمود شعبها، والمطالبة برفع الحصار، لا نفعل غير محاولة إسكات آلام الضمير المتعب، لأن الصراخ والاحتجاج الحقيقي على المظلمة التي يتعرض لها شعب العراق، يجب أن تكون خارج حدود العراق في وجه الحاكم المتواطئ وضدّ تلك الحكومات التي تواطأت، وضدّ مصالح الأعداء الذين يوغلون في إيذاء شعب العراق الذي هو جزء من العروبة وجزء من الأمة الإسلامية وجزء من الإنسانية، والمثقف الحقيقي لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن يقبل ولا أن يساوم بأي ثمن على تعرض أي إنسان لجزء من الظلم الذي يتعرض له الإنسان العراقي المهدد بحقه في الحياة، ناهيك عن الحقوق الأخرى المهددة هي أيضا..

- **إذنْ كان الدور الأهم في مجابهة محن الأمة العربية وفي مقدمتها الحصار على العراق هو للشارع الشعبي العربي وليس للحكومات وللسياسيين والنخب؟.**

نعم... فمن تجربتي الخاصة يؤسفني ويسرني في آن أن ألاحظ أن الشارع الشعبي أو المواطن العادي هو الأكثر شعورا بمعاناة شقيقه في العراق وكذلك هو الأكثر تضامنا وتعبيرا عن هذا التضامن بأشكال مختلفة، والأهم هو الأكثر تحسّسا للأخطار المحدقة بالأمة العربية، والأصدق حدسا والأكثر بعد نظر، إذن ثمة خلل في الثقافة نفسها، وفي مواصفات المثقف فهل المثقف هو حامل معلومات ومعارف يضعها في خدمة من يدفع أكثر أم هو قبل هذا منظومة قيم ونموذج سلوك وطليعة آفاق حضارية وضمير أمة؟

ولا أبالغ إذا إن قلت إن للعراق بقيادته الوطنية سلطة معنوية على الشارع العربي، وتلك السلطة هي أقوى من جيوش المال والاعلام المختلفة التي ضللت وجذبت بعض المثقفين العرب إلى مستنقعاتها.

- **بات واضحا من أن قوى الغدر الكبرى وفي مقدمتها أمريكا تصرخ وتصرخ عاليا في أبواق إعلامها وعبر أنظمتها السياسية المخابراتية والاقتصادية ما يروج لما يدعى بالنظام العالمي الجديد (العولمة) ونحن نعلم ما يختفي في مطاوي هذا النظام وما ترومه أهدافه من استغلال للإنسان وقواه وثروات المجتمعات والبلدان الأقل قوّة ومجابهة، ترى ما هو دور المؤسسات السياسية والثقافية العربية في التصدّي والمجابهة باعتبار أن الأمة العربية هي نموذج حضاري مختلف يتحدى أهداف هذا النظام العالمي الجديد؟.**

لا شكّ أن ثمة صعوبات جمة في التصدّي لهذه الآفة التي ستبتلع نصف سكان العالم ومواجهتها، إلا أنّه وكما أشرت مازلت أراهن على الشارع العربي، عندما يكتشف حجم هذا الشرّ الذي تتّسم به ما يسمى (بالعولمة)، غير أن هذه المراهنة تبقى رومانسية إذا لم تتوفر القوى الحية التي تنظم هذا الشارع وتقوده في معركة آتية لا ريب ضد هذا الشر والمتواطئين معه، لأن هؤلاء المتواطئين وهم في قلب الأمة يروجون لما يسمى بالعولمة والانفتاح التجاري والاقتصادي العالمي والمتوسطي وغيرها، وسيفضي هذا الترويج إلى توريط الأنظمة العربية للدخول في هذه اللعبة، وعندما تكتشف هذه الأنظمة حجم الخسارات التي ستتكبّدها داخل شباك هذا النظام الجديد فليس أمام الأمة العربية حينها إلاّ الاستمرار ببذل هذه الخسارات والتفريط بثرواتها أو أن تتحمل وزر انتباهها والخروج من هذه الشباك إلى حصارات لا تقل قساوة عن قساوة الحصار على العراق، بل ستكون أشدّ هولا في مضاعفاتها الاجتماعية والثقافية، لأن حكومات هذه الأقطار رغم تفشي الخطر في كل مكامنها إلاّ أنها للآن لم تحرك ساكنا لمواجهة هذه الأخطار المحدقة، بل هي منشغلة بكيفية الحفاظ على مسك دفة الحكم بأي ثمن، في حين يتمكن العراق من المحافظة على تماسكه اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا بالرغم من الاستفراد به، فغدا نموذجا للصمود عربيا ودوليا ناهيك عن أنه بصدد الخروج من القفص بينما تتهيّأ الأقطار العربية الأخرى للدخول قسرا إلى أقفاص أكثر ضيقا منه...

حـــاوره في بغداد : ماجـد الموجـد

ونُشرَ في جريدة القادسية العراقية – بغداد – عدد الأحد 2000/2/13.

القصيدة نافذة الروح على فضاء الجمال

هادي دانيال شاعر وصحافي سوري يقيم في تونس وهو يعمل حالياً مدير دار نشر " نقوش عربية " التونسية . أصدر دانيال نحو ثماني مجموعات شعرية بين بيروت وتونس .

وأقام في عواصم عربية عدة من بينها بغداد ، هنا حوار معه:

- **بودنا لو تحدثنا عن بداية تجربتكم الشعرية؟ وما هي المراحل الشعرية التي مررت بها ؟.**

البداية هي أنني بدأت في قول الزجل وأنا على مقاعد الدراسة الابتدائية، وكان معظم قولي ضرباً من الهجاء الفكه، وقبل الكف عن ارتجال الزجل الساذج اهتديت إلى مكتبة عمي الأصغر، كانت ثرية بالروايات والقصص المترجمة، بينها "البؤساء" لفيكتور هيغو، وكتاب المنفلوطي "تحت ظلال الزيزفون" وتضمنت كتباً لجبران خليل جبران كـ "العواصف" و"دمعة وابتسامة" و"الأجنحة المتكسرة"، لقد سحرني جبران وهيغو، وغسلت "الأجنحة المتكسرة" و"البؤساء" روحي بالدمع، قرأت الأولى تحت شجرة تفاح في القرية والثانية في سريري قرب النافذة المطلة على

الوادي .. لأول مرة أسهر حتى الصباح مع كتاب على ضوء قنديل زيت ، منذ ذلك الحين ارتبط مصيري بالكتاب والكتابة .. قارئاً أولاً وكاتباً ثانياً ، ويمكن تقسيم المراحل الشعرية اعتباطاً إلى ثلاث : مـــرحلة البدايات في سوريا، وكانت محاكاة لنماذج شعرية أبرزها من نزار قباني ، ممدوح عدوان ومحمود درويش، وهذه المحاكاة لم تتجاوز الشكل والجانب الإيقاعي من بناء النص لأن المضمون منذ البداية اقتصر على همومي الذاتية وأحاسيسي إزاء العالم.. والتي كانت في طور التبرعم، وفي أواخر هذه المرحلة انفتحت أمامي مكتبة الصديق الشاعر محمد خالد رمضان فقرأت (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني والأعمال الشعرية لكـــل من بدر شاكر السياب ، خليل حاوي، محمد الماغوط، عبد الوهاب البياتي وأعدادًا من مجلة (حـــوار) وكـــان الشاعر بندر عبد الحميد قـــد أهداني كتاب (الشعر والتجربة) لماكليش ، فأضفت إليه من مكتبة رمضان قراءة (ثورة الشعر الحديث) بجزأيه من ترجمة عبد الغفار مكاوي وكتاب (رامبـــو: قصـــة شاعر متشرد) لصدقي إسماعيل، فكانت هذه الكتب حافزاً لتحول روحي واجتماعي شعاره مقولة آرثر رامبو الشهيرة (ليس من الخير أن نبلي سراويلنا على مقاعد الدرس)، فكان هروبي إلى بيروت هاجراً العائلة والمدرسة سنة 1973، لتبدأ المرحلة الثانية من تجربتي الشعرية المستندة هذه المرة إلى مراجع شعرية كبرى فتحت آفاقاً خلاقة ، شعرت باختلافها النوعي منذ ألقيت بروحي وجسدي بين أحراش شتورة اللبنانية.

في مرحلة بيروت حيث الحياة الجديدة والمغامرة الشاملة ، تجـــربة سياسية مـــع الثورة الفلسطينية ، وتجربة صحافية مـــع إعلامها ، وتفتح الجسد على مسرات اللذة مع نساء منهن من عوضت الأم أيضاً ، ذلك كله يـــرفد مسار القصيدة بالصافي والعكر ، بالمغامر المنطلق والإيديولوجي اليساري .. وفي هذه المرحلة

اشتبكت خيوط غيفارا ، رامبو، وعبد الحليم حافظ لتصوغ جزءاً مهمـــا من الوجدان .

بعد الخروج من بيروت بدأت المرحلة الثالثة من تونس تحديداً، حيث النـــزوع إلى ضرب من الاستقرار ثم التحرر منه ... تدريجياً.

على المستوى الإيقاعي المـــرحلة الأولى شهدت طغيان قصيدة التفعيلة والقفلة الصادمة، وفي المرحلة الثانية تنوعت الأشكال الإيقاعية في إطار قصيدة التفعيلة ، لكن النبرة السياسية الأيديولوجية كـــانت أوضح، وفي المرحلة الثالثة تجاورت الأشكال الإيقاعية: قصيدة التفعيلة، حضور خجول لمقاطع عمودية، ثم اندفاع دام ثلاث سنوات مـــع ما يسمى (قصيدة النثر)، فعودة إلى قصيدة التفعيلة التي تؤمن مجالاً غنائياً يريحني أكثر في التعبير عن انفعالات الجسد والروح والعقل والوجدان .

- **هـــل يمكن أن تحـــدثنـــا عـــن لغتـــك الشعـــرية ؟.**

هي اللغة القادرة على استيعاب نبض العصر، بعيدًا عن القاموسية الصارمة والإبتذال المفضي إلى الترهُّل والإنفلاش...

أَسْعى دائمًا إلى لغة مجازية رشيقة وبليغة في بناء الصورة الشعريّة ومفارقاتها.

- **ماهي مكوّنات بناء القصيدة لديك؟ وماذا تمثّل القصيدة عندك؟.**

أبني النص الشعري بزاد لغوي ومخيلة ترسم بالمفردات ظلال وأضواء وألوان صورها ومهارة أسلوبية تضبط النص إيقاعياً وتحقق جماليته بالتراكيب اللغوية المجازية والمفارقات اللغوية والصورية ، وعموماً يجذبني البناء السمفوني إيقاعياً ، والقصيدة

تمثل وسيلة وغاية في الوقت نفسه لمجايليك والآتين، وهي علامة تاريخية على درجة تحضر المجموعة التي ينتمي إليها الشاعر بالمقاييس الحضارية الإنسانية لا التقنية، والقصيدة أيضاً نافذة الروح على فضاء جمالي رحب يحفزها على مقاومة حصار المادة وكسره .

- **ماذا يعني الشعر في نظرك وما هو مفهومك الخــاص للشعر؟.**

كــان فان كوخ الرسام الهولندي الشهير يحس أن هناك أشياء لا تبدو للعين المرهفة إلا مرة واحدة ويجب أن تسجل وتبقى حسب تعبير الراحل الرائع صدقي إسماعيل ، هذا إحساس المبدعين جميعاً وحافزهم إلى الرسم والكتابة والعزف .. لا يمكن أن يتكرّر الإحساس إزاء حالة أو منظر أو حادثة مرتين لذا عــدَّ البعض الشعر قبضاً على اللحظة الهاربة . أما أنا فلم أكوِّن بَعْدُ مفهوماً نهائياً للشعر.

- **مــاهــي مميــزات الشــاعر فــي نظــرك؟.**

أهــم ميزة أن يسعى إلى الإتيان بما لم يَسْتَطِعْهُ الأوائل ، وأن يكون مختلفاً عن مجايليه وأسلافه اختلافاً إيجابياً خلاقاً وأن يكون رائياً بالمفهوم الرامبوي .

- **مــن هم الذين تأثــرت بهــم فــي بداية حياتــك الشعــرية ؟.**

الأسماء التي ذكرتها آنفاً ، كل الذين قرأتهم وخصوصاً صديقي القديم بندر عبد الحميد الذي عامل موهبتي بحنو أخ كبير منذ كنت على مقاعد المدرسة الإعدادية

وكان هو رئيساً لتحرير مجلة (جيل الثورة)، أحياناً يؤثر بك شاعر مـــا بسلوكه إزاءك، لكن بندر كتب أوائل السبعينات نصوصاً تركت عندي أثراً ساحراً، كالأثر الذي تركته قصيدتـــه التـــي مطلعها (أنام ورائحة الأقلام في يدي...).

• هل لك أن تلقي لنا نظرة على نتاجك الأدبي والشعري ؟.

أصدرت سنة 1973 في بيروت مجموعتي الشعرية الأولى "بردى ...ووفود الجوع" على نفقتي الخاصة. وسنة 1978 أصدرت عن منشورات "الهدف" في بيروت مجموعتي الشعرية الثانية "أناشيد النورس" وسنة 1981صدرت ثالث مجموعاتي الشعرية "رؤى الفتى" عن دار "الحقائق" وعن دار الحقائق في بيروت أصدرت مجموعتي الشعرية الرابعة "غليون لتدخين الأحلام" سنة 1982 وفي السنة نفسها أصدرت مجموعتي الشعرية الخامسة "قصائد الحرب" عن دار العودة في بيروت، وسنة 1985 أصدرت في تونس مجموعتي الشعرية السادسة "يتشكل الغيم في رحم المدينة" عن دار "الإخلاء" وسنة 1986 صدرت عن دار "العودة" في بيروت مجموعتي الشعرية السابعة "عشبة على حجر" وسنة 1994 صدرت في تونس مجموعتي الشعرية الثامنة عن دار "نقوش عربية" بعنوان "موسيقى لإنكسارات الروح" كما صدر لي كتابان آخران بعنوان "سداسية تغريد البطمة" عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين- مكتب الأرض المحتلة وهو في الأصل مادة إذاعية مكونة من نصوص نثرية صدرت سنة 1980 والكتاب الآخر صدر سنة 1997 في تونس عن دار "نقوش عربية" تحت عنوان "المسرح العربي على ركح قرطاج" يتضمن مقالات وحوارات في فن المسرح، أهديته إلى روح العزيز سعد الله ونوس .

- **كيف تصنف نفسك مهنياً ، شاعر أم صحافي ؟ .**

أنا شاعر أمتهن الصحافة كي يعيش ويكتب الشعر والنقد، فأنا لست ناقداً وتلك المقدمات التي أكتبها، أحياناً أسأل عن رأيي فلا أبخل به .. كما أفعل الآن .. وفي هذه الحالات كم أكون ضجراً، أكتب نصوصاً حميمة بطلب من مؤلفين لتصدير كتبهم بها، يرضي غرورك أحياناً أن يهتم زملاؤك بآرائك فيما يكتبون، فالأمر لا يعدو ذلك أما أنا فلا أجد أي رغبة في أن أصدر أياً من كتبي بآراء غيري، ليس غروراً لكنني أفضل أن تنشأ علاقة مباشرة بين نصي وقارئه من دون وسيط، وبصراحة لا أحب دور الوسيط الذي أقوم به أحياناً لكنه ضعف بشري .

- **كيف ترى المشهد الشعري الراهن في سورية ؟.**

إطلالتي على المشهد الشعري السوري جزئية، أنا من جيل شعري يلي جيل بندر عبد الحميد وسليم بركات (هل بقي غيرهما من هذا الجيل ؟.. ربما زهير غانم) .. من جيلي أتابع أحياناً فؤاد كحل ومن الذين جاؤوا بعدنا تحضرني أسماء مهمة : الراحل رياض الصالح حسين ، فرج بيرقدار ، رنده قوشحة ، ولكن لا أعتقد أن شعراءنا الكبار محمد الماغوط ، علي الجندي ، فايز خضور ، نزيه أبو عفش ، ممدوح عدوان وأدونيس والراحلان نزار قباني ومحمد عمران قد غابوا عن المشهد الراهن وهنا لا أخفي سعادتي أن أخي نديم الوزة قد دخل هذا المشهد بقوة وعن جدارة كما تؤكد مجموعته " خارج الجحيم " التي وصلتني مؤخراً .

• **ماهو انطباعكم عن الحركة الأدبية والثقافية التونسية وكيف ترون هذه الحركة؟.**

توجد هنا حركة ثقافية لكنها أفقية مقارنة بما قبل السنوات الأثنتي عشرة الأخيرة. ثمار المطابع كثيرة لكن معظم ما قرأته منها فج أو فاسد . ثمة كتب تحمل صفحاتها أجناساً أدبية مختلفة، وثمة أعمال سينمائية جديدة وثمة أعمال مسرحية ومعارض فنون تشكيلية لكنها تفتقد إلى نشاط نقدي جاد يواكب ويغربل، ثمة ناقد مهم اسمه محمد لطفي اليوسفي نتاجه تنظيري لكن تأثيره في النشاط الأدبي محدود إن لم نقل معدوم ، لأنه لم يخضع النتاج الأدبي التونسي بأجناسه المختلفة لغرباله النقدي على حد تعبير ميخائيل نعيمة، أو لمعايير سلطته النقدية المفترضة الآن تحاول نجاة العدواني سد بعض الفراغ على مستوى نقد النتاج الروائي فَهَلْ سيتركونها تذهب إلى النهاية ؟.

ولكن يجب التنبه إلى أن تميزاً نوعياً لا يمكن نكرانه على صعيد المسرح والفن التشكيلي في تونس ، وخصوصاً تجربة فاضل الجعايبي من جهة وتجربة المنصف السويسي من جهة موازية .

التقاه في تونس : العربي الزوابي

ونُشِرَ في القدس العربي – العدد(3126) – الخميس27 أيار (ماي) – 1999

أرنو إلى تونس عاصمة نور وتنوير ومنبرًا للقضايا الإنسانية العادلة

هادي دانيال شاعر ألفناه متوهج الحضور عربياً.. في رصيده الإبداعي عشرة مؤلفات شعرية ونثرية.. الانطلاقة كانت سنة 1973 مع مجموعته الشعرية الأولى "بردى..ووفود الجوع" وتواصلت عبر "أناشيد النورس" و"رؤى الفتى" و"سداسية تغريد البطمة" و "غليون لتدخين الأحلام" و "قصائد الحرب" و"يتشكل الغيم في رحم المدينة" و "عشبة على حجر" و "موسيقى لانكسارات الروح" وهاهو يصدر مؤخراً "المسرح العربي على ركح قرطاج".

وهادي دانيال شاعر تمكن من ناحية الكلمة وصاغ الفكرة بشكل عميق مؤثر يخاطب الوجدان ويرحل بالمتلقي إلى عالم صاخب جامح وثائر ...

ولعل أبرز ما يلفت الانتباه في تجربته الشعرية افتتانه بالروح التونسية.. وبمختلف مميزاتها إلى درجة التماهي أحياناً مع الطقس التونسي الجميل. رؤيته خاصة جداً، وتناوله لقضايا تشغل

مجتمعاتنا متميّز .. هو فنان بالكلمة ومبدع بالقصائد...التقيناه وكان الحوار :

- **نشرت بعض المجموعات الشعرية في تونس ، في مناخات وأجواء تعود إلى ذاكرة ما قبل مجيئك إلى هنا ، ماذا أضافت لك علاقتك بالتجربة الشعرية التونسية ؟.**

عندما قدر لي المجيء إلى تونس كنت احمل في حقائبي نسخاً من سبع مجموعات شعرية كانت قد صدرت لي في بيروت ، أولها صدر سنة 1973 وكنت حينها لم أجاوز السابعة عشرة بعد ، وعندما أصدرت في تونس (يتشكل الغيم في رحم المدينة-1985) عن دار الاخلاء، و(موسيقى لانكسارات الروح-1994) ضمت المجموعتان القصائد التي كتبتها قبل مجيئي إلى تونس و لم تضمها المجموعات السابقة إلى جانب قصائد قليلة كتبتها هنا ، لكن بين هاتين المجموعتين صدرت لي مجموعة في بيروت عن دار العودة واتحاد الكتاب الفلسطينيين هي (عشبة على حجر 1986) تضمنت قصائد تجربتي الشخصية في تونس، أورد هذه المعلومات لتتبيني كيف أنني جئت إلى تونس مثمراً وفي رصيدي من الكتب الشعرية المطبوعة ما يفتقده أي شاعر من جيلي في تونس، بل إن بعضهم كان لم يصدر بعد مجموعته الأولى، وكنت معتداً بما حققته واحتفي بنصي الشعري وتحولت بسرعة إلى واحد من وجوه النشاط الثقافي هنا من1983 إلى 1990 باستثناء فترات انقطاع ناجمة عن سفري إلى خارج تونس لأعود كل مرة بزخم جديد. إنه مهم أن تلاحظي أنني حضرت إلى تونس من بيروت التي عشت فيها سنوات التكوّن

الأساسي والصبا والشباب الأول في مناخات الحرب الأهلية، وكان صعباً علي أن أتكيف بسرعة مع المناخ التونسي، لكن الحنان والدفء الذي أحاطتني به تونس من دون أن يعنيها ترويض جموحي الشعري والفكري، مكنها من التسلل إلى العقل والوجدان والاستقرار كعنصر فاعل في كل ما يصدر عنهما. وبحماسي واندفاعي وهما من العيوب التي يعدها البعض علي، يمكن القول إنني دخلت في حوار صاخب نسبياً مع التجربة الشعرية التونسية التي كانت هشة قياساً إلى قرينالها في المشرق، وهذا الحوار نتج عنه تنشيط آلية الإبداع عندي ولكن من غير أن أفيد من مهارات تونسية على صعيد الكتابة الشعرية، لكنني بلا ريب فتنت بالروح التونسية الخصبة، بمناخات التوق والعشق والمحبة والعطاء إزاء الأفراد والجماعات الذين تربط تونس بقضاياهم ومساراقم الخاصة والعامة أواصر إنسانية مشتركة، هذه الفتنة التي هزتني يمكن رصد ظلالها في كتابتي الشعرية بل بعضهم لاحظ أنني كنتُ في بعض قصائدي تونسياً أكثر من شعراء تونسيين لأنني تمثلت الحالة التونسية بمشاعري وأحاسيسي ، وبالتالي رؤيتي العامة إلى شأن تونسي لكنه إنساني أيضاً كانت رؤية خاصة في الوقت نفسه، فاستخدمت مهاراتي ودرجة نضج موهبتي للتعبير عن قضية عشتها في لحظة الكتابة الشعرية كتونسي وكغير تونسي، كمقيم وعابر في الوقت نفسه، فكانت مثلاً قصيدة (الرغيف) وغيرها، بينما يكتب الشاعر التونسي أحياناً بذاكرته المشرقية عن شأن تونسي فلا يعبر بدقة وصدق فنيين عن هذا الشأن لأنّه لم يجعل منه شأنًا خاصًّا، ولم يترك لهذا الشأن حرية التعبير عن نفسه باقتراحاته هو التي تستعين بمهارات الشاعر، لا بقرارات الشاعر التي ينفذها بذاكرته مسقطاً ما تختزنه على الشـــأن المعني.

• أنت من الشعراء القريبين جداً من أجواء التجربة الشعرية الفلسطينية ، هل تعتبر أن تجربتك وتجربة جيلك من الشعراء قد حظيت بالمتابعة النقدية التي حظيت بها تجارب الشعراء الذين سبقوك مثل محمود درويش، هل كان "محمود درويش" الشجرة التي غطت غابة الشعر الفلسطيني والعربي ؟.

أولاً اسمحي لي أن أفجر الألغام التي يضمرها هذا السؤال. أنا خرجت من سوريا إلى لبنان بدوافع شعرية وجودية، لم يكن في ذهني العمل مع منظمة التحرير الفلسطينية ولو كاحتمال، كان الفرنسي آرثر رامبو شاعري النموذج، وعبد الحليم حافظ مطربي المفضل وأرنستو تشي غيفارا مَثَلي الأعلى، وفي دمشق كنت قرأت جميع أجزاء الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني والأعمال الكاملة لكل من بدر شاكر السياب، عبد الوهاب البياتي، خليل الحاوي، نزار قباني، وكنت أتابع بشغف الأمسيات الشعرية التي يقرأ فيها ممدوح عدوان الذي كان يفتنني بإلقائه، وكانت المجموعة الشعرية (الفرح ليس مهنتي) لمحمد الماغوط لا تفارقني، ومرة بعد حضور أمسية شعرية في مدرج جامعة دمشق أحياها الشاعر محمد الفيتوري دخلت مكتبة وتصفحت مجموعة شعرية عليها اسم محمود درويش، كانت المجموعة (العصافير تموت في الجليل) وخلال تصفحي لها قرأت بسرعة (مَطَرٌ نَاعِمٌ في خريف بعيد) من أجل هذه الصورة اقتنيت نسخة من المجموعة على الفور فاكتشفت موهبة شعرية كبيرة لا ينتقص منها أن رضعتْ في مهدها من نُهود عامرة بما يغذي المواهب الجديدة، أعني أشعار نزار قباني، بدر شاكر السياب، عبد الوهاب البياتي، وفي مرحلة لاحقة أشعار أدونيس و سعدي يوسف، وانتظرنا كثيراً الوقت الذي تخلص فيه نص محمود درويش من ملامح الشعراء السابق ذكرهم ، ولكنه نجح بقوة في إنضاج ملامح نص درويشي لم يغر المواهب الناشئة فقط بل وتخلّعَتْ نيوب شعراء

كهول حوله، ولم يعد خافياً أن موهبة محمود درويش تضاف إليها الحاجة الوطنية والقومية إلى إيجاد رمز ملموس للثقافة الفلسطينية المعاصرة، وفي سياق ذلك تمكينه من التفرغ للإبداع الشعري وتقديم إمكانيات مادية كبرى له ليجعل من نفسه سلطة ثقافية، كانت وراء هذه (الشجرة التي تغطي الغابة) حسب تعبيرك الذي قد يبدو صحيحاً لكنه عندي ليس كذلك ، أولاً لأن محمود درويش صنعته موهبته الكبيرة وقضيته، وهو حالة لا يمكن تكرارها، ولذا لا تجدين صدى واضحاً لدرويش عند الشعراء الفلسطينيين كما نلاحظ هذا الصدى الحاد واللغوي عند التونسي الصغير أولاد أحمد والأردني محمد لافي و اللبناني شوقي بزيغ بل إن أقرب الشعراء إلى محمود درويش مثل سليم بركات وزكريا محمد ووليد الخزندار لهم مناخاتهم وتقنياتهم الشعرية المختلفة تماماً عن درويش ولذا هو يقربهم منه أكثر من غيرهم، ولكن تبقى الغابة حافلة بأشجار أكثر ضخامة وعلوا وإثمارا ربما من محمود درويش، ولكن درويش صار رمزاً، وإشعاعه مرتبط بإشعاع القضية الفلسطينية، ولهذا يظهر اسمه ويختفي، لكنه في كل الحالات رفد الحركة الشعرية العربية بإضافات لم يخطئ النقاد بإبرازها .

وموهبة درويش وإضافاته الإبداعية هي التي جعلت الاهتمام به مشروعاً بل ومستحباً، بينما لم يُجْدِ النفخ الأيديولوجي في مواهب أقل كموهبتي سميح القاسم وتوفيق زياد أو سالم جبران وفدوى طوقان ، بل إنّ الأخيرين لهما قيمة نضالية بحتة.

والحقيقة أنَّ هذا الفرز لدرويش لم يكن من صنع النقاد بل هم وجدوه جاهزاً، فالفرز كان من صنع الذائقة الجماعية أو الجماهيرية، ومن المؤسف أنَّ النقاد العرب أومن هم في حكمهم يفتقدون الذائقة، ولذا لم يهتمّوا بشعراء مثل مريد البرغوثي وغسان زقطان ووليد خزندار ونزيه أبو عفش وسليم بركات وبندر عبد الحميد

وعباس بيضون، وسركون بولص وغيرهم كثيرون، بل اتجهوا اتجاهين هما وجهان لعملة واحدة، اتجاه يكرس ما يمكن تسميتهم (نجوم الشعر) كالسياب و أدونيس والبياتي وسعدي ودرويش متجاهلاً مواهب من الجيل نفسه أو الذي يليه لا تقل أهمية كخليل الخوري وخليل حاوي ويوسف الصائغ ومحمد الماغوط وسامي مهدي وحسب الشيخ جعفر، وهو بذلك لا يكلف نفسه عناء التنقيب ويعدّ النص مقبولاً بانتسابه إلى (نجم) بغض النظر عن قيمة النص مستقلاً عن اسم مؤلفه ، والإتجاه الثاني يسقط نظريات ومقولات بطريقة بهلوانية على نصوص باهتة لا ابتكار فيها ولا إبداع بل تفتقد إلى مواصفات النص الشعري المعاصر في نموذجه السائد، ومع ذلك تحبر حولها الأوراق بمقولات رولان بارت والجرجاني معا وتحاط بعبارات الاحتفاء الإعلامي المدفوع سلفا أو المندرج في سياق النفاق والتملق لصاحب أو صاحبة الديوان ، ولا نحتاج إلى التأكد من ذلك لغير قراءة الفقرات المختارة كشواهد و "أدلة " من (الديوان) أو (المجموعة) ... وقد كثرت هذه الظاهرة في أقطار المغرب العربي خاصة ، ولكن تذكّري أنّ نزار قباني ومظفر النواب عرفا واشتهرا من غير نقد.

إذن لا أحد بين الشعراء المعتدّين بتجارهم ينتظر نقداً لتجربته في واقع نقدي ارتزاقي، وعلى كل حال لقد قيل في تجربتي إنها فريدة وقيل إنها جزء من تيار ، ولكنها قورنت مراراً بتجربة عبد الوهاب البياتي (لماذا ؟لم أدْرِ بعد ؟) وكانت المقارنة في صالحي دائماً. وأبرز من قارنوها شعراء معروفون كبول شاوول واحمد مطر، ولم يخطر ببال أحد مقارنتها بتجربة محمود درويش ، بمعنى آخر لا أنتمي شعرياً إلى الغابة التي قد يحجبها وإن كنا مع شعراء آخرين ننتمي إلى تجربة المقاومة الفلسطينية في بيروت 1973 – 1982 ، وأنا أعتز بذلك .

وهنا اسمحي لي أن أشير إلى ظاهرة محزنة ، فبعد الحصار على العراق صار نقاد عراقيون ينشئون (نصوصاً نقدية) مكرسة لتجارب شعرية كانوا يستصغرون شأنها ولا يعترفون بوجودها كالتجربة الشعرية الأردنية، كما أن بعض الشعراء الذين يشرفون على منابر ثقافية تدفع مقابل النشر أو البث صار نتاجهم الشعري يحظى باهتمام نقدي، كان منعدماً قبل إشرافهم على هذا المنبر الثقافي أو ذاك ، هذا حال النقد والنقاد الآن. فأي ذنب لمحمود درويش في ذلك ؟.

- **أنت ارتبطت بشاعرة تونسية أثمرت قصائد وأطفالاً، فأيهما أقرب إلى روحك، أطفال الفكرة أم أطفال الزواج ؟.**

أولاً أنا لست مرتبطاً بغير الحرية ، وقد أصاب صديقي الشاعر أحمد دحبور عندما التفت أحدنا إلى الآخر أمام (كشك بائع الصحف) في شارع الحبيب بورقيبة في لحظة واحدة، وبعد صمت قَسْريّ قال : (لست متفاجئاً تماماً ، أنا دائماً أتوقع أن أراك في أي مكان وفي أي وقت، فأنت مزروع في الريح) هذه حقيقة وضعي التي كان قد عبر عنها أخونا الأكبر أبو الطيب المتنبي عندما قال (...على قلق كأن الريح تحتي) وهي حقيقة أدركتها الشاعرة التونسية التي ذكرت والتقينا كزوجين على هذا الأساس ، وكان لقاؤنا قلقاً لكنه قلق مبدع أحياناً ، ومنها خرجت إلى الوجود إمتداداتي البيولوجية الأولى/أبنائي. وكان لمُهَنَّد، إبني الأول، الحظ الأوفر قياساً لأخويه في التأثير على تجربتي الشعرية فألهمني العديد من القصائد . أهمها القصيدة التي تحمل اسمه والتي ضمتها مجموعتي (عشبه على حجر) ونشرتها لأول مرة في مجلة (الحياة الثقافية) التونسية. حيث صدرتها بالقول .... ويبقى مهند أكثر إيحاء من قصيدة . فاعتمد أحد النقاد هذا القول لشن هجوم صاروخي على

المجموعة كلها على أساس أن القصيدة أكثر إيحاءً، أو هكذا يجب أن تكون، وهذه مسألة كبرى : هل ثمة فكرة تستحق أن نهدر في سبيل ترسيخها أو ترويجها دماً بشرياً ؟ هل نضحي بالأطفال من أجل القصائد ؟ القصيدة يجب أن تكون موحية ، ولكن قد يكون الطفل أو المرأة التي نحبها أكثر إيحاءً من القصيدة ولكن يمكنني أن أجيبك بأن (أطفال الفكرة) الذين لم أنجبهم بَعْدُ هُمْ أقرب إلى انشغالي الروحي من أطفال الفكرة الذين أنجبتهم ، وهنا يسرني القول إنّ (نجاة العدواني) شاعرة كبيرة في قصائدها وقصصها القصيرة ولماحة في مقالاتها النقدية ، وقد تكون القصائد التي أَنْجَبْتُهَا منها أجمل من القصائد التي أَنْجَبَتْهَا مني أو بالعكس، لكنني أعتقد أنّ الأطفال الذين أنجبهم زواجنا كانوا أجمل من قصائدنا كلينا. ولكنني لا أجد حرجاً في القول إنّ الشاعر الحقيقي لا يمكن أن يخضع الشعر لسطوة قيم العائلة والملكية والتقاليد التي تزدهر في مجتمعاتنا بل هو، أي الشاعر، يجعل امتداداته البيولوجية مستقلة عنه، صديقة ومتفهمة ما أمكنه وأمكنها ذلك، كي لا تفقده طفولته هو بما تتطلّبه من واجبات الأبوة التقليدية التي تجعل حضور كهولته قاسيا وإيقاعات هَرَمه سريعة. أحد الشعراء العرب المهمين دفعه الحصار العائلي إلى الانتحار بعد أن عاش تحت وطأة شعور بالغبن وضغط الواجبات إزاء السلطة في بعدها المتعدد ولكن من حسن حظي أنّ أم أبنائي شاعرة أيضاً ولكنها أكثر التصاقاً بأطفالنا مني بحكم أمومتها الأقوى ، وهذا يجعلني أكثر شعوراً بالحرية المسؤولة التي لا تتنصل من الواجب ولكنها تتخفف من ظلّه الثقيل الذي يطارد الروح المبدعة .

- **أي جدوى من الشعر في زمن التكنولوجيا ؟.**

الزمن التقني هو زمن الشعر الحقيقي، هو زمن الحاجة إلى الشعر. والشعر هنا لا يقتصر البحث عنه على القصيدة بل يجاوزها إلى الأجناس الأدبية كافة وإلى كل مجالات الحياة. إنه الآن ضروري ضرورة الحليب لعمال المناجم، وبما أنّ القصيدة هي الصياغة الأنقى للشعر فيفترض أن تكون من الآن الجنس الأدبي الأكثر انتشاراً واستهلاكاً، لكن المؤسف أنّ منتجي النصوص المسماة شعراً أكثر من مستهلكي الشعر، والظاهرة التي تثير حفيظتي أن يفاجئني شاعر يكتب الشعر بلغة لا يتقنها و يفاخر بأنه لم يقرأ شعراً لغيره، وعندما تحاول أن تتفهم حالته على أساس أنه ربما يعوض ذلك من خلال قراءة الروايات والأجناس الأدبية الأخرى، يؤكد لك فقر نصه وتقريريته وتعثره نحوياً وإملائياً أنه لا يقرأ البتة، وقد يكون بعض الشعراء موهوباً لكنه يئد موهبته بالإدعاء القائم على الجهل ومناصبة القراءة عداءً محكماً!. وهذا من أسباب عدم انتشار القصيدة وسوء سمعتها حتى بين التواقين إلى استهلاك الشعر فيطاردونه بين صفحات الروايات مثلاً !.

- **عشـــت فـــي تونس، فمـــاذا عنهـــا في ذاكـــرتـــك ؟.**

سؤالك، سيدتي يحيل إلى الماضي، ولكن الحقيقة أنّ تونس عندي حاضر ومستقبل. وأنا هنا لا أتكلم كأب لثلاثة مواطنين تونسيين، بل كعاشق للحياة وطنه الحرية، لم يجهده الجهاد ويهده الترحال، وأتكلم أيضاً كمثقف عضوي خرج من ظهر جبل ساحلي إلى رحم الواقع العربي ليولد مراراً في أماكن ينسبه سلوكه النضالي الحضاري إليها .

بعد خمس عشرة سنة من الإقامة على هذه الأرض الخصبة وسط شعب دافئ ومحب تأكدت أنا "المزروع في الريح" أنّ جاذبية هذا المكان أقوى من جموح أجنحتي

العنيدة، فأنا أتوهج في حضرته كقنديل زيت ، ويرعش قلبي بين عيني الفاضحتين ثمرة ناضجة خلفت مرارها وحموضتها على أرصفة عواصف أخرى من هذا العالم الضيق ، وتنتظر أن تقطفها تونس بقبلة ، لقد تأكدت من عشقي وأنا جالس على شرفة شقتي التي تطل على (دجلة) منذ عامين ، لقد اعتراني حنين كـــاو إلى شارع الحبيب بورقيبة، تمنيت لو يحملني مارد أسطوري كالذي يخرج من الخواتم السحرية في تلك اللحظة ويتركني أترجل على بلاط الشارع وقت الغروب بين الشجر وأكشاك الصحف وفوقي العصافير تتشكل وتصخب كمحتسي الجعة في حاناتها. وهذه الحالة من الحنين صارت تعاودني باستمرار، وتعبر أنْفي روائح الفل والياسمين وعطور "شانيل" "فانتازم" "أوناسيس" ..وَعَزْف كمنجات وشبابات وبيانو كنت أصغي إليه كأنّه صدى ضحكة خضراء. والآن بالرغم من وضعي الصعب، أشعر بسعادة وأنا أسير في الشارع إلى مكان عملي. كما أحب تونس وهي تتركني وحيدًا في عزلتي الوجودية أصغي إلى نبض حجارها وهسيس اللهب في عروق أمواج شواطئها وإلى احتفاء جذوع أشجارها بالأنساغ الطالعة فيها قادمة من الجذور..

إنَّ أمنيتي أن أبقى هنا ليس فقط لأنني غير قادر على الحب في ومن أي مكان آخر، بل لأنني أرنو إلى تونس عاصمة نور وتنوير ومنبراً للقضايا الإنسانية العادلة وللذين يؤمنون مثلي أنَ الكتابة نقدية أو لا تكون لأنّ التغيير والتقدم ديدنها وهدفها ، فتونس الصغيرة الجميلة الهادئة يمكن أن تكون بتفتح مجتمعها وتسامح نظمها ومرونة قوانينها ملاذاً لهاربين من عالم كبير قبيح وصاخب لتتفتح قرائحهم في شرفاتها زنبقاً وبنفسجاً وتغرد على أعضائها بلابل وشحارير.. وبذلك تمنح شعاراتها المزيد من المصداقية في زمن الشعارات الخاوية عربياً ودولياً.

- **بمن تأثرت في بداياتك الأولى ؟ ومما تستلهم مواضيع قصائدك؟.**

تأثرت في بداياتي الأولى بجبران خليل جبران وممدوح عدوان ومحمد الماغوط، وأستلهم مواضيع قصائدي من تفاصيل حياتي اليومية .. وأحياناً تحرضني الروايات الجيدة على الكتابة..

- **متـــى تكتـــب ؟ ولمـــــن تكتـــب ؟.**

كنت في البدايات أكتب الشعر بغزارة ، ولكن مع الوقت صرت أكتب بندْرة ، وهنا تصح مقولة النفري (كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة) كنت أثمر قصائد لكنني الآن أقطر شعراً.

وأكتب لقراء مفترضين الآن ومستقبلاً وصولاً إلى آخر إنسان يشهد نهاية الحياة على هذا الكوكب. وأفترض في قارئي أن لا يكون أمياً وعلى درجة من الذكاء تمكنه من العثور على مفاتيح النص والاستمتاع بجماليته.

- **خلافاً للشعـــر ، مـــاذا يفعل هادي دانيال وكيف يؤثث حياتـــه ؟.**

أكتب مقالات فكرية وثقافية لتأمين مصدر رزق إضافي وأقرأ مخطوطات تقدم إلى إحدى دور النشر لطباعتها، وبعيداً عن القراءات المهنية أقرأ مـــا يصلني من روايات جديدة وأستمع إلى الموسيقى من المذياع ، وإلى نشرات الأخبار باللغة العربية .. وأحلم بحياة أخرى .. أحياناً أبقى في مقعدي سارحاً مع حلم يقظة ، وأحياناً أهرب إلى النوم من عذابات الضجر .. وبالمناسبة أنا أمقت جهاز التلفزيون

وأحب المسارح وقاعات السينما ، حيث أفضل مشاهدة الأفلام بين أناس لا أعرفهم في قاعات مظلمة.

- **كيف يقيـــم هـــادي دانيـــال القارئ ما يكتبه هادي دانيال الشاعـــــر؟.**

غالباً ما أكتب قصيدتي على دفقات تلقائية، ثم أبني القصيدة بما اكتسبْتُهُ من مهارات وخبرة. وعندما أعيد قراءتها بعد أسابيع أتأكد من مدى نجاحها في التعبير عن الحالة أو الإحساس أو الصرخة أو الموقف الجمالي التي من أجل تجليها احتشدت آليات الخلق الجمالي في لحظة شعرية هي لحظة استثنائية دائماً، أحياناً أمزق ما كتبته وأحيانا أدخل عليه تعديلات نهائية وأدفعه إلى النشر، وهذا يعني أن كل الشعر الذي نشرته كنت راضياً عنه عندما قررت نشره ولا أجدني الآن نادماً، وبصراحة إنّ شعري الذي كتبته في السابعة عشرة والثامنة عشرة يمكن أن أنشره الآن أيضاً من دون مراجعة. لقد بدأت كتابة الشعر برؤية حديثة وبأدوات حديثة لم ينكر أحد أنني استخدمتها بمهارة بالرغم من أنني لم أبتكرها بل انتقيتها من المهارات التقنية لهذا الشاعر أو ذاك ، ولكن الآن يمكن القول إنني أكتب قصيدة لها ملامحها ونبرتها الخاصة.

- **بأي قصيدة تحلم ؟.**

أنا لا أحلم بقصيدة معينة لها مواصفات محددة ، لكن أحرص على تطوير أدواتي وإثراء مخيلتي وإبقاء أحاسيسي ومجساتي وآلية الابتكار عندي في الدرجة القصوى

من اليقظة دائماً كي لا تفوتها حالة شعرية عابرة فلا تثبتها أو تفيد منها .. ولكن بلا ريب يهمني أن تكون قصيدتي معبّرة عن المتلقي بقدر تعبيرها عني ، وهذا أمر يشغلني خصوصاً في المراحل النهائية من كتابة القصيدة.

- **لو لم يعد بإمكانك كتابة الشعر، وحتمت عليك الظروف ذلك، فماذا ستفعل ؟.**

هذا افتراض مرجعه الخيال العلمي، وفي حالة أخذناه في الحسبان مجاراة لإمكانية حدوث ما ليس في الحسبان بما في ذلك الخرافي ، فإنني في هذه الحالة سأكثف من قراءة الشعر وألاحقه في الدواوين والروايات والقصص والمسرحيات والأشرطة السينمائية واللوحات والأغاني وأستعين عليه بالموسيقى ..ومن غير هذا الافتراض أسرك أن لي رغبة جامحة للتعبير عن نفسي بالغناء وبالرسم وليس بكتابة القصائد والمقالات ، ذلك أنني كنت مؤهلاً لاحتراف الغناء والفن التشكيلي لكن الغلبة كانت للشعر.

- **كيف تتصور مستقبل القصيدة في القرن القادم ؟.**

الشعر يبقى من حيث الجوهر ذلك الساحر المدهش منذ أول قصيدة كتبها إنسان قبل التاريخ إلى آخر قصيدة يكتبها في القرون القادمة ، ولكن إن كنت تقصدين الشكل فأنا أعتقد أن القصيدة ستفيد من أشكالها كافة وستنحو منحى البناء السمفوني الأوركسترالي وهكذا يكون لكل آلات العزف والعازفين أدوارهم

ومكانتهم في القصيدة القادمة التي حاولت تقديم تصور لها في مجموعتي الشعرية (عشبة على حجر).

- **هل يفتح الشعر البيوت، بمعنى هل بإمكان الشعر أن يكون مهنة؟**

عندما يكون الشعر مطلوباً كالخبز يصبح الشاعر قادراً على الاعتماد عليه اعتماد الخباز على مهنته.. ولكن الحقيقة أنّ الشعر عندنا محنة وليس مهنة ، لان أصحاب رؤوس الأموال لم يقتنعوا بعد بإمكان استثمار الشعر مالياً ولن يقتنعوا ، لأنه في الجوهر دعوة عميقة إلى المغامرة بينما من بيدهم المال ينشدون الاستقرار ويميلون إلى المحافظة ويتطيرون من أي شكل تأخذه مغامرة العقل والوجدان.
إذن على الشاعر أن يبحث عن خبزه على هامش الشعر كأن يكون ورّاقاً أو صحفياً أو كاتب مقالات ولا بأس في أن يكون صاحب مهنة يدوية أو تقنية .. إلخ، لكن الشعر لا بيت له ولا وطن غير الحرية ومناخاتها وهو يفتح البيوت كي يخرج من تحت سقفها الضجر والمتعب والمكبل ، و يفتح أبوابها ونوافذها لتهويتها وكي يزورها القمر ليلاً والشمسَ نهاراً .. وكي يعشش في زواياها الحب ويهدل.

حاورتـــــــه في تونس : جميلة الكرمـــاوي

وَنُشرَ في جريدة "الصحافة" التونسية/ملحق "ورقات ثقافية"

الجمعة 27 فيفري 1998.

روح غيفارا تلهمني عدَمَ الانحناء

نلتقي هذا الأسبوع بشاعر وصحفي ليس له وطن محدّد وليست له قضيّة خاصّة، بل إنّ كلّ الأقطار أوطانه وكلّ القضايا العادلة من اهتماماته، لأنه يرفض الانحصار الضيق داخل الإطار المكاني وداخل الإطار الفكري، فهو يمتلك القدرة على العشق بل الذوبان في مجرى الأحداث وفي ارتسامات الصورة الإبداعية تشكُّلاً ومضمونا.

لكنه كل مرّة يبدأ حفر أنفاق إلى أحلامنا، تدمر عليه وعلينا، وكلما رسم بأشعاره آمالَ حبّنا لأوطاننا تيأس الحدود منه ولا ترفضه... فلا يهرب، بل يعود إلينا أكثر إصرارا وإقدامًا... التقيته وقد عاد من بغداد ولم يتأبّط إلاّ كُـــتبًا وأخبارا عن أولئك الذين صمدوا في الوقت الذي "تلحف" غيرهم بستائر الأعداء وناموا بين أحضانهم، فترك "نجاة" و"المهنّد" وأخوات لم يرهن منذ عشرين عاما، وقلب أم يشوونه في قصر الخلافة بعد أن قيّدوها بالوشاية والغواية والمزاعم... ثم ألقوا بها في قلب خزّان لكنّها دقّت بالعيون

وبالقيود وبالجفون وبالنهود وبالورود وبالرعود.

هكذا كان شاعرنا هادي دانيال شاهدا على الرغيف في 1994 والحصار في 1982 وعلى بغداد 1993 وعلى دمشق 1973، وهكذا أيضا تمضي المحطات في التاريخ مسرعة ولكنّها تتخمّر في ذاكرته وتتضخم لتنفجر حبّا ونقمةً، شعرا وثورة.

حين جاءني في الموعد كان صمته هو الذي يتكلّم، وجرحه هو الذي يبتسم وغبار عمّان يروي الرحلة الطويلة والمسافة القصيرة بين بغداد زمن الحرب ودانيال زمن الترحال.

لقد حمل لنا معه بعض الأوراق وبعض المجلاّت وبعض ما نشر زَمَنُ أم المعارك... وقال لنا أخبارا جعلتنا نسأله ما الذي تغيّر بالعراق وما الذي تغيّر بعقله ؟!

أجاب بكلّ تجرّد ونفث بكل عمق... فكانت الشواهد كالصدفة والحقيقة **كالنور.**

كيف يمكن الحديث عن مصادر الإلهام الشعري لديه وهو الذي تزوّج شاعرة وأنجب المهنّد فصار الينبوع الذي لا ينضب.

ومع ذلك، فقد فضّل أن يكون جسرا تعبر عليه الآلام، وتمنى أن يكون في كفّ طالبة من القدس حجرًا... ليصنع من وحل الهزيمة بيت عصفور يرّد عن البيوض به الردى... أو نورسا لو داهمته البيد ينتحر اختناقا...

ومتعة اللقاء مع هادي دانيال تكمن في تشكل الذات الابداعية لديه

شعرا مع التحامه "الروحي" بالقضية وتلك هي معاني المثقف العضوي...

- **عدتم قبل أسبوعين من العراق، وقد تابعتم بكلّ اهتمام النشاط الفكري والحركة الثقافية هناك رغم وطأة الحصار، فإلى أي مدى يمكن الحديث عن تأسيس أدب الحرب؟.**

هي زيارتي الرابعة إلى عراقنا العزيز بعد وقف إطلاق النار، وقد تبيّنت بالمعاينة المباشرة أنّ قلعة التحدّي الحضاري المحاصرة بجهالة وجحود ولؤم القطريين، وبالحقد الفارسي- العثماني التاريخي، وتآمر الصهاينة الاستراتيجي، بتوحّش الغرب الأوروبي – الأمريكي وتطيره، تعاني- معاناة خلاقة أيضا – من حصار ثقافي يستهدف عقل ووجدان وذاكرة ومخيلة العربي في العراق لأنّه يتوقّع من هذه الآليات المعرفية/الإبداعية الموروثة المصانة المحسنة المعصرنة خطرا إنسانيًا يتهدّد آلات الشرّ العالمي المتطوّرة تقنيا، والتي تديرها الصهيونية العالمية.
لكن المثقف في العراق كجزء طليعي من حالة النهوض والصمود والمقاومة قَبِل هذا التحدّي الوجودي، متحمّلا بمسؤولية إعادة بناء ما تهدّم من منجزات الرّوح الوطنية/القومية أو ترميم المشروخ منها، وذلك بتنشيط دؤوب للحياة الثقافة أبرز مظاهره استئناف المنابر الثقافية حركيتها المعهودة، فعادت إلى الصدور في مواعيدها المحدّدة وبزخم معرفي ملموس الدوريات الشهيرة (آفاق عربية، الأقلام، الثقافة الأجنبية، أسفار، الأديب المعاصر) واستأنفت دار الشوؤن الثقافية ودار المأمون إصدار الكتب الفكرية والأدبية المؤلفة باللغة العربية أو المترجمة إليها،

واستأنفت صالات العرض المسرحي عروضها اليومية لأعمال درامية جديدة، ففي اليوم الواحد تقترح علينا مسارح بغداد أن نختار عرضا أو أكثر من بين أربعة إلى خمسة عروض، وأيضا تقدم مؤسسة السينما عملا سينمائيا تاريخيا يضاف إلى الأشرطة التي تقترحها صالات العرض السينمائي من جديد وجيّد الفنّ السابع العربي والعالمي، وبين اليوم والآخر تقترح عليك صالة عرض للفن التشكيلي معرضا جديدا فرديا أو جماعيا، فضلا عن الندوات الفكرية والأدبية والأمسيات الشعرية في مقر اتحاد الأدباء وسواه، وغير ذلك كلّه الأمسيات الموسيقية وأهمّها عندي تلك التي تقدّمها الفرقة السمفونية العراقية من أعمال كبار موسيقيي العالم (بتهوفن، فيفالدي، شتروس، باخ، موزارت... إلخ). ولم يتمكن العدوان الأخير من قطع أو تعطيل هذا النشاط الذي يضرم الروح بجمر المعاناة. فثمّة واجب علينا ازاء المثقف العراقي كلّ تنصّلٍ منه نكران وجبن وتمحّل قيميّ.

أمّا الحديث عن تأسيس أدب حرب، فالواقع أن هذا الشكل الأدبي موجود ومتراكم كميّا ونوعيّا في المكتبة العراقية – كأحد منجزات الحرب العراقية – الإيرانية. ولكن بعد العدوان الكوني الأخير على العراق والذي استهدف المخيلة والحواسّ، أيضا بحيث خرجت تفاصيل العدوان على توقّعات مخيلة المبدع العراقي الذي كان أقل تشاؤما في رؤيته للوضع البشري، ممّا يستوجب إعطاء المخيلة وقتا للخروج من هولها أو إحباطها المؤقت واستيعاب غرائبية الواقع المستجدّ ومن ثم التحليق به إلى فضاء إنساني أرحب يلبّي طموحات المبدع العربي في العراق ورؤيته الحضارية المتفائلة بمستقبل البشرية. ولكن هذا لا يمنع من ملاحظة بدايات تململ أو خفق أجنحة لهذه المخيلة العملاقة التي يمكن تسميتها طائر الروح الكاسر لكلّ ما هو عاديّ أو متكلّس وبليد.

• **عرفناكم من خلال كتاباتكم في "الطريق الجديد" مثلا بداية الثمانينات، بعيدين عن الموقف العراقي آنذاك، بينما أنتم الآن تلتزمون تماما التجربة العراقية و"أم المعارك" تحديدا؟ فمن الذي تغيّر، أنتم أم العراق ؟.**

دفعا لأي لبس، أقرّ بأنّني ناهضت اغتصاب "الخميني" للسلطة في طهران منذ اللحظة الأولى، ربّما لأنّني كنت صديقا حميما لمنظمة (فدائيي خلق) الايرانية التي يعود اليها فضل انهيار عرش الشاه، وكان موقفي هذا سبّاقا للخلاف العراقي — الايراني الذي قامت عليه الحرب. فأنا موضوعيا كنت ضدّ الجانب الايراني، ولكن انتقاداتي لاشقائنا في العراق كانت تنصبّ على التعاطي مع المسألة الثقافية بمنطق بترودولاري، فكان طبيعيا أن ألتزم التجربة العراقية التي تغلبت فيها المبادئ والقيم الثورية على الظاهرة المرضية العابرة.

بتفصيل أكثر، نحن كنّا ضدّ الظاهرة الخليجية كظاهرة تبعية تآمرية إفسادية يجاوز خطرها شعبنا العربي العزيز في شبه الجزيرة العربية ونجد والحجاز إلى أقطار الأمة بأسرها، فهي ظاهرة استعمارية اصطنعها الأعداء لتقسيم الوطن العربي وتعطيل نهضتنا الحضارية القومية.

وجاءت أم المعارك لتأكيد صحة موقفنا الذي تبنّاه الشارع العربي في المشرق والمغرب.

أيضا كنّا ضد الظاهرة السياسية الدينية، وضدّ استغلال الدين لأغراض دنيوية، وقبل "أم المعارك" وقفنا إلى جانب المجتمع المدني في قطر تونس وكتبنا في جريدة "الحرية" ومجلة "7 نوفمبر" عدّة مقالات لفضح الهجمة الظلامية في وقت متوتّر كان خلاله كثيرون من الذين ينافقون لمجتمع المدني الآن يتهربون من تحمّل مسؤوليتهم كمثقفين متنوّرين على الأقل، وجاءت (أم المعارك) واصطفّ

السياسيون الدينيون إمّا خلف الكيان السعودي في حفر الباطن أو خلف المتربّص الايراني في صفحة الغدر والخيانة.

إذن وقفتي مع التجربة العراقية، هي وقفة مع ذاتي في لحظة تاريخية عظيمة، وأنا أفخر بهذا وأحمد الله على أنني عُرفت مع العراق الفقير المجاهد المحاصر، و لم أعرف مع عراق الطفرة البترودولارية.

وأعود إلى الجزء الأخير من السؤال لأقرّ بأن الظروف الموضوعية هي التي تغيّرت، فالعراق منسجما مع منطلقات قواه الحيّة وبرنامجها ومبادئها جذبنا من روحنا الجهادية وضميرنا القوميّ ومبادئنا الثابتة إلى موقعه ومشروعه الرائد. إن عراق صدام حسين كرمز هو خلايا الأمة الحيّة وكل تآمر عليه هو تحالف مع الموت ضدّ الحياة.

- **كيف ترى انعكاسات (حرب الخليج) على المثقف العربي، وكيف تفسّر اصطفافات المثقفين العرب عشية الحرب، وبعد وقف إطلاق النار ؟**

لقد أثبتت (أم المعارك) أنّ المثقفين العرب قلّة، أمّا المحسوبين عليهم من تقنيي المعرفة – كما يعبّر صديقي الأعز سليم دولة – فهم الكثرة التي لا يُعوّل عليها. والتي كان ولا يزال موقفها قطيعيًّا وغير ثقافي.

فكم من هذه الكثرة كان عشية الحرب يتظاهر مع عامة الناس ويخطب ويكتب بلهجة حماسية شعاراتية تدلّ على أنّه كان ينافق نفسه وينافق الشارع العربي الذي وقف ولا يزال يقف مع العراق وقائده الرمز صدام حسين رغم كلّ ما حصل ويحصل.

وللتدقيق أكثر في الأمر ألاحظ، آسفا، أنّ الشارع العربي وفي أقطار المغرب خاصّة

كان غير متعاطف مع العراق في حربه مع إيران، بل كان بعضه، وهو كثير متعاطفا مع إيران تحت تأثير (الثورة الاسلامية) التي لم تفقد بعد وهجها، في حين كانت الأنظمة العربية إلا بعضها القليل يقف إلى جانب العراق، وكان المثقفون العرب، إلا بعضهم القليل، يقف مع العراق بحماسة ويتوافد مئات المثقفين من كل قطر إلى بغداد كلما أعلنت عن احتفال أو مأدبة.

ولكن بعد العدوان الثلاثيني الغاشم على عراق المشروع الحضاري، انقلب الشارع العربي ضد إيران ودول العدوان الذي تواطأت طهران معه ووقف من الماء إلى الماء مع العراق وقائده الرمز، في حين وقفت الكثرة الطاغية من المحسوبين كمثقفين عرب مع أنظمتها المشتركة في العدوان أو المتواطئة معه بحيادها. ولم يقف مع العراق إلا القلة المؤمنة بذاتها الحضارية من المثقفين العرب الذين لم يكونوا يوما من المسرعين إلى "المرابط" الاحتفالية والمآدب التي تتوافر على "لقمة نظيفة" على حدّ تعبير الكثرة من "مثقفي مصر". في حين انقلب مداحوا (حراس البوابة الشرقية) والمعجبات بفروسية الجندي العراقي إلى توسل (لقمة نظيفة) أو (دولار وسخ) من مطبوعات الظاهرة الخليجية أو روافدها الفرسان و"الشام".

لكن "فرسان" الثقافة العربية و"نبلاءها الحقيقيين" ، مثقفي الأمة الذين يرفضون توسيع الولاءات الزائفة، والتضليل بتكريس الظواهر العابرة كأنها حقائق موضوعية ثابتة كالظاهرة القطرية والظاهرة الخليجية والظاهرة الدينية السياسية، أقول لكن فرسان الوعي العميق والخطاب القصووي الجريء هم الذين يسندون سارية الراية التي يرفعها عراق صدام حسين الرمز، خفّاقة صوب نصر مؤزّر على كلّ ما هو عابر مصطنع، ويكفي أن نذكر من هؤلاء : هشام جعيط، سليم دولة، المهدي المنجرة، عبد الإله بلقزيز، أنطون مقدسي وغيرهم حتى ندرك أن لشجرة المعرفة العربية الأصيلة جذورا لا تصل إليها سيول البترودولار مهما فلحت حول جذورها

وسكبت من مغريات تضليلية.

• **من 1973 إلى 1984 هناك نقلة نوعية في شعر هادي دانيال– من المباشراتية إلى الاختفاء وراء الصورة الجميلة. ماهي علاقتك بالثورة الفلسطينية وبياسر عرفات؟ وما هو موقفك من مسألة الطائفية في المشرق العربي؟.**

هذا سؤال مثلث. أولا لم أختفِ (وراء الصورة الجميلة) بل هذه الصورة هي أبرز تجلياتي الابداعية، أما ما تصفه بالمباشر فلا أعتقد أنه لم يوظف فنيا. ربّما حرصي على إيصال أفكاري وأحاسيسي كشاعر مناضل ومثقف عضوي أثّر على خياراتي الأسلوبية أحيانا. ثانيا : لا تربطني علاقة خاصة مميزة بالرئيس ياسر عرفات، فقد كنت أكتب إليه كلما اعترضتني مشكلة من خلال وجودي في مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية الإعلامية. ورغم أنه كان دائما كريما في الإجابة الايجابية، على كتبي، لكن أوامره التي يصدرها انتصارا لي إمّا أنها كانت لا تنفذ أو أنها كانت تنفذ بالمقلوب. وهذا ما جعلني خارج مؤسسات منظمة التحرير بعد أكثر من (14 سنة) من عمري وهبتها غير نادم للقضية الفلسطينية. وأنا على استعداد لوهب المزيد من عمري ولكن لمبادئ الثورة وليس للتوغّل في طريق تفضي إلى نقيض الأهداف التي انطلقت من أجلها، هذه الطريق التي بدأت من مدريد لتنتهي إلى الهباء.

أما ثالثا : فإنّ الطائفية مرض مشرقي يمعن أعداء الأمة في توفير ظروف استفحاله لأنّه السلاح الاستراتيجي الأمضى الذي به يطمئن الكيان الصهيوني على وجود أطول في فلسطين المحتلة، ولذا فإنّ مقاومة هذا الداء ضرورة وطنية قومية لا يمكن تجاهلها.

فالسياسة الاستعمارية القديمة – الجديدة هي تنفيذ شعار (فرّق تسد)، والطائفية عامل تفرقة فاعل ومضمون، وهنا نشير إلى أنّ ثمة مسعى حثيث إلى نقل هذا الداء إلى أقطار المغرب العربي، فالاستعماريون الجدد لم يعجبهم أنّ المغرب العربي خال من هذا الداء فيحاولون غرسه عن طريق بعثات تبشيرية تختفي خلف شركات استثمارية أمريكية خاصة، وقد انتدب من أجل ذلك بعض "المتأمركين" من أصول عربية، وتمكّن من التسلّل إلى بعض المنابر الرسمية مستخدما بعض الصحفيين من صغار المرتزقة، وذلك بهدف تسريب خطاب مفاده أنّ المسيحيين عرب، أو بشكل أدقّ يمكنك أن تصبح مسيحيا لو كنت عربيا، ويبرّر هؤلاء نشاطهم التبشيري المشبوه بأنّ ثمة من يشكك في عروبة المسيحيين، وواقع الحال أن هذا تضليل ومغالطة مفضوحة، فالعكس هو الصحيح لأنّ الحركات القومية العربية متهمة بأنّها من صنع المسيحيين في المشرق العربي.

لكنّ التبشيريّين بعد دراسة سوسيولوجية لمجتمعات المغرب العربي تيقّنوا من أنّ المواطن هنا يوحّد بين العربي والإسلامي، أي لا يمكن أن يتفهم أنّ ثمّة عربي غير مسلم أو مسلم غير عربي، وعلى هذه القاعدة تم التعاطف السابق مع الايرانيين في حربهم مع العراق. ولذا يحاول التبشيريون التمهيد لنشاطهم بإقناع الرأي العام في المغرب العربي بأن المسيحيين عرب، ويمكنك أن تكون مسيحيا وعربيا في آن معا، وهم بذلك يحاولون نشر الفتنة الطائفية في وعي جماعي لا يزال بريئا على هذا الصعيد، فالحذر الحذر.

- **شوارع بيروت، صنعاء، صيدا، قرطاج، عمان، دمشق، بغداد... لماذا عشقت التشرّد والحزن والركض خلف الظلال الكئيبة والتدثر بالمسافات، فهل أنت مسكون بالطفرة والشطحة والمستقبل الغامض، ومأخوذ بأحلام لا يمكن أن**

تشفى منها، أم أنّه يمكن اعتبارك شاعر الأرصفة؟.

كلاّ لست شاعر أرصفة، ولا شاعر شارع، أنا شاعر أمّة، نحو هذا الهدف أسعى، ولأنّ الأمة مجزّأة إلى أقطار تراني على الصورة التي وصفت أحيانا، إنما سأبقى مأخوذا بأحلامي وفي سعي دؤوب من أجل تحقيقها.

- **حين نقرأ أشعار هادي دانيال (قصائد الحرب، عشبة على حجر، يتشيكل الغيم في رحم المدينة، أناشيد النورس، بردى.. ووفود الجوع...) نستحضر الشنفرى، عنترة، ابن الورد، ثم نعبر إلى الأدب الواقعي مع بابلو نيرودا ونغوص في أعماق المعاناة اليومية للشعوب العربية، أين هادي دانيال من كلّ هذا؟.**

نعم أنا أستحضر في تجربتي الحياتية، كل قيم التمرّد والثورة الأصيلة، أستحضر الرجولة والفروسية والنبل والوفاء والتضحية التي تتجلّى عند الشنفرى وعنتره وابن الورد، والذين يجري تشويههم من طرف مسوخ واقع استهلاكي تدّعي الانتماء إلى أولئك العظام بما مثّلوه من قيم إنسانية عالية.
ويسرّني أن أذكّرك ببابلو نيرودا، فسأكون محظوظا لو أنّني حقّقت نجاحاته الابداعية والسياسية، لكنّني لا أخفيك أنّ روح أرنستوتشي جيفارا هي التي تلهمني عدم الانحناء وهي التي قرّبتني كثيرا من القائد صدام حسين الذي أراه جيفارا بعد أن بلغ سنّ الرشد، جيفارا في العالم/الغابة ولكنني متفائل بأنّ صدام حسين سيصل إلى الهدف الذي قضى جيفارا دونه.

- **قصيدة الرغيف (1984) – نزل سلوى – بغداد، قصائد جغرافية**

تصوّر الأحداث بشكل درامي، لكنها في الوقت نفسه غير بعيدة عمّا هو سياسي. كيف شهد هادي دانيال على أكل لحم آخر الشهداء وشرب معه؟.

نعم للمكان حضور ساطع في قصيدتي، فهو يدخل في عملية التخيل كنقطة انطلاق واقعية، فالمكان جزء من التجربة التي تعبّر عنها القصيدة، تجربتي الذاتية الموضوعية التي تعادلها كتجربة فنية إبداعية. وأنا تجربتي سياسية بالقوة الموضوعية رغم أنّني لم أنتم إلى فصيل أو حزب أو تنظيم سياسي، لكنني دائما كنت على تماس مع القوى الحيّة التي تحمل مشروعا ينهض بالأمة بغضّ النظر عن الحيّز الجغرافي الذي تتسمّى به القوة المعينة.

أنا دائما أشعر بأنني عربيّ فقط وهذا الشعور يملكني ويصوغ روحي، ولذا فأنا لا أشعر بغربة أو تطفّل حين أحوّل إبداعيا حالة تونسية، أو سورية أو لبنانية، أو فلسطينية، أو يمنية، أو عراقية... إلخ.

دائما أمضي بمثل هذه الحالات القطرية نحو أفق عربيّ أوسع كما يشير عنوان المجموعة الشعرية الأخيرة للزميل الشاعر حميد سعيد.

- **حين تلتحم المشاعر الإبداعية والإبداعات بين الشاعرة والشاعر وينجبا (المهند) هل يمكن الحديث عن انتفاء مصادر الإلهام الشعري عندهما من حيث أننا لم نعد نلمس الحدود الفاصلة بينها وبينه شعريا وإبداعيا؟.**

التجارب الشعرية الناضجة والمعبّرة بصدق عن تجارب حياتية وجوديّة أصيلة، دائما تتقاطع وتتشابه في ملامحها العامّة لكنها أبدا لا تتطابق.

فما بالك إن كان الأمر متعلقا بموهبتين تشتركان في عواطف متحدة وقراءات

واحدة وحياة يومية واحدة وهموم ذاتية وموضوعية واحدة، مع ذلك لا يمكن القول بتطابق نصي مع نصّ نجاة.

على الأقلّ ثمة اختلاف تقني فضلا عن الإحساس الأنثوي الزائد في نصّها... ناهيك عن خصوصية الذاكرة عندها.

على كلّ حال، لا يوجد شعر بدون مصادر إلهام، والحقيقة أنّ (مهنّد) لم يكن مصدر إلهام شعري لنجاة كما كان بالنسبة إليّ، ربّما لأنها عبّرت بطرق جسدية وروحية أخرى عن أمومتها ومشاعرها إزاء مهنّد، بينما أنا حوّلت هذه المشاعر إبداعيا.

أنا ألاحظ، وهذا يسعدني كزوج، أنني حاضر في شعر نجاة وربّما كمصدر إلهام أكثر من (مهنّد) وربّما من (أوراس) و(أوس)...

أحيانا نفاخر باستمرار حضورنا في مرتبة الحبيب عند امرأة واحدة بعد عشر سنوات من الزواج، خاصّة وأنّ المرأة شاعرة... وهذا يضاعف من غرورنا وعليه أن يضاعف من غرورها لأنّها عندي في المرتبة نفسها بل أعلى.

شكرا لأنك أتحت لي فرصة أخرى للتعبير عن حبّي المتزايد للشاعرة الساحرة نجاة العدواني.

حاوره في تونس : الحبيب الشابي

ونـُشِرَ في الأسبوعية التونسية (الوحدة)

بعددها الصادر في 1993/3/6.

الحديث عن حركة شعرية في تونس
مجاني وباطـــل

من اللاذقية، مسقط الرأس، إلى بيروت فاليمن وقبرص ثم المغرب والجزائر، وأخيرا تونس التي استقرّ فيها...

محطّات مرّ بها الشاعر السوري، هادي دانيال، في البحث عن مأوى، وعن قصيدة لم يكتبها.. زادُ الرحلةِ كان سَبْعَ مجموعات شعرية، وكتابات نثرية في هذه المطبوعة العربية أو تلك.

من بحر إلى بحر، ومن أرضٍ إلى أرض يصل الشاعر كالعادة متأخرا، فلا يجدُ في انتظاره غير بقايا رمادٍ وذاكرة للمواقد... المطفأة.

ولاَ من ينتظر..

هادي دانيال، في حديثه لـــ "الموقف العربي" يتبرّأ من "حركة شعرية في تونس"، ويحكي عن الكتابة..

• **فيم تلتقي القصيدة لديك بالحركة الشعرية في تونس – وفيم تفترق عنها ؟**

من طبعي أن أضلّل قصيدتي، فلا تسلك الطرقات المفضية إلى مخيمات الحركة الشعرية الصاخبة. عادة أصل متأخرا، فلا أجد أحدا بانتظاري، أتأمّل موقدا منطفئا، وآثار رماد تدلّ على حريق، تلاشى دخانه، ولهبه على ظهر وقتٍ مضى، ولم يمكث في الأرض غير فحم يدلّ على أن الحطب كان أشواك صحراء... وأحيانا يكون حطب حرائق الشعر، نشارة منجرة عصرية، أنى لها أن "تصمد" حتى يمرّ بها شاعر، يعيش ما تبقى من حياته، كأنه يلعب في الوقت الضائع!.
فقصيدتي نشأت أصلا خارج الحركة الشعرية في تونس بمخيلة، مهما لجمتها إغراءات الواقع والخطيئة الأيديولوجية، التي أغتسل وأتنظف من أدرانها، لا تزال قادرة على التحليق بعيدًا عن مستنقعات تنشر أوبئتها في "الحركة (؟) الشعرية (!) في تونس". ولذا أنا سعيد بغربة قصيدتي عن "حركة..." لم تقطع بعد إجازتها الطويلة، لتعود إلى الشعر!... راهنت على أصواتٍ شعرية متفرقة في تونس، ولا يزال الرهان قائما، لكن الحديث عن "حركة شعرية في تونس" مجاني وباطل، ولا مناسبة له الآن ومنذ سنوات.

• **المتأمل في مدوّنتك الشعرية، يلاحظ أنها تتوزع على محطات إبداعية، تنبئ كل مجموعة منها بمرحلة بعينها. فهل الكتابة لديك، وفق هذا الرأي، فعل تراكمي أم فعلُ تزامنٍ ؟.**

مهما يكن المنظور، الذي يحكم سؤالك، سأدلي بإجابة مريحة متحرّرة.. لأنّ الكتابة عندي فعل حر، أو هكذا أطمح، لأنها منذ المحاولات الأولى كانت صرخة تحدٍّ، ضد شتى المؤسسات والمظاهر القمعية، التي تحف بنمو طفل عربي مشرقي، كانت وسيلة وهدفا في الوقت نفسه لتحقيق ذات مهدّدة بالانسحاق، كانت متراسا وملاذا أيضا. صدقني لو لم أكتب — وبغض النظر عن القيمة الفنية والمعرفية لما كتبته — لوضعت حدّا لحياتي قبل أن أبلغ العشرين عاما من عمري. ولهذا، ربما تجدني أسارع إلى التجند مع كل حركة تحرر عربية، ولكن سرعان ما أضيق ذرعا، وأسعى إلى تحرير نفسي من "حركات" التحرر تلك. لأنّني أشعر بأن ارتباطي بحركة ما، تدعو إلى التحرر، تسوير لمخيلتي، وتحديد لآفاقي الوجدانية والعقلية.. باختصار، لا تزال الكتابة عندي فعل تحرر يقوم به إنسان مكبل، ولذا أشعر بأن مدوّنتي الشعرية ما تزال كمعظم المدوّنة الشعرية العربية، محاولات تكاد تلامس تخوّم الإبداع المرتجى...

- **يغلب على قصيدتك الاشتغال المضني على صفاء البلاغة المحدثة والصورة الشعرية المفارقة.. هل هذا دليل "طبع" أم مؤشر "صنعة" ؟**

باستثناء مجموعة "قصائد الحرب"، التي خضعت كليا لصنعة سياسية، فإن ما كَتَبْتُه من شعر، حتى آخر قصيدة لم أكملها بعد، هو شعر "مطبوع" من دون أن نغفل مدى تدخل الخبرة أو المهارة المكتسبة. فكل فنان هو صانع ماهر أيضا.. أو هكذا يجب أن يكون. فالسذاجة المنفلتة لا تعطي نصا إبداعيا، مهما أدهشتنا بعض شطحاتها. كلّ نص إبداعي بناء لا تتجلى هيئته أو شكله الفني المحكوم بهندسة

دقيقة إن لم ينهض على أسس لابدّ أن تكون راسخة، وإلاّ انهار البناء قبل اكتماله، أو فقد منافسته الضرورية لمقاومة الزمن...

- **لا يفلت أي نص إبداعي من نصوص حاضنة وسياق تخيلي.. فماهي النصوص الغائبة، التي ما تنفك تتردد على ذاكرتك قبل الكتابة وخلالها ؟..**

ربما فاجأتك هنا، لأنه لا يتردد على ذاكرتي قبل الكتابة وخلالها سوى القرآن الكريم.. هذا ما يحدث الآن، أمّا قبل هذا التاريخ، فإنّ نصوصا شعرية نموذجية كثيرة، تدخّلت بهذا القدر أو ذاك، في تشكل نصّي الإبداعي، وتحديدا على المستوى التقني.. فمثلاً كنتُ في محاولاتي الأولى عام 1973 تحديدا، أكتب تحت تأثير مناخات محمد الماغوط، بينما أستفيد تقنيا من نص ممدوح عدوان، وكما تعلم، فإنّ نص الماغوط غير الموزون والمقفّى والخالي من التفعيلات، يُعتبر على النقيض من نص عدوان القائم على التفعيلة والوزن والقافية.
أمّا الآن، فأنا قارئ رواية بالدرجة الأولى ولا يسيطر على ذاكرتي أي نص شعري كنموذج.. مع احترامي لمنجزات شعرنا العربي القديم والحديث.

حاوره في تونس : مختار الخلفاوي

ونُشِرَ في مجلة "الموقف العربي" الصادرة في قبرص، العدد 463، السنة العاشرة، الاثنين 4 – 10 آذار 1991.

كي أراهن على الحركة الشعرية في تونس

الشاعر السوري هادي دانيال مقيم بتونس منذ مدة طويلة، وتربطه علاقات صداقة ومودة بالكثير من شعراء بلادنا. هذا الحوار تَـنـَـاوَلَ تجربة الشاعر ورأيه في الحركة الشعرية التونسية عمومًا... رأيٌ فيه كثير من الجرأة والصراحة :

- **بطاقة تعريفك الشعرية ؟.**

قبل عشرين عاما استيقظت من نومي بعد منتصف ليلة مقمرة. لأسجّل على كرّاس مدرستي أول محاولة شعرية فاضت عن مخيلة طفل لم يجاوز عامه الرابع عشر، وكان يتملكني شعور طاغ بأنّ موعدا مضروبا لي مع الموت قبل أن أنهي عامي العشرين، بعدها تعدّدت محاولات شتّى للتعبير عن ذات دَهَمَهَا قلق مبكّر، تارة بالألوان المائية وثانية بالغناء بين البراري الجبليّة الخضراء وثالثة بكتابة القصائد القصيرة. وحين أرسلت محاولاتي الشعرية تلك إلى الصحف المحلية كم سرّني نشر بعضها، لكنني في فورة غضب يائس مزّقت كلّ تلك المحاولات المنشورة، فتوقّفت أشهرا عن الكتابة أتجوّل على أرصفة العاصمة وأقرأ كتبا شعرية وروايات مترجمة في الحدائق العامة. وفي بداية عام 1973 عاودتني الأحلام الشعرية، كم من قصيدة كتبتها نائما وأفقْتُ لتسجيلها على الورق، وبعض هذه القصائد ضمّتها مجموعاتي الشعرية

الأولى، وفي النصف الأول من السبعينات عرفت أحلام يقظة عديدة صغْتُها شعرا، أهو اشتعال المخيّلة الذي حاولت القبض على لهبه بالكلمات؟. إذن منذ عام 1973 اخترت الشعر وسيلة وحيدة للتعبير عن ذاتي وطريقا ساحرة إلى خلود قد أفنـي جسدي قبل ملامسة تخومه...
أنا ولدت عام 1956 في قرية من الساحل السوري، وحتى الآن اقترحت على زمن الشعر سبعة كتب شعرية صدرت ستّة منها في بيروت وواحد في تونس.

- **جديدك الشعري ؟.**

أستعدّ لإصدار ثلاث مجموعات شعرية، ولكن الأهمّ أنني أحاول إدخال تجربتي في منعطف جديد بكتابة نصوص شعرية تفيد من إنجازات القصيدة العربية منذ العصر الجاهلي إلى الآن في إطار بحث دؤوب عن أسرار تقي نصّي الشعري من التلف والصدأ، وتمكّنه من مقاومة ناجعة لغبار الزمن الخانق. بصراحة أريد أن تكون قصائدي جديرة بالحفر على لوح محفوظ.

- **أبرز محطّات ترحالك هي : دمشق، بيروت، الجزائر، بغداد، صنعاء، عدن، تونس، والرباط، ماهي الحركة الشعرية الأكثر نشاطا في تلك الأمكنة ؟.**

من المعروف تاريخيا أنّ الشعر العربي بعد اقفال سوق عكاظ، غادر رمال الجزيرة العربية، ليتبوّأ مكانة عالية ويلعب دورا إبداعيا ومعرفيا خطيرا في الحضارتين الأموية والعبّاسية في سوريا والعراق ناهيك عن دورهِ السياسي والاجتماعي. وشهدت بلاد الشام وبلاد الرافدين تنافسا بديعا وخلاّقا في تفجير ينابيع الشعر منذ ذلك التاريخ. ولذا من الطبيعي أن تكون سوريا والعراق ولبنان وفلسطين وطنا واحدا

لفحول الشعر العربي وأرحاما شقيقة تلد ينابيعه الكبرى. فعبر تاريخ الحركة الشعرية العربية منذ العصر الأموي لن يستوقفنا شاعر خارج بلاد الشام وأرض الرافدين باستثناء شعراء مصر : أحمد شوقي، حافظ إبراهيم، علي محمود طه، أبو شادي، صلاح عبد الصبور، وأمل دنقل من مصر. عبدالله البردوني وعبد العزيز المقالح من اليمن، وأبو القاسم الشابي، ولكنّ الثمانينات ن هذا القرن شهدت نهوضا شعريا في أقطار عربية كاليمن وتونس والبحرين لا يمكن تجاهلها بعد الآن.

- **في تونس، كيف تقيّم الحركة الشعرية ؟.**

لقد اقترحت الحركة الشعرية التونسية أسماء أخرى بعد الشابي، لكنّها سقطت في فخاخ التقليد والمفهوم التقليدي للشعر على أنّه كلام موزون مقفّى، فالرؤية الشعرية تراجعت عن رؤية الشابي عوض أن تطورها أو تجاوزها. والذي لجم الحركة الشعرية هنا ارتطامها بجدار مصطنع سمّي حركة "غير العمودي والحر" أقامته فئة من المثقفين المنبهرين بالثقافة الفرنسية والمصابين بفقدان المناعة الفكرية والحضارية المكتسبة والمعادين للثقافة والآداب العربية تارة باسم الماركسية اللينينية وتارة أخرى باسم التأصيل لكيان تونسي منفصل عن محيطه ومنبّت عن جذوره العربية وينادي بمقولة "الأمّة التونسية"، وقد صبّ التياران في المجرى الفرنكفوني اختيارا أو عن غير قصد، وليس مصادفة أن تكون منابر اليسار التونسي ومجلة "الفكر" التي كان يصدرها السيد محمد مزالي ويرأس تحريرها الأستاذ البشير بن سلامة ومجلة (إبلا) والمؤسسة التي يصدرها (معهد الآباء البيض) أكثر المتحمسين لتجربة (غير العمودي والحرّ). وهنا نتساءل عن أسباب تراجع مجلة (فكر) في سنواتها الأخيرة عن تشجيع تجربة (غير العمودي والحرّ) وتعصّبها لدرجة المغالاة

للبحور الشعرية وأوزان الخليل بن أحمد الفراهيدي، فهل انعطفت نحو ذلك في محاولة للانسجام مع حمل صاحبها لواء التعريب وزركشة خطبه الرسمية بمفردات من نوع "العروبة" و"الإسلام" وغيرها من الشعارات التي لا يستند رفعها إلى قناعات عقلية ووجدانية بقدر ما يستند إلى تودّد أساسه المصلحة ومظهره الحرص على التفتّح عربيا وإسلاميا.

ولكن من حسن الحظ تمكّن شعراء تونس منذ مطلع الثمانينات من وصل ما انقطع مع الحركة الشعرية العربية المعاصرة على صعيد الرؤية الشعرية، والبنية الإيقاعية، والصورة الشعرية للقصيدة.. فبرزت أسماء شعرية تونسية استطاعت عن جدارة لفت الانتباه إلى نَتَاجها تونسيا وعربيا وعالميا أحيانا، وأبرز هذه الأسماء : المنصف الوهايبي، محمد الغزّي، خالد النجار، محمد الصغيّر أولاد أحمد، المنصف المزغني، إضافة إلى ثلاثة شعراء تونسيين التحقوا بالحركة الشعرية المشرقية فأثروا بها وتأثروا منذ السبعينات وهم : الطيب الرياحي، محمد خالدي، ومحمد علي اليوسفي.

وهذه الأسماء ما فتئت تزداد تطوّرا وتجاوزا لتجاربها وتجارب غيرها في الأقطار العربية الأخرى، وترفدها بين الحين والآخر أسماء أخرى واعدة وصاعدة.

باختصار، كي أراهن على الحركة الشعرية في تونس، يجب أن يدرك رموزها معي أنّهم شعراء اللغة العربية وأن يزداد إحساسهم بالمسؤولية تجاه نصوصهم، ويجب أن لا يتردّدوا في منافسة الشعراء الآخرين العرب خاصّة كي تفاخر تونس بأكثر من الشاعر المجيد أبي القاسم الشابي.

حاوره في تونس : الحبيب بن فضيلة

ونُشِرَ في صحيفة (البيان) التونسية الأُسبوعية

بعدد الاثنين 22 أكتوبر/تشرين الأول 1990.

- **مثل هذه الملتقيات ماذا يمكن أن تضيف لك ؟.**

وجودي في هذا الملتقى يقدّم له، صوتًا شعريّا أعتقد أنّه مختلف عن الأصوات الشعرية التونسية وهذا الاختلاف ناتج بالضّرورة عن اختلاف التجربة. وما أطمح أن يقدّمه إليّ هو التعرّف على أصوات وحساسيّات شعرية لم تتح لي سابقا فرصة التعرّف عليها.

- **شعر التحريض، ألا يمكن اعتباره شرًّا "القصد ابداعيّا" لا بدّ منه؟.**

تسمية شعر التحريض خاطئة أساسًا، يمكن القول هل للشعر وظيفة تحريضية ؟ أنا أعتقد أنّه عندما تتحقق الشعرية في النصّ لا نفكّر بوظائفه، أي لا يمكن أن نحدّد وظيفته الشعرية مسبّقا، مشكلتنا ليست في وظائف الشعر بل في الوصول إلى الشعر.

- **ولكن ألا تعتبر أنّ لشعر الحرب، لشعر المقاومة عمومًا وظيفة تاريخية ؟.**

مثل هذه القصائد التي تصرّ على تسميتها بالتحريضية، أنا أنفي عنها صفة الشعر، ما تبقّى من شرف تناله أنا لا يهمّني (!!!) الذي يهمّني هي القصائد التي استطاعت أن تفعل في العملية الثورية أو التحررية بقوتها الفنيّة لا بالإتكاء على المزاج القطيعي.

- **خلال غزو لبنان سنة 82 حاول كل من سعدي يوسف ومحمود درويش تنظيم لقاءات لبحث مسألة الجبهة الثقافية التقدمية، إلى أين وصلت التجربة ؟.**

رأيي في مثل هذه المحاولات أنها ابنة لحظات خاصة. وليس لها أفق استراتيجي والذين أطلقوها ما عادوا منشغلين بها واكتفوا بأن علّقوها على مشاجب الأنظمة كالعادة.

- **لم تجب بعد عن الوجه الآخر للسؤال وهو جدوى ودور هذه الجبهة ؟.**

مهام هذه الجبهة يفترض أن تقوم بها اتحادات الكتّاب العربية. علما أنّ جميعها ليست اتحادات رسمية، لذلك أصرّ على أن تقوم الاتحادات بمهامها على هذا الصعيد، لأن كل محاولة خارجها مضيعة للوقت كما تفيد التجارب وموظفة إعلاميا لصالح هذا الشخص أو ذاك.

حاوره عبد الجبار العشّ

وَ نُشِرَ في نشرية (إبداع) الأيام الشعرية الثالثة بصفاقس 1990/7/17.

عصر السرعة أنتج الأميين والجهلة

ربما قليلون هنا يعرفون الشاعر السوري، هادي دانيال، المقيم بتونس.. لكن المغاربة هناك يعرفونه جيدا.. هو الآن يستعد لإصدار ثلاثة دواوين شعرية جديدة ليصبح مجموع ما صدر له تسعة دواوين وصلت به إلى قناعة ما في أن على الشاعر أن يكتشف طاقاته كفرد فاعل خارج المجموع..

هادي دانيال مصر على أن قصيدة العصر العربية لم تكتب بعد.. لكنه يقول أنه ليس علينا أن ننتظر قرنا آخر لنكتبها.

التقيناه في أحد مقاهي شارع بورقيبة في تونس العاصمة. وكان هذا الحوار :

- **من هو هادي دانيال ؟.**

ولدت في قرية كفرية من محافظة اللاذقية السورية بتاريخ 1956/4/4 وغادرت الأراضي السورية نهائيا إلى بيروت عام 1973 وبقيت فيها حتى عام 1982

أعمل في الصحافة الثقافية. ومن ذلك التاريخ حتى الآن تنقّلت في عواصم عربية وأجنبية عديدة: صنعاء، عدن، بغداد، الجزائر، الرباط، تونس، بلجراد، ونيقوسيا.
عام 1983 تزوّجت من الشاعرة التونسية نجاة العدواني، ورزقنا بثلاثة أطفال : مهنّد، أوراس وأوْس.
أصدرت حتى الآن سبع مجموعات شعرية وكتابا نثريّا واحدا. وهي على التوالي :

- بردى.. ووفود الجوع، شعر بيروت 1973
- أناشيد النورس، شعر بيروت 1978
- رؤى الفتى.. شعر بيروت 1980
- سداسية تغريد البطمة، نثر 1981 بيروت
- غليون لتدخين الأحلام، شعر 1982 بيروت
- قصائد الحرب، شعر بيروت 1982
- يتشكل الغيم في رحم المدينة، شعر تونس 1985
- عشبة على حجر، شعر بيروت 1986

أستعد الآن لإصدار ثلاث مجموعات شعرية جديدة. هذا فضلا عن كتابات نقدية ومقالات سياسية لم أحاول جمعها في كتب. لكنها نُشرت في الصحافة العربية.. علما أنها تقارب الخمسمائة مقالة أدبية وسياسية. وقد جاوزت كتاباتي النقدية الأجناس الأدبية لتشمل الأجناس الفنية المختلفة : فن تشكيلي، موسيقى، مسرح وسينما.
أقيم الآن، و إلى أجل غير مسمّى في العاصمة التونسية.

- **إلى أي مدى أفادتك رحلاتك المكوكية بين دول المغرب العربي ؟.**

إفادتي من هذه الرحلات التي أسميتها مكوكية، كانت على مستويين ، الأول : تغذية الذاكرة بمعطيات الأمكنة الثلاثة التي عشت فيها مقيما لفترات زمنية طويلة نسبيًا : تونس، الجزائر والرباط.
وبصراحة كنت أقيم حواري باستمرار مع الطبيعة ومظاهر المدنيّة المغاربية المتأرجحة بين آثار الفتح الإسلامي، والاستعمار الفرنسي لأن علاقتي المباشرة مع الناس كانت قوية في تونس وشبه منعدمة في الجزائر ومنعدمة في الرباط. ففي تونس امتزجت وجوه الناس بملامح المدينة في ذاكرتي. أما في الجزائر والرباط كأنّني كنت سائحا أنظر إلى الناس فيهما وكأنهم مجرد ديكورات متممة للمشهد الطبيعي.. ولذلك تجد في مجموعة "عشبة على حجر" حضورا قويا لمواطنين تونسيين ولمظاهر الواقع التونسي في حركته السياسية والاجتماعية وتمظهره السياحي.

- **كيف ترى الحركة الأدبية في هذه الدول ؟.**

أما الحركة الأدبية وهذا هو المستوى الثاني - فهي ليست واحدة في العواصم المغاربية الثلاث. ففي الرباط تطغى الترجمة من الفرنسية إلى العربية والمحاولات النقدية التي تحاكي حركتـــيّ النقد والتنظير الفرنسيتين على إبداع النص الإبداعي. فالشعر مثلا في المغرب إذا استثنينا محاولات محمد بنيس، مليكة العاصمي، عبد الله راجع، ومحمد الطوبي. وهي كما قلت محاولات لا ترقى إلى مستوى الحركة الشعرية الفاعلة. لا يبقى ما نشير إليه.

وفي الجزائر، المشهد الشعري أكثر قتامة، فالعلاقة مع اللغة العربية ضعيفة جدّا. وما نشر من نتاج شعري باللغة العربية (موسوم) بالركاكة والتقريرية والخطابية الفجة ومسربل بالأخطاء النحوية والإملائية والتراكيب المترهلة على صميم الجملة التعبيرية، ناهيكَ عن الأخطاء المطبعية الكارثيـــّة. إلا أنّنا نذكر هنا أصواتا واعدة حقّا : حمري بحري، أزراج عمر، عياش يحياوي، وربيعة الجلطي... وحرز الله بوزيد؟.

لكن نشير إلى أن الشعر المكتوب بالفرنسية في المغرب (عبداللطيف اللعبي، الطاهر بن جلّون...مثلا) وفي الجزائر (مالك حداد. على سبيل المثال أيضا) كان ولا يزال الشهادة الايجابية على الشعرية في هذين القطرين.

في تونس يختلف الأمر نسبيّا. حيث اندفعت منذ أوائل الثمانينيات حركة شعرية باللغة العربية فعلت في الساحة الثقافية التونسية، وتمكنت من رفد الشعر العربي المعاصر ولو بجداول نحيلة، لكنها لافتة، فتعرف القارئ العربي على أسماء : محمد الغزي، المنصف الوهايبي، محمد الصغير أولاد احمد، نجاة العدواني، آدم فتحي، يوسف رزوقة، محمد العوني، عبدالله مالك القاسمي، وقبلهم ثمة أصوات صمت بعضها وبهت البعض الآخر : محي الدين خريّف، منوّر صمادح، الميداني بن صالح، نورالدين صمّود، محمد المصمولي، والطيب الرياحي، وزبيدة بشير، و.. فردوس مامي. كما أنني أشير إلى أصوات واعدة جديدة، فتحي النصري، الحبيب الهمامي، محمد رضا الجلالي.. وزهرة العبيدي.

والأرجح أن لاعتداد تونس بشاعر كبير هو أبو القاسم الشابي، الأثر الكبير في عدم جفاف ينابيع الشعر التونسي، فكان الجذع الأخضر الذي ما فتئ يخرج إلى النور أفنان شعر مورقة بعضها يزهر ويثمر وبعضها الآخر يدهمه اليباس باكرا.

- **كشاعر، ماذا تمثّل القصيدة بالنسبة إليك ؟.**

القصيدة هي مشروعي الوجودي، فيها أحقق ذاتي، وعليها وحدها أعلق آمال خلودي في الزمن.. وليكن زمن الشعر.

فقصيدتي تحمل أفكاري في تحولاتها. وحياتي الشخصية أو سيرتي الذاتية في غناها أو ضحالتها، وهي أداة التعبير الوحيدة التي أدّعي امتلاكها، بها أكون فاعلا وجديرا بالمساهمة كفرد عربي في البناء الحضاري المنشود.

- **هل تعتقد أن ولوج عصر التكنولوجيا قد سحب البساط من تحت الشعر أم أنّ الشعر خالد أبدا ؟.**

على عكس ما يتوهمه البعض ويشيعه فإن عصر التكنولوجيا هو عصر الشعر الذهبي. ولكن طبعا الشعر القادر على تلمّس الجوهريّ عند الإنسان. فالشعر درع الحياة الوجداني أمام هجوم المادة وابتذالاتها التي تلوث المحيط الطبيعي والقيم الإنسانية والروحية. الشعر الذي يكون واحات ظليلة للروح في صحراء التكنولوجيا التي تطارد بغيلانها المعدنية والكيماوية النّهمة نبض الحياة الإنسانية.

الشعر باقٍ طالما ثمة إنسان يحيا على وجه الأرض. قد تنقرض القصيدة، كشكل متعارف للشعر، لكنه سيتقدم ليحتل حيّزا هاما في أشكال إبداعية وفنية أخرى، كالرواية والشريط السينمائي.. الشعر خالد أبدا.. نعم.. ووجوده الفاعل مقترن بوجود الإنسان ككائن حي بأحاسيسه ومشاعره.. حياة بلا شعر وأحاسيس تعني موتا محققا. وثق أن الشعر مقياس حضاري أرقى من لمقياس التقني (التكنولوجي). ولكن ليس الشعر الذي أعني ذلك الكلام الموزون المقفى. إنما الإشراقات الإنسانية

التي تصدر عن مخيلة خصبة ووجدان حي وفكر معرفي خلاق.. أوضّح أكثر : الشعر خالد بأشكال متعدّدة لم توجد عبثا بل تَوَسُّلاً لتجلّ أدق وأعمق لأحاسيس نبيلة وغير عابرة.

- **هل مازالت في رأيك قضايا الشعر التقليدية مطروحة في عصر الفيديو؟**

علاقة الشعر بالفيديو تنحصر بافتراض نشوء علاقة ما بين الصورة التي يقدمها جهاز الفيديو للمتلقي السلبي والصورة التي يقدمها الشعر للمتلقي الايجابي.
صورة الفيديو غالبا تحشو الذاكرة وتخدّر المخيّلة، صورة الفيديو جاهزة على المتلقّي أن يستقبلها دون أن يشارك في صياغتها أو تشكيلها ولذا فإن دورها سلبي.
الصورة الشعرية التي نبنيها بالكلام تحرّك مخيّلة المتلقّي وتنشطها لاستقبال الصورة الشعرية والمشاركة في تشكيلها قبل إيداعها في الذاكرة.. لذا فهي إيجابية.
مشاهد الفيديو يستهلك الصورة الجاهزة التي نادرا ما تكون مدهشة. لكن متلقي الشعر المبني بالصورة يكون بدوره مبدعا وليس مجرّد مستهلك.. ولذا يلعب الشعر دورا إيجابيًا في تنشيط المخيلة.. وعندما تنشط مخيلة المتلقّي العربي ينعكس ذلك على اتساع أفقه وخياله مما يساعده على الابتكار في مجالات الحياة المختلفة، العلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية..إلخ.
ولكن بالتأكيد تختلف أغراض الشعر باختلاف مقتضيات العصر، فالقضايا التقليدية تغيب عن الشعر إن كانت غائبة عن الحياة المعاصرة.. والشعر يتحمل لعب دور ريادي بعيدا عن المدح والهجاء والاخوانيات.. إنه يرفع راية الكشف واستقراء المستقبل بالحدس والمخيلة المبدعة. لكن ثمة قضايا ظلت عالقة ومطروحة منذ بدء الخليقة لا يمكن للشعر غير أن يراودها مجددا برؤى جديدة.. فما هو جوهري من

القضايا يبقى مشعًا أبد الدهر يقلق الإنسان بالأسئلة التي لم تجد إجابتها الناجعة حتى الآن.

- **القارئ العربي متهم بأنه لا يقرأ، فهل تعتقد أنه ابتعد عن الشعر أم أن العلاقة بينهما جدلية ؟.**

إن جميع الأجهزة الإعلامية المسموعة والمرئية عاجزة تماما عن الحلول النهائي محل الكتاب، إلا في المجال الاخباري اليومي، وهذا المجال أيضا لم يستطع طمس الحيز الباقي للكتاب التاريخي.
فالكتاب ثمرة تأمّل وتفكّر وتخيّل، والكلام يفتح الفكر والمخيّلة على فضاءات تغلقها الوسائل الأخرى.
ما يسمى بعصر السرعة أنتج في العالم أجمع ملايين الأميين والجهلة. وبالتالي حرم البشرية من جهد عقلي كان يمكن أن يتقدم بالحضارة البشرية خطوات أخرى. الاستهلاك الإعلامي السريع حوّل الناس إلى قطعان تعيد الأجهزة التقنية صياغة عقلها ووجدانها في قوالب قابلة للتعفن.
ولذا نحن الآن نعاني من مخاطر التعفنات المعرفية والروحية التي تسببت بها الاستخدامات الإعلامية للتقنية.
إن دور التقنية الإعلامية في صياغة الرأي العام صياغات مفبركة إزاء قضايا الشعوب مثلا دفع العالم إلى حافة كارثة حائرين في كيفية ردها.

- **الخلاصة أين نُنَزِّلُ الشعر من هذا كله؟.**

النص الشعري عصيّ على التقنية الإعلامية، لأنه موجه إلى المخيلة لا إلى الذاكرة مباشرة. المشاهد والمستمع تعوّد استهلاك مادة إعلامية سطحية وغير مزعجة. مادة يتلقاها بكل سلبية وتراكمها يحدد بوصلة وعيه وأحاسيسه تجاه جميع القضايا المطروحة. لذا، لابدّ من يقظة حضارية تعيد الاعتبار إلى القراءة، وبالتالي تصحح العلاقة بين القارئ والكتاب عموما، والكتاب الشعري خصوصا.

وبصراحة بدون إعادة الاعتبار إلى الكتاب كمصدر أساس للمعرفة العقلية والوجدانية، الفكرية والشعورية.. لا أمل في تحقيق نهضة حضارية ليس عند العرب فقط، بل عند مختلف شعوب العالم.

فالتضخم التكنولوجي عند الغَرْب، كما نعلم جميعا صار عبئا، يدعو القوى العظمى إلى السعي الحثيث للتخفف منه وتدارك مخاطره. لأنّ التضخم التقني بدون حصانة وجدانية وروحية لا يعني غير اغتيال للحياة على هذا الكوكب على أيدي الناس الأحياء تحديدا.

إذن نحن كشعراء نراهن على عودة القراء إلينا بحثا عن خلاصهم من الفخاخ التي دفعتهم إليها التكنولوجيا.

- **كيف ترى، كشاعر عربي واقع الحركة الشعرية العربية، وكيف يمكن أن تكون في مستوى التطورات التي تعيشها الساحة العربية ؟.**

مشكلة الساحة العربية أنها لا تزال موبوءة ببؤر التوتر. والشعر كنشيد سلام لا يزال موظفا كحادي حرب. هذا أول خطر يتهدّد الشعر.

إن المخطط الذي حاكته الأيدي الشريرة ينص على أن تبقى الساحة العربية ساحة وغى بين العرب أنفسهم من جهة وبينهم وبين الشعوب المجاورة لهم من جهة ثانية

وكما هو معلوم فإن الكيان الصهيوني باعتباره يتغذى على الجثث والدماء يسعى دائما إلى ابقاء المنطقة العربية في حالة اللاحرب واللاسلم.

ولذا نبعثر طاقات أمتنا، ومنها الطاقة الشعرية، في اتجاه واحد : الحرب. أنا لا أؤمن بنهضة شعرية في ظل كابوس الحرب.

الآن توفرت للعرب شروط خوض حرب ضد استمرار حالة اللاحرب واللاسلم، فعليهم أن يضغطوا باتجاه تحقيق السلم النهائي ولو بحرب فاصلة تكسر شوكة الشر الصهيونية وتجبر، اسرائيل، على نزع فتيل الحروب كلها من المنطقة.

الحركة الشعرية العربية مطالبة أن تضغط في هذا الاتجاه، لا مجال للنواح والبكاء بعد الآن. التطور الحضاري يجب أن يكون شاملا وإلا وقعنا في التمحّل الروحي.

علينا المحافظة على طاقاتنا الروحية الخلاقة جنبا إلى جنب مع امتلاك السلاح التقني الدفاعي، وهذا حق مشروع.

حركة الشعر العربي الآن يمكنها أن تفاخر بمواهب كبرى، خاصة في المشرق العربي والمهجر. المفروض أن تتلمس طريقها الصحيحة بعيدا عن النرجسية المرضية.

لقد نهضت المواهب الشعرية عندنا منذ منتصف القرن على ضفاف الهزائم والنكبات والقضايا الخاسرة، كما ينهض زهر النرجس على ضفاف المزابل.

على الشاعر أن يكتشف طاقاته كفرد فاعل خارج القطيع. نحن بانتظار قصيدة العصر العربية، فمن سيكتبها؟ وبأي شكل فني يا ترى؟.

حاوره في تونس : عبدالرحمان سلامة

نُشِرَ في العدد 9530 الصادر يوم السبت 21 تموز 1990

من جريدة "البلاد" السعودية.

الشعـر العـربي أمام مهـام تـاريخيـة

الشعر العربي في سوريا عرف اتجاهات متعددة حيث أنجبت سوريا العديد من كبار الشعراء سواء في العصور القديمة أو الحديثة. أعلن ذلك الشاعر السوري الشاب هادي دانيال في حديث خاص لـــ "اقرأ".

ومضى يقول : إن الناشرين يتحايلون على نشر إنتاج الشعراء وبالتالي يتهربون من الالتزام بالحقوق المادية والأدبية أيضا.

والشاعر هادي دانيال صدرت له عدة مجموعات شعرية منها "بردى.. ووفود الجوع" و "أناشيد النورس"، و"سداسية تغريد البطمة" و"عشبة على حجر" وغيرها من الأعمال التي يستعد الآن لطبعها.

خلال الحوار التالي نتعرف على الشاعر هادي دانيال وأفكاره وأطروحاته الشعرية.

• **حول أبرز اتجاهات الشعر السوري يقول** : إن لسوريا فضلاً كبيرًا على الشعر العربي قديمه وحديثه، فقد أنجبت ولا تزال العديد من الشعراء الكبار قديما وحديثا.

• **ويضيف** : إن التوجه الأكثر حظا في شعرنا هو كتابة النص الشعري الشامل و المفتوح على أحاسيس ورؤى وأفكار عديدة متشابكة ذاتية وموضوعية.

• **من خلال وجودك في المغرب العربي. هل ترى تواصلا بين شعراء المنطقة بأشقائهم في المشرق ؟.**

بصراحة، الأمر مختلف من قطر مغربي إلى آخر، في الجزائر لا يزال الشعر المكتوب باللغة العربية يحاكي تجارب الخمسينات المشرقية والقائمة تحديدا على التفعيلة والتقريرية الممزوجة بالشعار السياسي، بينما في المغرب ثمة هروب إلى شكلانية جوفاء تزيدها ارتباكا علاقة ضعيفة باللغة العربية. لذا، يبقى الشعر في تونس أكثر اتصالا بالشعر في المشرق. ربما يعود هذا إلى أساس متين أرساه الشاعر الكبير أبو القاسم الشابي الذي عُرِفَ شعره في المشرق قبل أن يُعرف بين مواطنيه الذين يعيشون معه.

• **هناك من يعتبر أن الشعر العربي سجل تقهقرا مفزعا هذا الأيام أمام الألوان الإبداعية الأخرى مثل القصة والرواية والمسرح. ما هو رأيكم ؟.**

لو انطلقنا من مكان نعرفه كتونس، لرأينا أن المسرح والفن التشكيلي والسينما فنون متقدمة على الشعر لأنها وجدت حلاً لإشكالية اللغة الإبداعية، ففي المسرح

التونسي نلاحظ غيابا فادحا للنصّ المسرحي باللغة العربية الفصحى، وتعويضه بالاعتماد على حركة جسد الممثل والاضاءة والاكسسوارات المسرحية، وفي الفن التشكيلي لا مكان لغير الخطوط والألوان، وفي السينما تتكلم الكاميرا، والسيناريو باللهجة الدارجة.

لكن، إذا قارنا حال الشعر بحال القصة والرواية، فأعتقد أن الشعر في تونس هو المتقدم كمّا ونوعا. وعلينا أن لا نقيس بالرداءات التي يمكن ملاحظتها في جميع الفنون والأجناس الأدبية، لكننا لا يمكن أن نتجاهل أن الشعر هو الأوفر حظا في الإنتاج والرواج، وغير هذا الكلام إشاعات ناشرين جشعين يتعيشون من طباعة الشعر ويتنكرون له فقط للتحايل على حقوق الشعراء.

- **ما هو مدى اطلاعك على حركة الشعر في الخليج العربي وفي المملكة العربية السعودية بالذات؟.**

لأسباب تتعلق بتوزيع الكتاب ربما، اطلعت فقط على الحركة الشعرية في البحرين، وقرأت باهتمام خاص نتاج الشاعرة الموهوبة حمدة خميس التي نتساءل عن غياب نتاجها الشعري عنّا في السنوات الأخيرة، ومن البحرين أذكر ثلاثة شعراء نتابع نتاجهم في المجلات العربية التي تصلنا، وهم : علي الشرقاوي وعلوي الهاشمي وقاسم حدّاد.

وعن الحركة الشعرية في المملكة العربية السعودية بكلّ أسف، لم أطلع سوى على قصائد قليلة للشاعر الراحل الزمخشري "بابا طاهر" ولقد أعجبتُ كثيرا بأعماله – ونصوص أقل لكل من خديجة العمري ومحمد الحربي، لذا لا يمكن تكوين رأي لعدم الاطلاع الكافي على الأدب السعودي بسبب توزيع كتاب الشعر السعودي.

- **على ضوء تجربتك الشعرية. ما هو رأيك في مستقبل الشعر في الوطن العربي؟.**

يجب أن يكون الشاعر متفائلا بمستقبل الشعر، وواثقا من فاعليته حاليا وفي المستقبل وإلا عليه أن يكف عن كونه شاعرا.

في الوطن العربي ثمة حاجة ملحة إلى الشعر كمنشط للمخيلة، وكمرآة حضارية. بدون شعر لا تطاق الحياة، تصبح قاتمة وجافة، والشعر لا يصنع الأمل فقط، إنما يساعدنا على صيانة واقع مواز في الخيال، قد تصحّ تسميته : الحلم، وعندما نتمكن من أن نحلم بمخيلة ذكية معافاة من كل دخيل تتجدد فينا الرغبة بالحياة وتتعزز ثقتنا بالمستقبل.

الشعر العربي أمام مهام تاريخية لا يمكنه التنصل منها، الشعر يساهم في ترسيخ قيم إنسانية في الوجدان العام.

وبما أن الوجدان العام محصلة وجدانات الأفراد، فإنه يخاطب الذات بلغة تكتنز من الندى ما يغسل النفس ومن الصور المبتكرة ما يحفز مخيلة التلقي على الإبتكار بدورها.

وحين تتحرك مخيلة الرأي العام التي يغذيها وجدان نظيف، سترسم لكوكبنا صورة أجمل وتدفعه إلى هدف نبيل.

حاوره في تونس : عبد السلام لصيلع

وَنُشِرَ في مجلة "اقرأ" السعودية

العدد 7850 بتاريخ 1411/3/15 هـ

الشعر يقرّبنا من ذاتنا الإنسانية في عصر تمحُو فيه التكنولوجيا آدميّتنا

الشعر تجربة قديمة حديثة متجددة أبدا وكما استعملها إنسان العهود الساحقة يلجأ إليها إنسان عصرنا... ومن أصحاب هذه التجربة نلتقي بالشاعر هادي دانيال الذي يحمل نظرة خاصة إلى الشعر. فهل يرى أن الشعر قادر على إيجاد الحلول للقضايا العربية المطروحة على مختلف الأصعدة أم هو المعين الذي لا ينضب أبدا والذي يشعرنا بآدميتنا التي تنتصر وتنهزم أمام سلطان الآلة؟ وما هي مواقفه من ممارسي هذه التجربة في عصرنا؟ وماهي الآراء أو النصائح التي يتقدم بها إلى هؤلاء الذين مازالوا يخترقون دربهم الإبداعي بخطوات محتشمة؟

- **بمن تأثر هادي دانيال في شعره ؟.**

تأثرت في البداية بجميع من قرأت لهم، أذكر من هؤلاء شاعرين حظيا بأكثر اهتمامي وهما الشاعر السوري ممدوح عدوان والشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي.

ولكنني لم أعد الآن أتذوق ما كتباه وما يكتبانه نظرا لاتساع اطلاعي على مختلف تجارب الشعر العربي المعاصر قديمه وحديثه، ولذلك يمكن القول إنني الآن أتأثر بكل شعر جميل بغض النظر عن نجومية صاحبه. وإنّني أحاول عدم الانبهار بالغير عند مطالعتي لآثاره كما أحاول أن تكون قراءاتي للآخر نقدية بهدف الاستفادة منها وتجاوزها. كلّ شاعر أقرأ له يفيدني، ولكنني أحاول جاهدا أن أمحو آثاره من ذكرتي بمن في ذلك الشعراء العالميون.

- **تحاول في أشعارك أن تعنى بما أسميته بكلاسيكية جديدة خاصة بك، كيف ذلك ؟.**

كقارئ، لا أزال مشدودا إلى الأعمال الكلاسيكية القديمة وخاصة في مجال الرواية.

وكثيرا ما يعترضني الشعر في روايات الأدباء الكبار مثل الروائي الروسي "دوستويفسكي"، ونجيب محفوظ في كتابه "ثرثرة فوق النيل" والأديب السوري حيدر حيدر والعراقي فؤاد التكرلي والمصري أدوارد خرّاط وكذلك بورخس و. ركيز من أمريكا اللاتينية وغيرهم. إن أدب هؤلاء الروائيين يحتوي على شعر نفتقده في نصوص شعرائنا وقصائدهم. وهذا يعني أن العمل الكلاسيكي هو الذي يقهر الزمن ويستمرّ بينما التجارب الشكلانية تبدو موجات لاهثة تنكسر على صفحة الزمن وسريعا ما تنتهي كأية موضة تزدهر في هذا العام وتموت في السنة القادمة.

- **هل توفقت إلى هذه الكلاسيكية الجديدة التي تنشدها ؟.**

إن اللغة تبقى مجرد وسيلة للتصوير والصورة الشعرية تبقى اللبنة التي يتمّ بها بناء النص، ذلك أن الصورة تبقى قابلة للانفتاح على دلالات مختلفة في أزمنة عديدة، وبعلاقة الصورة مع الصور الأخرى أنشد إيقاعا بديلا عن إيقاع اللغة الخارجي. وإني لا أزال وفيا للكتابة بالصورة التي لا تتأثر بالمتغيرات التي تطرأ على اللغة عادة. ولهذا، أرى من الطبيعي أن يكون إرثنا الإيقاعي محملا للنص لا أكثر. فأحيانا أستخدمه وأحيانا أخرى أستغني عنه. أما الصورة ففي كل الحالات تبقى حاضرة بكلّ زخمها الشعري.

- **إلى حد الآن ما هي أهمّ القضايا العربية التي عالجتها في أشعارك ؟.**

جميع القضايا التي تخطر في ذهني وعلى بال أي مواطن عربي عالجتها، إلا أن تحويلها شعريا لا يعني أنني مغرم بالشعارات والكلام السياسي.

- **موقفك من الشعر العربي ونسبة معالجته للقضايا العربية؟.**

إن الشعر العربي عموما أسرف في اتكائه على القضايا العربية المختلفة. إني أرى أن الشعر الحقيقي مهمته تنشيط المخيلة العربية الضحلة إلى حد الآن في جميع الميادين. فالشعر مهمته تحسيس المواطن بأنه إنسان وليس مجرد كفين للتصفيق أو حنجرة للهتاف، وهو دعوة إلى التخيل والتأمل وتأسيس مناخ ملائم للإبداع سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، فأنا شخصيا لا أرى أن الشعر يحل أزمة أو يحرر وطنا إنما يقربنا من ذاتنا الإنسانية في عصر تمحو التكنولوجيا فيه كل معالم آدميتنا. وليس

أكثر ضررًا على الشعر من تورطه في متاهات السياسة. أنا شاعر رسالتي تتمثل في قول الشعر، أخاطب به القارئ لنمضي معا إلى آفاق أرحب.

- **رأيك في التجارب الشعرية المنشورة في الجرائد والمجلاّت التونسية ؟.**

أنا بدوري أبحث عمن يقول رأيا في شعري، وما أقرأه في الجرائد التونسية فيه الغث والسمين. وإني لأفضل الإعراض نهائيا عن تجربة غير العمودي والحر التي لا تزال تشوه تجارب شعرائنا التونسيين الشبان.. فلم نعد نفرق بين الخاطرة والسجع في حين توجد على الساحة التونسية أصوات واعدة وهامة حتى على الصعيد العربي. أذكر منهم يوسف رزوقة والحبيب الهمامي وعلي اللواتي ونجاة العدواني والمنصف الوهايبـــي ومحمد كمال قحة ومحمد العوني وعبد الرؤوف بوفتح والمنصف المزغني وعبد الله مالك القاسمي وفضيلة الشابي وسوف عبيد الذي نأمل أن يتخلص شعره مستقبلا من قبضة غير العمودي والحر!، وفتحي النصري وأولاد أحمد ومحمد البقلوطي وغيرهم من الأصوات الأخرى التي لا تزال تتلمس طريقها مثل حافظ محفوظ وعماد الشيحاوي وزهرة العبيدي ويوسف الورغي...

- **لحظات المعاناة الشعرية عندك ؟.**

سؤال صعب تتعذر الإجابة عليه بصورة تلقائية، ذلك أنني مثلا منذ أربعة أشهر أحاول أن أتمم قصيدة دون جدوى بالرغم من استعدادي لهذه اللحظة، لكنها لم تتح لي بعد ففضلت أن أبقي القصيدةَ منقوصة على أن أغرق في الصنعة.

- **نصيحتك إلى الشباب ؟.**

- عادة لا تجدي النصائح في الشعر، فالشعر وليد مناخ حر وديمقراطي، والنصائح تستهوي العجائز غالبا. فالمهمّ أن يقرأ الشاعر للآخرين من القدماء والمحدثين وألا يعتمد على موهبته فقط حتى يمكن نفسه من زاد لغوي وثقافي متكامل وحبذا لو عدنا إلى تجارب الكلاسيكيين العظماء عربا وأجانب واستلهمنا منهم ما يثري تجاربنا... فلا تزال آثارهم ينابيع لا تنضب. وأعتقد أنها ستبقى صامدة أمام الزمان.

إن الفنان في صراع دائم مع الزمان تحت تأثير هاجس الخلود – وأنا أبحث عن طريق للخلود في هذه الحياة الحبيبة.

حـــاوره في تونس : عبد المجيد زين العابدين

نُشِرَ في مجلّة "الإذاعة والتلفزة التونسيّة" – 21 أفريل 1990.

الشعر الحقيقي ابن المخيلة وليس ابن الذاكرة

هادي دانيال : طائر عربي لا يستقر على حال : مقيم على سفر.. من قبرص إلى الجزائر إلى المغرب إلى العراق وأخيرا.. يحلّ بتونس مع زوجته الشاعرة التونسية نجاة العدواني..

صدرت للهادي دانيال مجموعات شعرية عديدة : بردى..ووفود الجوع (1973) أناشيد النورس (1978) رؤى الفتى (1980) عشبة على حجر (1986) ويتشكل الغيم في رحم المدينة (1985)..

حول الشعر وحول السفر وحول مسائل أخرى، التقته "الصحافة" وكان الحوار:

- **هذا عصر حجري.. كل شيء ينبئ بذلك. فأين الشاعر؟.**

إذا كنت قد فهمت سؤالك الحجري يمكنني القول إن الشعر موجود كضرورة وجود الماء في كل عصر حتى في حالة تشوه صورة الشعر في مرحلة من المراحل أو

عصر من العصور، وهذا يعود إلى ضمور ما في مواهب شعراء تلك المرحلة أو ذاك العصر. أحيانا نلاحظ توافر في كمية الشعراء لكننا نبحث عن الشعر عندهم فلا نجده يتناسب مع وفرة أدعيائه.. بمعنى آخر مر أكثر من نصف قرن على وفاة أبي القاسم الشابي فلم نحظ بشاعر تونسي يوازيه، هذا لا يعني أن عصر الشابي كان عصرا شعريا والعصور التي تلته كانت عصورا حجرية، ودليني على شاعر عربي يستطيع أن يدعي منذ وفاة أبي الطيب المتنبي أنّه استطاع موازاة أو تجاوز هامة المتنبي الشعرية، علما أن الشعر العربي المعاصر يمكنه أن يفخر بشعراء كبار غير المتنبي والشابي مثل بدر شاكر السياب، عبد الوهاب البياتي، محمود درويش، أدونيس، نزار القباني، يوسف الصايغ، أُنسي الحاج، محمد الماغوط، حميد سعيد، سعدي يوسف، سامي مهدي وسليم بركات، تمكنوا من تقديم نتاج شعري يضاهي ما قدمه مجايليهم في العالم. والأجيال الشعرية التي تلت هؤلاء في عالمنا العربي لا تقل مستوى عن الأجيال الشعرية في مختلف بلدان العالم. فالشعر العربي في هذا العصر لا يزال مفتوحا على آفاق تعد بالكثير وتدعو إلى التفاؤل.

- **فقد الشاعر اليوم الكثير من خصوصياته باعتبار الزحف المادي على كلّ ما هو شاعري. كيف يستمدّ هادي دانيال شاعريته في زمن التحولات هذا؟.**

لم يعد الشاعر يتلقى قصائده من محيطه الخارجي بالضرورة أي كما كان سابقا يتصور البعض أن الشاعر يجب أن يجلس في طبيعة غناء بين الماء والخضرة والوجه الحسن حتى ينــزل عليه الإلهام، وكأن الإلهام ملاك يشترط على الشاعر هذا المكان وربما الزمان كلحظة الغروب أو بعد منتصف الليل أو السحر، ذلك أنّ

الشاعر هو الذي يستحضر مناخ الخلق ويشكله بحرية مطلقة برغم أنف الزمان والمكان. المسألة تعود إلى طاقة الخلق والإبداع الكامنة في الشاعر، كيف يتعامل معها ويطوعها لمشيئته، إن شاعرا يمتلك حساسية فنية وثراء لغويا وتجربة وجودية هو الذي يحتاج إليه هذا العصر المادي كي يقدم لنا غذاء الروح. شعراء كثيرون أبدعوا في الصحراء - تقريبا جميع شعراء العرب القدامى، وشعراء آخرون أبدعوا في المدن الصناعية، وغيرهم أبدعوا في القرى وفي الأرياف، وفي مختلف العصور. إذن المهم هو الشاعر وليس ما يحيط به. الشاعر خالق بالكلام وهذه المادة الأولية متوفرة دائما. إن شاعريتي بهذا المعنى تكمن في داخلي كما يكمن الذهب في التبر وعلي دائما ان أكون صائغا ماهرا كي تتجلى قصائد وقلائد.

- **هادي دانيال شاعرا وإنسانًا : هل من مقارنة ؟.**

الشاعر هو إنسان أولا، بل يفترض أن يكون إنسانا نموذجيا. لا أعرف شاعرا ليس إنسانًا إلاّ ما نسمع به عن شعراء الكمبيوتر أو الشعراء الآليين.

- **أنتَ كثير السفر. مسافر في الجغرافيا ومسافر في الكلمات. هل لهذا السفر تأثير على القصيدة لديك ؟.**

بعكس ما هو سائد وعن تجربة شخصية، أستطيع القول بحسم إن تأثير السفر على نتاج الشاعر تأثير سلبي عندما يكون السفر متواصلا كما هو في حالتي، وأعتقد أنني في حاجة إلى الاستقرار، إلى بيت وإلى مكتبة كي أنتج شعرا أفضل لأن السفر هو سفر للجسد الذي يتنقل بين الأمكنة. أمّا السفر المطلوب للمبدع فهو سفر

المخيلة النشيطة في جسد ينعم بالراحة. فالموانئ والمرافئ لا تجلب للشاعر غير التعب والعياء.

- **ولكن ألا تعتقد أن المخيلة في حاجة إلى صور يوفرها السفر حتما؟.**

(مقاطعا) في ما يخصني تكاد الأمكنة جميعها تتشابه، لا أهمية للمكان إذا لم نحبه ونشعر فيه بالراحة والقدرة على الإنتاج. إضافة إلى أنّ تلقي صور كثيرة في الأمكنة المتعددة يثقل الذاكرة وينيم المخيلة. والشعر الحقيقي والأصيل هو ابن المخيلة وليس ابن الذاكرة، ومخيلة الشاعر الموهوب قادرة على أن تتجاوز عطاءات الجغرافيا والطبيعة على صعيد الصورة. هذا كلام أيضا يمكن أن ينطبق على ما تسمينه السفر بالكلمات. إذا كنت تقصدين الكلام الذي نقرأه في الكتب فتأثير هذا الكلام على الشاعر متفاوت، أعني طبعا كلام الآخرين، فعندما أقرأ قصيدة لشاعر آخر وتكون هذه القصيدة قادرة على تنشيط مخيلتي فهي بلا شك أثرت فيّ إيجابيا أمّا عندما أقرأ نصا ما من نصوص الآخرين فيعطب مخيلتي ويعيدني إلى العادي فيكون تأثيره سلبيا ويتوجب عليّ مجاوزة هذا التأثير. هذا لا يعني أنّني أطالب الشاعر بأن يكون كالجاحظ يقضي حياته بين أربعة جدران وحوله أكوام الكتب. كل ما أريد قوله علينا أولا أن ننشط المخيلة، فالخيال العربي عموما يعاني من قصور على جميع الأصعدة الفنية والعلمية والفكرية والسياسية فلو كان خيالنا نشيطا لارتقينا منذ زمن إلى مرتبة الإنسان المبدع في حين لا نزال في مرتبة القطيعي المستهلك...

- **ما أعرفه عنك أنك متزوج من الشاعرة نجاة العدواني، كيف تقيم تواصلكما الابداعي انطلاقا من نقاط الصفر لديكما؟.**

هذا السؤال يطرح عليّ باستمرار ودونما موجب، كأنه سؤال جاهز سلفا، في حين أنّ الإجابة عنه غاية في الصعوبة من طرفنا نحن (أنا وزوجتي)، الأمر في اعتقادي يحتاج إلى طرف محايد على دراية بتجربتنا ويمتلك مقدرة نقدية ليحدد مدى هذا التواصل الإبداعي. علما أن التواصل موجود بلا شك ولكنّني لا أستطيع تحديده بدقة.

- **أي معنى للشعر وللشعراء بعد أن انتفى الهم الإبداعي في خارطة المخيلة العربية؟.**

أظن أنني أجبت عن جوهر هذا السؤال، ولكني أضيف أن للشعر دورا كبيرا في تنشيط المخيلة العربية حين يكون هذا الشعر نتاج مخيلة نشيطة أساسا. فأنت بلا شك تقرئين أو تسمعين شعرا كثيرا لا يعدو أن يكون إعادة نظم لبيانات سياسية أو مقولات إجتماعية وحكم متهرئة. هذا النوع من الشعر حتى لو قدم إلينا بأشكال تبدو حديثة فَهُوَ على قطيعة تامة مع المخيلة ومع الفن ومع العصر. إذا كنت تقصدين هذا الشعر فهذا بالطبع لا ضرورة له بل يشكل عبئا على ذاكرة المتلقي.

- **إجابتكَ تحيلني إلى التفكير في وظيفة الشعر؟.**

أظن أيضا أني تطرقت بشكل غير مباشر إلى وظيفة الشعر، ويمكن هنا تحديدها أكثر بالقول إن وظيفة الشعر هي مساعدة المتلقي على تنمية مخيلته كي يتمكن من تجاوز صلابة الواقع وثباته وكي تمنح روحه طاقة تساعده على التغيير والتقدم.

وهذا يعني أن الشعر محرر لطاقات الإنسان الكامنة داخله ولا يمكن أن يكون غير ذلك.

- **تونس الشعر هل تعتقد أنها أضافت للهادي دانيال شيئا؟.**

كتبت في تونس معظم قصائد مجموعتي "عشبة على حجر" وربما أهم قصائد هذه المجموعة. الأمر كما أسلفت لا يتعلّق بالمكان والطبيعة بل بحب هذا المكان. أنا أحب تونس أكثر من أي مكان آخر في العالم ربما لأنها المكان الذي احتضن حبّي ولأنها وطن أبنائي، عدا ذلك لا أشعر بارتياح في مكان آخر كما أشعر في تونس. تربطني علاقة لا أستطيع تفسيرها بالناس والحجر والشجر، علاقة غامضة، وربما مثل هذه العلاقة من العوامل المساعدة على كتابة الشعر. الأمر خاص بي ولا أستطيع تعميمه فقد يكون للآخرين رأي مخالف.

- **يقولون إن الشعر العربي اليوم سيء السمعة فهل أحسست يوما وأنت تكتب الشعر أنك تكرس هذا المنحى؟.**

كلمة سيء السمعة ليست دقيقة وليست حكما نقديا، فإذا كانت سمعة الشعر العربي سيئة في مكان ما فذلك لأن ممثلي الشعر في ذلك المكان سيئون. أنا أرى على العكس من ذلك، الشعر العربي الآن في طليعة الشعر العالمي، كل ما في الأمر أن شعراءنا ترجموا ونالوا شهرة عالمية حوصرت من قبل الذين يعادون دائما كل ما هو عربي. لا أعتقد أن ثمة أمة الآن تستطيع أن تقدم قائمة بشعرائها تتفوق على شعراء العربية أو حتى توازيها علمًا أنّ شعرنا المعاصر مشرع النوافذ على نتاجات

الأمم الأخرى الشعرية ولكن القصيدة العربية لا تزال تنهض على الشعرية العربية، وحتى أدونيس المتأثّر بالشعر الغرْبي يعتمدُ في نصه على جمالية عربية أسَّسها المتصوفة العرب القدامى وهذا الشاعر كما نعلم على قائمة المترشحين لجائزة نوبل. قد نكون مقصرين أو ينقصنا الذكاء في الدعاية لنتاج مبدعينا وحماية هذا النتاج ولكن لا يمكن أن يتهم شعرنا بأنه سيء السمعة.

- **قد نتساءل في النهاية لماذا تكتب؟...**

في البداية كانت دوافع الكتابة ساذجة كأن نرى أسماءنا مطبوعة في الجرائد، بعد ذلك صرنا نطمع في الشهرة، وهذان الدافعان هما بحث عن مكانة اجتماعية. في ما بعد تصورنا وخاصة في مرحلة المراهقة المشبوبة أنه يجب أن نغير محيطنا وكانت الكتابة سلاحنا الوحيد. الآن وقد بلغنا سن الرشد عدنا أن الكتابة هي المهنة الوحيدة التي نتقنها لنعيش فهي الوسيلة الوحيدة أيضا التي بها نعبر عن همومنا، لهذا حتى ولو سيطر الجمالي على النص الإبداعي الراهن فإن محور هذا النص وجمرته الداخلية هَمٌّ وجودي وليس بحثا عن إضافة جمالية.

حاورته في تونس : سنية الفتوحي

نُشر في صحيفة "الصحافة" التونسية 26 أوت/آب 1989.

حماقتي الكبرى أنني كنت جادا في عالم هزلي

هادي دانيال : شاعر عربي لا يني يسافر في الجغرافيا .. عاد مؤخرا من قبرص ليمكث بين ظهرانينا أسبوعا يسافر إثره إلى محطة أخرى، التقيناه وأجهزنا عليه بأسئلة لا تمت إلى المجال الأدبي بصلة .. فكان صريحاً معنا وشفافاً إلى أبعد الحدود ..

- **تركت تونس إلى قبرص وها أنت تترك قبرص إلى .. فهل من ملاذ أخير أيها الطائر المهاجر ؟.**

العالم أضيق من ان يتسع لجسدي النحيل ..دائماً أفتش عن حريتي شرط إبداعي وغنائي والحرية في العالم الثالث ومنه العربي استدراج خادع إلى زنزانة بابها تحت قدميك مباشرة، كما عبرت عن ذلك في قصيدة لي لم تنشر بعد ... أنا ليبرالي النـــزعة وخارج أمس والآن وإلى الأبد على الثوابت الغبارية.. ولا ملاذ لي على سطح الأرض وقد يكون القبر ملاذي الأخير....

- **ولكن ما ذنب "مهند" حتى يبتلي برحيلك هذا ويظل يبحث عن أبيه في مجاهل الدنيا : من تيه إلى تيه ؟ وهل تقوى "أم مهنّد" على رحيلك الدائم؟.**

أنا وأم مهنّد واحدُنا قارب للآخر، ومهند بوصلة وشراع، لا شيء يربطني بهذه الحياة إلا مهند وأمه .. فالتجربة أقنعتني بأن المبادئ والأفكار أوهام وسراب وأن الكتابة التي أردتها نوراً ضد الظلام كانت ثغرة لإلحاق الأذى بي .. لا أحد يقرؤنا إلا الرقيب .

- **ولكننا منذ البداية اتفقنا على ألا نذكر كل ما له صلة بالمجال الأدبي.. أرأيت كم أنت مبتلى بالكتابة لا شعورياً حتى لو تنصلت منها ؟.**

أنا تنصلت من جدواها لكنها وسيلتي الوحيدة كي أتوازن في محيط يدعو دائماً إلى كسر روحي ..

- **وماذا عن الأصدقاء ؟.**

عقارب، ما أن تدير ظهرك حتى ترجمك بفائض سمومها .. غريب أن يحسدك الصديق على آلامك وأن يستخدم صدق صداقتك له ليؤذيك .. عالم أسسه رماد، لذا لا تستغرب أن تتفجر الأرض بنفايات التكنولوجيا والروح الفاسدة والضمائر المثقلة بضحاياها .. لست بطلاً ولكن أرفض أن أكون ضحية ..

- **ماذا غنمت من مقاهي تونس ؟.**

- **ماذا حدث بينك وبين الشاعر التونسي منصف المزغني حتى يقف حيالك على بعد مسافة يؤثثها النفور المتبادل ؟.**

لم يحدث شيء .. هذا هو سبب النفور الذي تدعيه أنت .. وكل آخر لا يربطني به جسر ما هو بعيد بالضرورة عني ..

- **كيف خطر لك أن تتزوج تونسية ؟.. وما هي نسبة الانسجام في زواج كهذا خصوصا بين شاعر وشاعرة ؟.**

أنا ونجاة نعيش في الربع الأخير من القرن العشرين، وشخصياً لا أشعر بانتماء ضيق ولا تلجمني مشاعر قبلية.. أنا إنسان أولاً وأخيراً وهذا سبب عذابي، ونجاة كانت النصف الآخر الذي انتظرني في تونس مصادفة، كان يمكنها أن تنتظرني في مكان أوروبي مثلاً ولربما ما كان خطر في بال أحد مثل سؤالك هذا.. أنا أدعي أن انسجاماً مطلقاً بين الشاعرة نجاة العدواني وبيني أكدته تجربة قارب عمرها الآن خمس سنوات وكأنها لا تزال في حرارة اللقاء الأول.. ولا شيء ولا أحد يقدر على أن يخفض حرارة هذه العلاقة درجة واحدة.. إنها تخصنا، نحن نقرر انخفاضها وارتفاعها .. عجيب أن يتدخل الآخرون في هذه التفاصيل .. هل نحن في القرون الوسطى ؟..

- **ألا ترى أن " أم مهند " أجمل منك ؟.**

بالتأكيد.. وأرى أنها ومهند أجمل ما في هذا الوجود ..

- **وهل تمارس معها أحياناً سلطة الأب والرقيب على ما تكتبه كشاعرة باعتبارك فحلاً عربياً ؟.**

أنا ليبرالي النـــزعة كما قلت حتى مع الآخرين الذين لا يستحقون التحية، فكيف أكون سلطوياً مع أقرب الناس إلي ؟.. نحن كشاعرين يربطنا حوار دائم، أحياناً تقنعني وأحياناً أقنعها وأحياناً يحتفظ كل واحد منّا برأيه .. وهذا في الشعر وفي غير الشعر ..

- **وهل تشجع " مهند " على ارتكاب الكتابة مستقبلاً ؟.**

أنا أشجع "مهند " على أن يكون حراً فقط ..

- **هل ارتكبت حماقة ما تجعلك الآن تخجل من استحضارها ؟.**

أنا لا أندم على شيء، لكن حماقتي الكبرى أنني كنت جاداً مع عالم هزلي، وكنت صادقاً مع الكذابين، وكنت معرفياً مع الجهلة، وإنسانا مع الوحوش ..إلخ ..

- **بعد 14 سنة من الغربة والرحيل، كيف تستحضر ملامح أمك وأبيك وأخوتك البعيدين ؟.. أم أن قلبك من حجر؟.**

أنا لا أنظر إلى الخلف .. أمي وأبي وأخوتي يعيشون حياتهم بدون حاجة إلي، وقلبي على زوجتي وإبني، تجاههما فقط أحدد مسؤوليتي.

- **ماذا لو وجدت نفسك يوماً في ضيعة صغيرة بعيداً عن المدينة وعن العالم في عزلة عازلة ؟.. بماذا ستواجه الصمت وكيف ستقوى على احتمال الوحدة بعد الإدمان على وجبة الضجيج اليومي ؟ .**

سيكون معي مهند وأمه وربما أخوته الذين قد يأتون وهكذا لن تكون ثمة وحدة .. لكن سأكون قادراً أكثر على الغوص في أغوار نفسي ..

- **لتفترض أنك في لحظة غامضة خرجت من نفسك ولم تعد.. أو أنك عدت إلى نفسك فلم تجد حولك أحدًا.. ماذا ستفعل ؟.**

على العالم أن يأخذ احتياطه من هذه اللحظة ..

- **هل صادف مرّة أن بعت نفسك للشيطان في لحظة لا وعي منك؟.**

لو حدث ذلك لكنت في طمأنينة وعشت في دعة ورخاء! لكنه لم يحدث .. فيقظة وعيي الدائمة جحيمي المستمر..

- **كيف تتصور العالم بعد دقيقة واحدة من رحيلك عنه إلى العالم الآخر؟.. هل ستتعطل حركة المرور ؟.**

حينئذ لن يكون العالم موجوداً، فهو موجود طالما أنا حي وهو ميت طالما أنا ميت.. أليس كذلك ؟..

- **في البيت كيف تتعامل – وأنت الشاعر – مع الأشياء؟ أم أنك فوضوي مهمل لا يعنيك أمر الشؤون المنـــزليّة ؟.**

لأني لست مستقراً ولا بيت لي أتعامل مع الأشياء المترلية على أنها ليست ملكي تماماً كما يتعامل المسافر مع أشياء غرفة ما في نزل ما..

- **أقسى درجات البؤس وأقصاها لديك ؟.**

ما عدت أشعر بالبؤس ..لقد كان العالم قاسياً معي ولا يزال حتى صرت أشعر تجاهه باللامبالاة..

- **وماهي أقسى درجات السعادة وأقصاها لديك ؟.**

أن أنسى الآخر...

- **ولكنك تبدو سوياً كأبشع ما يكون .. ألا يتنافى هذا مع طبيعة الشاعر المدججة بالبوهيمية وبالجنون ؟.**

فعلاً صار السوي نشازاً.. والبوهيمية لم تعد صفة الشاعر والفنان بل صارت ظاهرة اجتماعية، مجتمعات بأكملها بوهيمية مشوهة وبشعة .. والإنسان الطبيعي الحريص على إنسانيته وكرامته الشخصية وحريته الفردية والمواصفات المدنية عموماً صار نشازاً في مجتمعات القطيع المصاب بِلَوْثَةٍ عامة .. ولأني شاعر سأَبْقى صامدا ضد تلويثي وتشويهي كقيمة إنسانية .. ومتى كانت تهمني مواصفات المجتمع الاستهلاكي الذي يحدد كل يوم موضة جديدة يتلقفها الذين يتصورون أنفسهم شعراء وأدباء وفنانين لمجرد التزين بها..

- **وبعد؟.**

لا شيء

حـــــــاوره في تونس : آس الســـافي (أحد أسماء يوسف رزوقه)

ونُشِرَ في جريدة (الأيام) التونسية – الخميس – 22 – أكتوبر –1987.

صفحة "لقاء المسافات" . زاوية "بلا أدب".

أشعر بامتنان عميق للشعراء الذين أتوا قبلي

"على الهاتف" هي ساحة ومساحة لتلاقي الأفكار والآراء والأسئلة وهي أيضاً خط للتواصل والتواشج والاتصال مع رموز وأسماء الثقافة العربية.

وهادي دانيال شاعر من الجيل الأجد بدأ مسيرته الشعرية في مطلع السبعينات ، أصدر عدة مجموعات شعرية ، أبرزها "غليون لتدخين الأحلام" و "قصائد الحرب" وأخيرًا مجموعته الشعرية الجديدة "عشبة على حجر" الصادرة عن دار العودة – اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، وبمناسبة صدور هذه المجموعة نلتقيه على الهاتف في الحوار التالي :

- **حتى الآن صدرت لك سبع مجاميع شعرية، على صعيدك الشخصي ما الذي حققته ابداعياً في هاته المجاميع؟.**

كي لا يكون في الإجابة إدعاء، أهم شيء حققته، الثقة في إمكانية كتابة قصيدة جديدة، ونضوج مفاهيمي للشعر، لم أحقق نصًّا شعرياً يتطابق مع تصوراتي الحالية

للقصيدة الجديدة، رغم أني أطلقت ذاتي من عقال ذاكرتي الشعرية، في محاولة لاقتحام فضاءات إبداعية جديدة، أجدني أحياناً ملجماً بأشلاء مفاهيم شعرية أعتقد أنها صارت قديمة ويجب الإمعان في سحقها وتجاوزها. أحاول كتابة قصيدة غير موزونة، مثلاً على صعيد الشكل، لكن إيقاعات القصيدة العربية تبقى عالقة بي، لهذا تجد تمزقاً واضطراباً ايقاعياً في قصائدي الأخيرة، ليس لأنني أريد أن أمزج بين البحور أو أجرب إمكانيات جديدة لإيقاع القصيدة العربية، و"الإيقاع" أعني به هنا الوزن والتفعيلة، كما هو شائع، بل لأنني أحاول أن أدير ظهري تماماً لهذا الإيقاع، فينتج الاضطراب، إلا أنني حاولت أن أحشد في نصي صوراً مخلوقة ومبنية بحيث تكون بديلاً فنياً لانهيار الشكل في قصيدتي، ولا أدري إن كنت قد حققت بالصورة والمناخ الشعري الواحد نوعاً من الوحدة العضوية.

- **بإلغائك للوحدة الموسيقية المتمثلة بالإيقاع الخليلي، ألا ترى يستلزم ذلك أيضاً إلغاء حدود القافية ؟.**

القافية أيضاً هي من الرواسب، مثل الأوزان والتفعيلات الموجودة في النص، أنا لم أكتب حتى الآن نصاً خالياً من الأوزان والتفعيلات التي تستتبعها القوافي، كل ما حققته أنني كسرت قدسية المفهوم العروضي لضرورة أن تكون القصيدة من بحر واحد –حتى عند الشعراء الحديثين الذين خرجوا إلى "شاطئ البحر الخليلي" بقرار إرادي كتطبيق لمفهوم نظري– أنا أصارع "بحور الخليل" ولم أصل إلى الشاطئ وعندما أصل تماماً لن أعود إلى هذا البحر أبدًا، إنني أعي أن الشعر ليس كلاماً موزوناً مقفى، وأنَّ مجرد التخلص نهائياً من الوزن والقافية، لا يعني بالضرورة تحقق شعرية النص ، لكنني أسرف في الكلام عن البناء الإيقاعي لأنه يعكس حقيقة المفاهيم ، فالحداثة ليست زياً، إنها تتحقق في الرؤيا، وعلى هذا الصعيد أظن أنني

سائر باتجاه الحداثة، ولكن دون أن أرفع يافطة، أو أرتدي زياً حداثياً قد لا يدل بالضبط على ما يختبئ في داخله.

• **باستثناء مجموعتك الأخيرة "عشبة على حجر" لاحظنا في أشعارك نبرة خطابية تميل في أغلب الأحايين إلى الشعار كيف تحلل ذلك؟.**

هذا كان بتأثير السياسة ، وأعتقد أنني منذ أن أَلْقَيْتُ بمختارات لينين وانجلز مع احترامي الكبير لهما ، من نافذة بيتي في الطابق الرابع في بيروت ، شاعراً في تلك اللحظة بنفس الشعور الذي انتابني لحظة أعلنت على والدي مروقي الديني والعائلي، منذ ذلك الوقت بدأت بإعادة النظر في مجمل مفاهيمي الشعرية .

• **في اعتقادي أنّ الخطأ لا يكمن في ماركس وإنجلز ولينين بقدر ما يكمن في جانب الوضع السياسي والإجتماعي العربي وعجز الأيديولوجيات العربية عن تحقيق المثال الإنساني لقاعدتها المحلية؟.**

بل العلة كانت فيّ أنا، لأنني لم أقدر الشاعر الكامن فيّ حق قدره، فأتبعته للسياسي عند لينين و"مسؤولي التنظيمي"، كان يجب أن أفهم منذ البداية، أن الشاعر يقود برؤيته ولا يقاد، فاعل بشعره لا بترويض شعره وتوظيفه لخدمة السياسي، أياً كان الشاعر بالضرورة ثوري لأنه مستقبلي يستشف ويستبق ، وهكذا كنت مخطئاً في فهم دوري، فعاقبني الشعر.

• **من خلال جيلك كيف تنظر إلى الأجيال السابقة ؟.**

أنا أشعر بامتنان عميق لجميع الشعراء الذين أتوا قبلي، لكن صراع الأجيال الشعرية حقيقة واقعة، إلا أن هذا الصراع لا يكون غنياً دائماً، وخصوصاً في السنوات العشر الأخيرة، حيث أخذ مظهراً انحطاطياً يتحمله جيلنا والجيل السابق معاً، نحن فعلاً كجيل جديد من حيث المرحلة الزمنية لم نضف شيئاً لأدونيس حتى من الناحية النظرية على الأقل، لكن بعضنا تصور أن رجم أدونيس بالشتائم والتهم غير الشعرية وغير الأخلاقية يفضي إلى تجاوزه، هذا من جهة، من جهة ثانية نلاحظ أن بعض شعراء جيل أدونيس يمارسون شتى أنواع القمع للتقليل من أهمية نتاج الجيل الجديد، وهذا البعض تخلف نتاجه الشعري عن أدونيس وعن الجيل الجديد مثلاً، وهنا أريد الإشارة إلى رأي شاعر أحبّه يلوم فيه الشعراء الجدد، "نحن"، بأننا لم نفهم أنّ شرعية حداثة أدونيس جاءت من كونه امتلأ قبلاً بالشعر العربي القديم، وكأن كل شاعر منا يجب أن يكتب ديواناً عمودياً، ثم ديواناً موزوناً حسب شكل الشعر الحر، ثم يحق له أن يجرب كتابة القصيدة بدون أوزان ، إذا كان الأمر كذلك فما الفائدة من تجربة جيل السياب وما بعده ؟ ولماذا قدم أدونيس ديوان الشعر العربي، وكأنهم يريدون منا أن ننسج على منوالهم، حتى في قراءاتنا.

على جيلنا أن يستوعب تجربة الجيل الذي سبقه وأن يحترمها ويقدر إنجازاتها ، ولكن شرط ألا يقلدها. الذين يهاجمون أدونيس هم الذين يقلدونه ، فالذي يتجاوز ويشعر بالتميز لا يمكن أن يجعل من الآخر هاجساً يؤرقه ، وحاجزاً لا يشعر بالحياة إلاّ على جثته .

أجرى الحوار في نيقوسيا : هاشم شقيق

وَ نُشِرَ في مجلة (بلسم) التي تصدر عن الهلال الأحمر الفلسطيني بقبرص ، عدد حزيران 1987 يحمل الرقم 144 السنة 14. زاوية (على الهاتف).

الشعر ليس كلاما موزونا مقفّى

هادي دانيال شاعر فلسطيني شاب... ولد في سوريا ويعيش في تونس وهو من الوجوه الشعرية المتميزة في كتابة القصيدة المتمردة على العروض والقافية... هذه الأيّام صدرت له مجموعة شعرية جديدة... لهذا التقينا به لنسلط مزيدا من الضوء على الشاعر وشعره.

- **الشاعر هادي دانيال، في سطور؟.**

أنا من مواليد 1956 (اللاذقية – سوريا).

أصدرت ستّ مجموعات شعرية في بيروت هي على التوالي : (بردى.. ووفود الجوع 1973، أناشيد النورس 1978، رؤى الفتى 1980، غليون لتدخين الأحلام 1982، وقصائد الحرب 1982 أيضا). وأخيرا صدرت مجموعتي الشعرية السادسة في تونس عن مؤسسة "الاخلاء" تحت عنوان (بتشكّل الغيم في رحم المدينة)...

كما كنت قد أصدرت في بيروت كتابا نثريا تحت عنوان "سداسيّة تغرير البطمة" 1981. ومن المقرر أن تصدر مجموعتي الشعرية السابعة عن الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، تحت عنوان (عشبة على حجر)، وستتضمّن جميع

قصائدي الأخيرة التي يعرف القارئ التونسي معظمها. أنا حتى الآن أعمل كمحرّر ثقافي لمجلّة منظمة التحرير الفلسطينية المركزيّة "فلسطين الثورة". كما أنني أقوم بإدارة مكتب الأمانة العامة للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، في تونس.

- **المجموعة الشعرية الجديدة (يتشكّل الغيم في رحم المدينة)، ماذا تعالج فيها؟.**

تضمّنت هذه المجموعة سبعا وعشرين قصيدة، كتبتها بين 1973-1984. أي خلال أحد عشر عامًا. وهي قصائد لم تضمّ المجموعات السابقة شيئا منها. أولى قصائد المجموعة قصائد حبّ عبّرت بها عن مشاعري العاطفية والوجدانية تجاه امرأة غائمة الملامح، متخيّلة، هي إذن – القصائد – أشكال فنّية لشحنة عاطفية استخدمتها إبداعيا... كما أنها تعكس حالتي النفسية كشاب في السابعة عشرة من عمره.

القصائد الأخرى جميعها تقريبا تعكس فنيا تجربتي الحياتية الوجودية التي بدأتها منذ عام 1973 مع الثورة الفلسطينية. لذلك ستلاحظ تغلّبا للعنصر السياسي على العناصر الفنية بحيث يلامس النصّ تخوم التقريرية (1973-1976) ثم يندمج العنصر السياسي في بنية النصّ مشكلا نتوءا أحيانا ومسربلا بعناصر جمالية (غنائية غالبا...) خففت من حدّته وأخفته أحيانا كثيرة.

هذه القصائد تمثلني إبداعيا حتى عام 1983، لأن بعد هذه الفترة، شهدت تجربتي الفنية نضجا أدّعي أنه خلصني نهائيا من "الدخيل الإعاقي" السياسي، ووضع يدي بجلاء قليل أو كثير على شروط تحقق النص الشعري إبداعيا وجماليا.

• أنت مواكب للحركة الشعرية في تونس، كيف تقيّم الحركة، وما هي أبرز الأصوات في تونس؟.

هذا صحيح، فأنا على مقربة والتصاق بالحركة الشعرية في تونس... وأقرأ الشعر التونسي باستمرار. لكن هذا لا يؤهّلني لتقييم هذه الحركة تقييما دقيقا وبالتالي لا يمكّني من تحديد أبرز أصوات هذه الحركة. لأنني لا أؤمن بالتقييمات السريعة وانتخاب الشعراء انتخابا برلمانيا، لذا حاولت، من موقعي الصحفي، أن أقدّم الشعر التونسي من خلال حوارات نقدية تسبقها قراءات عميقة للأعمال المطبوعة في كتب شعرية (دواوين). وهذا يقفز بي عن الحوارات الصحفية المفبركة بسرعة كما ينقذني من التورّط في إلقاء أحكام فوقية طاووسية تزحلق عليها العديد من الشعراء الذين انقسموا إلى قبيلتين، الأولى أعماها الغرور المرضي فادّعت أن لا شعر في تونس، والثانية تنـــزّلَتْ في المجاملة الرخيصة فعلّقت مستقبل الشعر العربي -وربّما العالمي- على الشعر في تونس، وكلتا القبيلتين مضى بهما التسرّع بعيدا عن فهم موضوعي للحركة الشعرية التونسية.

لذا آمل أن أقوم بمشروع ضخم نسبيا : أن أحاور معظم شعراء تونس الذين لا يزالون مستمرين فعليا في إثراء الحركة الشعرية هنا، حوارا نقديّا شاملا من خلال استنطاق نصوصهم ذاتها، والشاعر الذي لا أجد موجبا لمحاورته، سأقوم قطعا بقراءة نقديّة لعمله الشعري المطبوع. ولن تفلح محاولة الحيّز الصحفي في كسر طموحي الثقافي. وأنا واثق من أن زملائي الشعراء التونسيين سيمدون إليّ يد المساعدة لانجاز هذا المشروع الذي يهدف أولا وأخيرا إلى خدمة الحركة الشعرية العربية عموما والتونسية على وجه الخصوص.

لقد سرت خطوات إلى الأمام على طريق انجاز حواري هذا، فانتهيت من إجراء

حوارين هامين، في رأيي، مع الشاعر "يوسف رزوقة" والشاعرة (نجاة العدواني) وأستعدّ الآن لمتابعة حواراتي مع الشعراء : محمدالعوني، الصادق شرف، محمد كمال قحة ويليهم الشعراء الآخرون... محاولا أن يشمل اهتمامي الجميع دون استثناء مهما كانت الأسباب.

• **قصيدة النثر يعاديها عديد الكتاب والشعراء، ما هو السبب يا ترى ؟ ألا ترى معي أن المستقبل لهذا النوع من القصائد ؟.**

أولا أنا لا أؤمن بقصيدة نثر وقصيدة شعر. وهذا التصنيف غير دقيق وليس صحيحا أساسا لأنه ينبني على مقولة خاطئة ومتهرئة هي أن الشعر كلام موزون مقفّى، وما عدا ذلك فهو نثر، أي ليس شعرا، وبالتالي عندما نقول (قصيدة نثر) ننفي عنها شعريتها، في حين تنبّه أبرز واضعي نظرية الشعر العربي القدامى إلى أن ليس كل كلام موزون مقفى هو شعر بالضرورة، فميّزوا بين الشعر والنظم، وهم بذلك أفقدوا الوزن الخليلي وقوافيه قداستهما وكونهما شرط شعرية القصيدة. إذن توفّر الوزن والقافية في نص شعري لا يحدّد شعريته، وبالتالي افتقاد نص شعري للوزن والقافية لا يعني بالضرورة أنه نصّ نثري. ثمة إذن شروط أخرى تحدّد شعرية القصيدة. وتحديد هذه الشروط مازال غير مكتمل تماما. ذلك بسبب كسل التنظير الشعري العربي وتردّده. إن المغامرة الشعرية يلزمها مغامرة نظريّة — نقديّة، تواكبها. ولكن هذا شبه مفقود — إذا استثنينا جهود أدونيس، كمال خيربيك، كمال أبو ديب ومحمد لطفي اليوسفي. لكن مبدئيا، فيما يخصّني، أرى أنّ كلّ نص شعري يجب أن يكوّن لغته الشعرية، واللغة الشعـــرية هي لغة المجاز، أو "العدول" حسب تعبير القدامى. كما أنّه يجب أن يتوافــر –وأحيانا ينبني– على صور شعرية

موحية، ويجب أن يكون موحّد البنية لا مفككها. كما أنه يجب أن يستوفي الشرط الإيقاعي، وعلى هذه الخطوط الأربعة، تقريبا، وفي آن معا، تسير عربات الشعر مختلفة الأشكال والرؤى والأساليب والإيقاعات والأفكار والمواضيع. وهنا لا تفوتني الإشارة إلى أنّ الوزن والقافية الخليليين ليسا أكثر من نظام إيقاعي، والحداثة لا تعني بالضرورة التخلّص منهما نهائيا، رغم ضرورة إزالة الإكراه عنهما، كما أنّ إدارة الظهر لهما كليا لا تعني حتمية الخروج على الشعرية.

إلا أنني أرى وجوب استبدال الوزن والقافية في حال هجرهما بنظام إيقاعي آخر، عن طريق الصور أو الجملة الشعرية أو التكرار الموظف إيقاعيا.. إلخ، علما أنني أرفض تماما ما يسمّى بالإيقاع البصري لأنه تطرف مجاني، كما أرفض كل استبدال اعتباطي أو "فانتازي" يلجأ إلى خارج الكلام، أي أتفق تماما مع (اليوسفي) في أن الابداع الشعري يجب أن يكون باستخدام طاقات الكلمة فقط.

وفيما يخصّني مازلت أستفيد من تراث الشعر العربي القديم الثري إيقاعيا، وأوظفه – بتصرّف – لصالح مفهومي المعاصر للقصيدة العربية، وهذا لا يشكّل عندي موقفا مناهضا لأي نص غير موزون عروضيا لأني أدرك محدودية دور الوزن والقافية في بناء النصّ الشعري المنشود.

أنا مع التطوّر الطبيعي للقصيدة العربية، ولا أقفز في الهواء، لكن هل أصادر حق نصّ شعري غير موزون عروضيا في الوجود كنصّ شعري؟ لا، بالتأكيد وهذا ليس مجرّد نزوع ديمقراطي أو ليبيرالي، بل نتيجة تفكير جادّ في بنية القصيدة العربية. لأنني أرى النـــزعة الإتهاميّة عند البعض ضدّ من لا يحضر الوزن الخليلي أثناء كتابة نصوصهم، أراها نزعة سلفية مردّها العجز النظري والشعور بتفوّق الآخر وتقدّمه المتجاوز –بكسر الواو – ممّا يستدعي اتهامه كفعل تعويضي مريض.

بأسف شديد أقرأ – مؤخرا – آراء شاعر مشهور كمحمود درويش حول الحداثة،

وبأسف أشدّ أنظر إلى فعله غير الشعري ضدّ نصوص شعراء مصر الشباب، في العدد (14) من مجلة (الكرامل) لأنهم كسروا قداسة العروض(؟!).

إن هذه الآراء والأفعال –بتكرّرها المقصود– تعبّر أولا وقبل كلّ شيء عن افتقادنا إلى نظرية شعرية معاصرة، إلى نقاد ومنظرين كبار، يضعون حدّا للانقسام الشعري العصبوي الذي تشهده الساحة العربية بين (عروضيين) وغير (عروضيين)، هذا الانقسام القبائلي الذي أردّه –كما أسلفت– إلى أنّ من يعتبرون أنفسهم كهنة الشعر العربي المعاصر (؟) لا يعرفون حتى الآن ماهو الشعر (؟!)... فلا يجدون مقياسا يقيسون به غير مقياس الخليل بن أحمد، الغباري!. واعتراف محمود درويش بأنّه لا يعرف التفريق نظريا بين ماهو شعر وماهو غير شعر يأتي في هذا السياق.

وكي لا أفهم خطأ أؤكد أن الكثير من النصوص التي يرى بعضهم أنها (قصيدة نثر) لا تلامس الشعر من قريب أو بعيد، فهي نثر خطابي رديء ركيك، أو سجع غير متين، لكنّ هذا لا ينسحب على النص الشعري الذي استوفى الشروط الجمالية التي ألمحنا إليها أعلاه، لأنه وجد في ترك الوزن والقافية خيارا إبداعيا يساعده أكثر في تعميق رؤاه ونصاعة أسلوبه... فلا يحقّ لنا لومه على ذلك، خاصّة وأنّ حساسيتنا الشعرية الجديدة ارتفعت بذائقتها إلى تقبل شعر غير موزون ومقفى، بل صار الموزون المقفى بشكله العمودي يجلب البلادة في ثناياه.

خلاصة القول، المستقبل في رأيي للقصيدة التي تستوفي شروط شعريتها، لا للنظم ولا للنثر غير المنظوم. وكلامنا ينحصر في القصيدة، ولا يتعدّاه هنا إلى الأجناس الأدبية الأخرى.

حاوره في تونس : الحبيب بن فضيلة

وَنــُشِرَ في "البيان" التونسية، العدد 435، الاثنين 1986/3/10.

أنا مع الثورة كفكـرة وتطبيقاتهـا تؤلمني

هادي دانيال من مواليد 1956 باللاذقية (سوريا) اصدر أولى مجموعاته الشعرية عام 1973 ، غادر سوريا نهائيًّا أواخر عام 1974 إلى بيروت حيث بدأ عمله مع الإعلام الفلسطيني في مجلة "الهدف" ثم في إذاعة الثورة الفلسطينية ثم والى الآن في مجلة "فلسطين الثورة"، وكان عمله دائماً في الحقل الثقافي ..صدر له حتى الآن : "بردى.. ووفود الجوع 1973" – "أناشيد النورس 1978" – "رؤى الفتى 1980" – "غليون لتدخين الأحلام 1982" و "قصائد الحرب 1982" وسنة 1981 صدر له كتاب نثري بعنوان "سداسية تغريد البطمة" و ستصدر في تونس مجموعته الشعرية السادسة عن " لإخلاء" بعنوان "يتشكل الغيم في رحم المدينة"...

- سؤال الشعر ؟.

كل تعريف للشعر ناقص. يمكن أن نقول إنه فسحة الأمل أو الإمساك باللحظة الهاربة أو التنبؤ ورؤية ما لا يراه غيرك وأنا أكتب الشعر لأنه وحده يساعدني على الحياة ولا أدعي لقصيدتي أكثر ممّا هي عليه.

- **ما هي القصيدة التي لم تقلها ؟.**

لا يوجد شاعر في اعتقادي يستطيع أن يجزم بما ستكون عليه قصيدته الجديدة. طبعاً، ما كتبته من شعر لم يصل بي إلى الآفاق التي أحاول استقصاءها. مازال الواقع غامضاً علي وما زال ما وراء الواقع مبهماً علينا جميعاً. أنا بالقصيدة أستكشف فهي وسيلة وليست غاية. لذا تتطور القصيدة كما تتطور الوسائل، فرغم ادعائنا الخلق فالقصيدة ليست كائناً متكاملاً كالإنسان، ومن هنا فتطورها ضروري وإلا تخلفت وصارت غير قابلة للاستعمال من قبل الشاعر والقارئ وهذا ليس حطاً من قيمة القصيدة وإنما تأكيد على عدم قدسيتها. فلا شيء مقدس إلا الإنسان .

- **غالباً ما تدخل في مشاحنات أدبية مع بعض الأدباء التونسيين .. فهل هو موقف مشرقي تتمثله باتجاه الإبداع المغربي ؟.**

أولاً، عرفت كمشاكس قبل أن أكسر الحدود إلى تونس.. لأنني كما قلت سابقاً لا أؤمن بالمقدسات .. في تونس تصرفت كما كنت أتصرف في بيروت وكما يمكن أن أتصرف في موسكو مثلاً. فأنا أنتمي إلى الشعر والمستقبل ولا أنتمي إلى المشرق أو إلى المغرب. جئت إلى تونس حاملاً ما تكون لدي من معرفة، صدفة،

في سوريا أو بيروت فأنا لم أكن مخيراً في مكان ولادتي. وللأسف لم أكن مخيراً أيضاً في مكان تكويني المعرفي و الوجداني. فالمثقف هو ما يقرؤه... بغض النظر عن المكان الذي قرأ فيه. أول ما فعلته في تونس بحثت عن النص الإبداعي التونسي لأقرأه .. لأن بيروت لم تمكنني منه ولأنني لست ببغاء ولا مخزنا يستقبل فحسب ..كان طبيعياً أن أتصارع وأن أتفاعل مع النص التونسي الذي قرأت وأقرأ .. ولكن بعيداً عن الإخوانيات.

• زوجتك نجاة العدواني شاعرة تونسية، فهل تتكاملان شعرياً وماذا عن قصيدتكما المشتركة "مهند" ؟.

أنت كشاعر قرأت قصيدة " لنجاة " وقصيدة لي ولا أعتقد أنك وجدت ما هو مشتركاً. عندما عرفت " نجاة " لأول مرة ، كنت مختلفاً معها حول مفهوم كل منا للقصيدة ولكن بعد معرفة قريبة اكتشفت أن "نجاة العدواني" شاعرة سريعة التحول من القصيدة العمودية الرومانسية إلى قصيدة التفعيلة إلى ما يسمونه هنا ب "غير العمودي والحر".. هذا كله واضح في مجموعتها الشعرية "في كل جرح .. زنبقة " .. ولكن برغم هذه الفوضى نلاحظ ومضات شعرية تشف عن موهبة كامنة وبعد أن تزوجنا حدث انقلاب في حياتها الخاصة وكان زواجنا سريعاً عندما نستعيد لحظاته الآن ، نضحك مندهشين منه.. كما أن السفر من بلد إلى بلد ومن مجتمع إلى مجتمع ومن مناخ إلى مناخ ومن جغرافيا إلى جغرافيا فجر موهبتها الكامنة و لم يكن ذلك مفاجئاً لي.

أما عن "مهند" فهو ليس قصيدة لأنني كما سبق وأجبت أرى القصيدة وسيلة و"مهند" كان غاية.

- **الشعريّ /السياسي في القصيدة العربية الحديثة ؟.**

أنا أحتقر كلمة سياسة كما تجري ترجمتها في العالم الثالث عموماً. لنقل الجميل والمفيد. في قصيدتي أسعى إلى الجميل / المفيد . ليس ثمة مفيد غير الجميل والفن للفن أكذوبة .

- **ألم تدمرك المدينة ؟.**

لا . لأن بيني وبينها مسافة دائماً.

- **ألا تخطر ببالك مسافة الدم السلالي (العائلة/الوطن/الأرض)؟ وأنت هنا في تونس؟.**

أبداً، لذا اخترت أن أكون مع الثورة الفلسطينية وعندما يرجع الفلسطينيون إلى عائلتهم والى وطنهم والى أرضهم سأجد منفى آخر.

- **نفهم من كلامك هذا أنك لقيط وفي حالة انفصال مع الدم السلالي ؟.**

سأرتفع عن المعنى الحرفي للمفردات التي استخدمتها. أنا مع الثورة كفكرة وتطبيقاها تؤلمني، لا أعتقد أن ثمة نظاما سياسياً واجتماعياً واقتصادياً في وطننا العربي الآن وعلى المدى المنظور سيشرفني الانتماء إليه، ولا أستثني الوطن الفلسطيني القادم .

- **أنت ذهبت في تأويل آخر، أنا أقصد مدى ارتباطك الحميمي بالأهل أهلك أنت والذي يبدو لي فاتراً نوعاً ما.**

أهلي كأهلك، جزء من الماضي الذي عليه تأسست النظم القمعية، وتزوجت لأنفصل بفرح عن هذا الماضي، ولذا اخترت شاعرة تنتمي إلى المستقبل ولن أسمح لأن نكون ماضي المستقبل بل سنعطي أنفسنا لتيارات المستقبل وهي مغامرة لا محالة.

- **إذن أنت مع الجنون في الكتابة، مع الغرابة والاحتفال بالسفر الغامض إلى مناطق الرعب التي لا عودة منها ؟.**

أنا لا أخاف، ليس بالضرورة أن الرعب هو الذي يسكن مناطق المستقبل .. بالعكس تدفعني إلى المستقبل رغبة الانفصال عن الرعب في الماضي والحاضر، "ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل".

- **رأيك كشاعر في هذه الأسماء الشعرية :**

الحبيب الهمامي : صوته غير واضح. نجاة العدواني : استقرت الآن على شكل لقصيدها. عبد الرؤوف بو فتح : يحوك قناعاً بالكلمات ، فتحي النصري : شاعر أحبه وقد لا أكون موضوعياً في حكمي عليه أو له. رضا جلالي : لو يصبح جميلاً كشعره. يوسف رزوقة : لو يقتضب في التجريد والغلو في التجريب.. سيصل إلى ما يطمح إليه. محمد بن صالح : لم أقرأ له شعراً.

- **وبعد؟.**

وبعد، فلنكن ديمقراطيين ولتكن صدورنا رحبة فالشاعر لا يمكن أن يكون ضيق الأفق .. وليقتل كل منا الجلاد الكامن فيه.

ساءلـه في تونس : يوسـف رزوقـة

وَ نُشِرَ في "الأيـام" التونسيّة صفحة 12 – العدد 14 – 4 مارس/آذار 1985

المنهج الماركسي دليلي في الثقافة والحياة

هادي دانيال، شاعر وكاتب سوري منخرط في الثورة الفلسطينية، ومقيم بتونس، واقامته تتخذ بعدا تفاعليا مع الساحة الثقافية والأدبية المحلية.

زارنا في "الرأي" وكان هذا الحوار المقتضب الذي جاء عفويـــا وتعارفيا.

- **دفعت أخيرا للطبع في تونس مجموعة شعرية. ويبدو أنّ دار النشر التي اخترتها أثارت تعاليق بعض أسماء الساحة الثقافية المحلية... هل تقول لنا شيئا عن هذه المجموعة ؟.**

المجموعة ستصدر بعنوان (يتشكّل الغيم في رحم المدينة) وهي كتابي السابع بعد أن صدر لي في بيروت خمس مجموعات شعرية وكتاب نثري اعتبر البعض محتواه شعرا رغم أنفي !. وهذه المجموعة ستصدر عن دار الاخلاء التونسية وستحتوي على قصائد يعرف القارئ التونسي بعضها القليل، سأقدم بمجموعتي نماذج من أشعاري تغطّي الفترة الزمنية من 1973 حتى 1984، ولأول مرّة تخرج هذه النماذج بين دفتي كتاب.

أمّا اختياري للدار فكان نتيجة تزكية بعض الأصدقاء المساهمين فيها، وحتى الآن، وقد أمضيت العقد، لم ألاحظ ما يثير حفيظتي... أمّا تعليقات البعض فأعلّق الإجابة عليها حتى تصدر المجموعة. أرجو أن لا يتأخّر صدورها كثيرا. فربّما يراجعون تعليقاتهم أو يؤكدونها، وفي الحالتين فهي تجربة أولى لي مع النشر في تونس... تجربة لم تكتمل لنحكم عليها !.

• أصدرت عديد الكتب الشعرية وقدّمت مساهمات ثقافية وصحفية في أكثر من جريدة ومجلة ومن ضمنها إحدى الجرائد الأسبوعية المحليّة، ونرى أن كتابتك في هذه الجريدة انقطعت ثم بدأت تعود... سؤالنا عن خلفيتك الفكرية والثقافية وعن مساهمتك الكتابية في الجرائد التونسية، والحال أنك مقيم في تونس ؟.

بإيجاز، فكريا وثقافيا نهلت من الينابيع الماركسية، لست منتميا إلى أي تنظيم شيوعي، لكنّني أعتبر المنهج الماركسي دليلي في الثقافة والحياة. من هنا أجد نفسي دائما إلى جانب كلّ ما هو تقدمي واشتراكي...

لكنّني غالبا ما أصدم بضيق الأفق والتكلس، والهوّة المفزعة بين رفاقنا ومنابرنا من جهة وبين الابداع الأدبي والفني والثقافي عموما من جهة أخرى. هذا مصدر قلقي وأسفي، لذا كان طبيعيا أن أكتب في الصحيفة التي أشرت إليها، وانقطاعي عن الكتابة كان لأسباب فنيّة أوّلها انعدام الخبرة الصحفية عند رفاقي على "الطريق" وصدفة ليس إلاّ، تزامن هذا الانقطاع مع حملة بوليسية قامت بها إحدى السفارات (المشرقية) بغية تشويهي وتسفيري عن تونس، من المعروف أنني (أعارض) موضوعيّا سياسة الحكم في مسقط رأسي، ومنذ أواخر عام 1974 لم أستطع

وضع قدمي على التراب السوري، وأناضل بقلمي ودمي في صفوف الثورة الفلسطينية، لكنّ الحملة شنّتها سفارة معادية للنظام السوري.. وقد وصلت التقارير التافهة ضدّي إلى وزارة الداخلية التونسية وإلى الجريدة التونسية المعنية. أنا سعيد جدّا بأنّ أنظمة (كواتم الصوت) رغم خلافاتها متفقة بأنّني أحد أعدائها. ولقد أزعجت كتابتي الفاشست واليسراويين وهذا يؤكد لي أن خطاي "على طريق صحيح" ولن يحول أيّ كان بيني وبين الصحيفة التي احترمها إذا استثنينا الإعاقات الناتجة عن الخبرة الصحفيّة ومفهومي لمستويات التعامل، على هذا الأساس عدت إلى الكتابة وعليه قد أنقطع مستقبلا أيضا.

- **كعربي وشاعر عاشر العديد من الكتاب والشعراء والنصوص في جلّ البلاد العربيّة، كيف تنظر إلى العطاء الإبداعي في تونس ؟.**

كعربي.. أعتقد أنّ عروبة تونس تتأكّد بالاهتمام أكثر بلغتنا العربية وبما هو مشرق وتقدّمي من تراثنا العربي القديم والحديث.. لا بالاقتراب من فلك البترودولار، أو محاولة النّسج على المنوال الاستبدادي المشرقي تحديدا.
وكشاعر.. أرى أنّ للشاعر التونسي هامشا ديمقراطيا –أرجو أن يتّسع أكثر– يحلم الشاعر المشرقي بمثله. أنا لو تلاحظ أقوم بحوار متصل مع الأدب التونسي المعاصر، وقد قمت بنشر جزء من حواري المستمر على صفحات (مجلة فلسطين الثورة)، كوني مراسلا أدبيا لها.
وهذا ليس مجرّد عمل صحفي إنّما نابع من اهتمام خاص واختيار. ولقد لفت انتباهي صعود أسماء هامّة في الشعر والنثر لم تولها بعد الأوساط الثقافية التونسية الاهتمام الذي تستحقّه.. إنّ العطاء الإبداعي الشاب في تونس –وباللّغة العربية–

هو الذي يمكننا المراهنة عليه بثقة شبه مطلقة.. وثمّة أسماء كثيرة يجري نفخها منذ سنوات لكنّها لا تضمر غير (الهواء) ويجب أن تخلي الساحة لفرسانها الحقيقيين الذين بهم سيصل العطاء الإبداعي التونسي مَجْدَهُ لا محالة.

حاوره في تونس : حسن بن عثمان

ونُشِرَ في جريدة "الرأي" التونسية العدد 309،

الصادر يوم الجمعة 22 فيفري 1985

الإشكال بين مجانية الصورة وضرورتها

"هادي دانيال" شاعر شاب مسكون بهم الثورة والشعر، حول همّه (المركب) هذا ومن أجل التعرّف عليه عن كثب كان لنا معه هذا اللّقاء، فعن تجربته الشعرية قال :

رغم أنني ولدت في قرية من جبال العلويين، فقد درست على مقاعد مدارس دمشق الابتدائية والإعدادية، وباكرًا أغلقت ورائي باب الأسرة وباب المدرسة . وأخرجت لساني هازئا ناذرًا نفسي للشعر، واجتزت حدود بلادي الجغرافية والسيكولوجيه محلقا على جواد الشعر المجنح إلى لبنان، حيث نسج الشعر علاقتي بالثورة وبالنضال السياسي والثقافي المسلح... والشعر كان لي منهجا ومازال... فهو الذي دلني على الطرق التي سلكتها منذ عام 1973 ولقد أسلمت له القياد راضيا مسحورا.. و لم أخطئ مرة إلا عندما أحاول التملّص من فروضه أو الاحتيال على طقوسه .. ولذلك فأنا الآن أكفّر عن كلّ خطيئة ارتكبتها بحق الشعر الذي ما خانني أبدا.

تكونت جنينا في رحم التجربة الشعرية الحديثة، وعلى صدر صحف ومجلات دمشق ولدت صارخا محتجا بالذي، أحسه عندي ولا أعيه، كما عبر خليل حاوي، ورضعت من تجاريب شعراء كثيرين سوريين وعربا، جاهليين وأمويين

وعباسيين، و لم أوفر الشعر المعلب والمجفف الذي جاءنا من خارج اللغة العربية على يد مترجمين مختلفين. ثم.. هل كتبت قصيدة هادي دانيال الخاصة بي، هل أضفت ؟ كان هذا طموحي ولا يزال.

- **.. إن التفرد هاجس، ولكن تحقيقه ليس أمرا سهلا، رغم سهولة الادعاء على ما يبدو، هل المقصود شكل القصيدة؟.**

إذن فأنا أعيدك إلى المجموعات الشعرية التي أصدرتها، إلى المجموعة الأولى (بردى.. ووفود الجوع)، التي كتبتها وأصدرتها عام 1973 وإلى المجموعة الثالثة التي أصدرتها عام 1980 بينما كنت قد كتبتها عام 1973 أيضا. في هاتين المجموعتين تأمل كيف ترتكز القصيدة على قوة المفردة الايقاعية والتعبيرية، وكيف تكوّن المفردات ايحاءاتها ومناخ القصيدة العام. وأُحيلك إلى مجموعتي الرابعة "غليون التدخين الأحلام" حيث تأخذ الصورة الرمزية والصورة السوريالية، الصورة الحسية والصورة الذهنية، حيث تأخذ الصورة أمكنتها في القصيدة إلى جانب المفردة، وأدلك على مجموعتي الشعرية الثانية، "أناشيد النورس" التي صدرت عن دار الهدف عام 1978، وكتبت بين عامي 1977 و 1978، حيث الصورة أساس بناء شكل القصيدة، وهي صورة مأخوذة من الواقع، صورة محسوسة غير ميتافيزيقية، والقصيدة تعيد تنسيق الحالة الواقعية المعنية وفقا لرغبة الشاعر وطموحه في تغيير الواقع بما يلامس أحلامه.. أو رؤاه.. "أناشيد النورس"، كُتِبَتْ وحرب السنتين تكاد تضع أوزارها. أما مجموعتي الخامسة (قصائد الحرب) التي صدرت بعد أشهر من صدور "غليون لتدخين الأحلام"، عام 1982، فقصائد هذه المجموعة كتبت أثناء الحرب، ومن خلالها تستطيع أن تتلمس سؤالا مفاده : قصيدة الحرب، كيف

تكون عندما يكتبها شاعر هو طرف في هذه الحرب زمانيا ومكانيا، جسديا وذهنيا، عاطفيا وعقليا، سياسيا وثقافيا واجتماعيا.

ليس مطلوبا مني إجابة أكثر تفصيلا لأن هذا ليس اختصاصي.......؟

أنا محور الموضوع، من مكاني ومزاجي، من ذاتي المتواضعة، الحقيقية، ذات الشاعر، يبدأ موضوع القصيدة ومناخها. عندي يتحد الذاتي بالموضوعي، الخاص بالعام، ومن روحي تستمدّ القصيدة نبضها.. لذلك تستطيع أن تتعرف على تفاصيل حالتي النفسية والاجتماعية والسياسية بمجرد قراءتك لقصائدي ودون تكبد عناء تحسس شخصي عن قرب.. هذا اعتراف.. ربما.........؟

لقد أثرت بي طبيعة قريتي في البداية، ومن ثم الأمكنة التي عشت فيها والناس الذين عشت بينهم والتجربة التي قادني الشعر في تشعّباتها، التجربة السياسية والاجتماعية والعاطفية والعسكرية، تجربة التشرّد وتجربة الاستقرار. التجربة الثقافية وتجربتي التنظيمية.. التجربة بأشكالها المتعدّدة ومضامينها المختلفة أثرت على قصيدتي تأثيرات مختلفة.. أمّا إنْ كان قصدك تأثير الشعراء على تجربتي، فلم يؤثر عليها شاعر معين، لقد أثروا عليها جميعًا بما قدموه من نصوص وتجاريب.. ولكن آثارهم لم تستطع أن تلغي ملامحي المطبوعة على كل قصيدة كتبتها، ولم يستطع شاعر واحد أن يرى ملامحه في قصيدتي لا لأن مراياها مكسرة، بل لأن مراياها صافية جدّا ولا تخدع.

- **وعن علاقة الصورة بالفكرة قال :**

لن أعطيك أمثلة لأنني هنا لست باحثا ولا دارسا، سأقدم لك بعض نتائج تجربتي، وهي نتائج خاضعة للنقاش والتعديل مستقبلا، ولكن هي شهادة عساها تسهم في

وضع حد للتهويش غير النقدي الذي ساد الصحافة الثقافية فأقول : باسم الحداثة عمت نصوص الشعراء المعاصرين – والشباب خصوصًا – الصورة المجانية، التي لا تفيدنا بقول ولا تعبر عن فكرة ولا توحي بحالة أو مناخ، وهذه الصورة يمكن استحضارها بتعاطي المؤثرات الخارجية على المخ كالمخدرات من حشيش وكوكايين وكحول مركزة، ولا أعتقد أن مصدري هذا الصور الى المتلقي يتمتعون بمقدرة إبداعية.. لأن المبدع رومنسيا كان أم رمزيا أم واقعيا يعيد خلق الواقع على شاكلته، أي وفقا للمفاهيم والقناعات والرؤى المتكونة لديه، فالإشكال إذن ليس بين مجانية الصورة وضرورتها. والذين يطرحون مقولة تفجير الصورة هم الوجه الآخر للذين يلوكون مقولة تفجير اللغة. فالشعر الذي لا يقدم للمتلقي غير الهذيان، هو هذيان وليس شعرا.. وليس مهما أن تكون صورتك ذهنية أم واقعية، حسية أم مركبة.. المهم أن تكون غير مجانية وتكتسب شرعيتها من ضرورتها.. وليس صحيحا ما يرتكب من مهازل تحت شعار أن الشعر هو غير مألوف، فالوردة مألوفة، والسماء مألوفة والإنسان مألوف..إلخ.

- **وحول احتلال الفجيعة لمساحة كبيرة في شعر الشباب العربي قال:**

جميع الشعراء الشباب تقريبا يعيشون ظروفا غير انسانية. يكفي انتماؤك العربي للشعور بالاحباط، يكفي أن تستعرض في ذهنك زعماء الأنظمة العربية واحدا واحدا حتى تجتاحك نوبة رعب وقرف. يكفي أن تنظر عرضا إلى واقع أحزاب حركة التحرر العربية حتى تشعر باليأس، نتنفّس القمع، ونعايش الخيانة، ونجد أنفسنا يوميا مضطرين فقط لنعيش كالدواب إلى أن نتواطأ مع واقع تحت لافتة الحياد في أحسن الحالات، يكفي هذا لأن ندخن أحلامنا ونتنبأ بكوارث أكثر

فظاعة، وهاوية لا قرار لها. أنت كثوري تطالب الشاعر أن يتفاءل بينما في قرار نفسك متواطئ مع هذا الظلام الحالك، كيف؟.

هل يغرد العصفور في قفصه غير بكائه على الحرية المفقودة؟.

الشعارات كلها سقطت لأن أفواها فاسدة لاكتها حتى تهرأت. الذين ينادون بالوحدة العربية يمزقون وحدة أقطارهم، والذين ينادون بالحرية تفشت بين الدهماء التي يتحكمون بمصائرها الأميّة لأن مقابل كل مقعد مدرسي ألف زنزانة، والذين نادوا بقضية فلسطين قضية قومية مركزية يحشدون لتصفية القضية كل الأسلحة التي دفعت الأمة العربية ثمنها دما وعرقا. لقد تكسّرت أجنحتنا يا صديقي وتحطمت مناقيرنا ونحن نعالج قضبان السجن العربي الكبير عبثًا.

التاريخ يحتاج إلى محرك يحركه إلى الأمام لكن المحركات جميعها تدفعه الآن إلى الخلف، إلى ظلام الطوائف والملوك والعشائر، وفي غياب الديمقراطية تحضر كل الأخطاء.. والشاعر الثوري ليس من يقفز عن هذا الواقع، بل من يواجهه ويصل غناؤه الحاد عظام الفجيعة. "**ومن اليأس أبدأُ وردتي الذابلةْ ، فلتفت هذه المرحلةْ كي نسوّي حساباتنا المقبلةْ**".

- **وعن الشعر اليمني قال :**

ما اطلعت عليه من نتاج الشعراء اليمنيين خلال وجودي في عدن لا يؤهلني للإدلاء برأي جاد حول الشعر في اليمن، علما أنّني أحاول بشغف التعرف على الحركة الشعرية في اليمن من خلال تعرُّفي على النص الشعري والشاعر المنشئ..

وعلى كل حال فإن غياب ظاهرة الشاعر النجم في اليمن الديمقراطي يترك الآفاق مفتوحة أمام تفتح مواهب بعضها في مرحلة التبرعم وبعضها قطع شوطا في ارتقاء سلم الشعر الطويل..

إلاّ أن الذي لفت انتباهي أكثر هذا الاهتمام الحار بالنقد، ولكن نأمل أن تدخل الكتابات في صلب النظرية النقدية لا أن يبقى الحوار مستعرا على هامشها، كما أن الشعراء بانتظار حركة نقدية تمارس النقد ولا تكتفي بالتنظير له، فالنظرية يجب أن تختبر بتطبيقها على النص الشعري الذي يشهد على الأقل تراكما كميا.

فأنا قرات وجهات نظر عديدة حول الحركة النقدية، ولكنني لم أشمّ لها رائحةً خلال الأشهر التي قضيتها في عدن.. وأعتقد أن الحركة النقدية هنا تستطيع الوقوف على قدميها لِتَوَفُّرِ الديمقراطية في هذا البلد، الديمقراطية بمظاهرها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وهذا بالتأكيد يعني أن الطريق معبّدة لمسيرة ثقافية رائدة في ديمقراطيتها. إذن فلتقف الحركة النقدية وقفة تحليلية جادة أمام النتاج الشعري اليمني لتساعدنا جميعا على التعرف أكثر على الحركة الشعرية في اليمن الديمقراطي، ومدى انعكاس التجربة الاشتراكية الديمقراطية الوحيدة في الوطن العربي على بنية الحركة الشعرية العربية اليمنية على صعيد الشكل والمضمون، المبنى والمعنى.

حاوره في عدن : سعيد عبد الباقي

و نُشِرَ في جريدة 13 أكتوبر اليمنية ،

اليمن الديمقراطي السابق، عدد يوم 1983/7/22.

الفهـــــرس

الصفحة



2006 سنة ابن خلدو

مساهمة في الاحتفال بمائوية السادس

تثمينا للفكر المغ



ISBN 9973-38-070-3



الثمن: 15د

حامد للنشر والتوزيع

72 نهج القيروان. 3000 صفاقس

الجمهورية التونسية. الهاتف. الفاكس: 74.226.447